297.35:B45A

بن الخوجه ، عبده محمد .

297.35
B45A

18 MAY 1970

1 - Oct 72

297.35
B45tA

تاريخ معالم التوحيد

في القديم وفي الجديد

تاليف

الفقير الى ربه امير الامراء عبده محمد بن الخوجه

مستشار الحكومة التونسية

تونس

طبع بالمطبعة التونسية بنهج سوق البلاط عدد ٥٧

١٣٥٨-١٩٣٩

تصدير التاليف ، بالخط الملكي الشريف

اي ربنا وصل الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم



وبعد وقد اطلعت على هذا الكتاب الذي يتضمن مبلغ علمي
شوالة ويدب ... مع اصوله وغرائبه وعجائبه وجميع انقاله
واشواله كيف لا وهو بعض ثمرات ... من بحر العلم واستعداد ونبغ
باحاطة باخبار مملكتنا وشاهدوها واجداد بعضي بهم الهمم
الاولى ابتغاء وجه الله المحبوب منشار الحكومة الشوفينية اسبغ الله عليه نعمه واعلاه
على ما هو وفق له من نشر معاني الصلاح يستبعد لمطالعتها المتكلف منشكرة عن هذا
العمل الجميل والصنيع الجليل والصلاح في البغية ان ربه تعالى يجزيه احسن ما جازى اباه
طيب الحكومة الشوفينية وفقه الله وكتب في جمادى الثانية سنة ١٣٤٨ في نوفمبر سنة ١٩٢٩

عز نصره



الحمد لله الذي رفع لمعالم الدين شانا. واذن ان يذكر فيها اسمه ومن اعظم من الله امرا واذانا. وخص الساعين في عمارتها بالاجر من عنده تفضلا منه واحسانا. ليرتاب الذين في قلوبهم مرض ويزداد الذين ءامنوا ايمانا. والصلاة والسلام الاتمان الاكملان على عين الرحمة سيدنا محمد الذي قادنا نور نبوته لطريق التوفيق وهدانا. وارانا بمعجزة القرءان الحق عيانا وللنجاة دعانا . وعلى ءاله الذين كان حبهم ايمانا وامانا. واصحابه الذين كانوا له انصارا واعوانا. وبعد فان السبب الذي دعاني لوضع هذا التصنيف الذي لم يتقدمه (١) في عالم الطبع والنشر شيء من نوعه بهذه الديار التونسية هو وقوفي على كتاب باللسان الفرنساوي ظهر في هذه الايام تضمن تاريخ نشأة الكنائس النصرانية بتونس وافق نشره اقامة مهرجان فخم رتبه يهود العاصمة بمناسبة احداث بيعة جديدة لهم اسسوها بتونس فقلت في نفسي لا جرم اني وابناء

---

(١) كتب الشيخ محمد بيرم الرابع رسالة اسماها « التراجم المهمة للخطباء والايمة » عرف فيها بمن تولى الامامة والخطابة من الفقهاء بالجوامع الحنفية دون المالكية وهذه الرسالة لم يكتب منها محررها فيما يلوح الا قطعة ما زالت في مسودتها بخط مؤلفها وهي من عيون خزانة الاستاذ العلامة الشيخ البشير النيفر وتلك القطعة وقفت عليها ومما جاء فيها ذكر خطباء جامعي القصر والقصبة مع من تولى الامامة بهما كل ذلك بسطه المؤلف بما يشفي الغليل مع الاشباع في الترجمة لاولئك الخطباء والايمة ولكنه ابقى خلالها بياضات بنية الزيادة والتوضيح فيما يظهر وصدر حديث كل من الجامعين المذكورين بنبذة وجيزة في نشأتهما حسنة الافادة لكنها غير مستوفاة من الوجهة التاريخية. وانتقل بعد ذينك الجامعين للتعريف بجامع حموده باشا المرادي ووقف في تحريره عند السطر السادس مما يدل وان الرسالة المتحدث عنها لم يتمها صاحبها كما اشرنا اليه لان القطعة الموجودة منها بخط المؤلف رحمه الله هي مسودة التاليف ولا يعرف غيرها بين اهل العلم.

جنسي من المقصرين نحو سلفنا الكريم الذين شيدوا لنا معالم الدين واستماتوا في سبيل التمسك بحبله المتين . بينما نحن خلفهم في جمود وغفلة عن تمجيد ذكرهم لاحياء ما تنوسي من اخبارهم . وفي جهالة باحوال ازمانهم . كادت ان تطمس مآثرهم لما نسج من عناكب النسيان . على معالمها الحسان . وخشية ان يطوي مرور الايام حديث تلك المآثر بادرت الى وضع هذا التاليف غيرة لهذه الحضرة ان تندرس منها الاثار . وحمية لمعالمها الاسلامية ان يكون لها من غمام التناسي استتار . وقد يسر الله جمع تالده والطريف على اسلوب محكم ظريف . تحت ظل عونه الوريف . بترتيبه على مقدمة وخمسة ابواب وخاتمة :

المقدمة في اجمال التعريف بظهور جوامع الخطبة بتونس على العموم وفي حكم تعدد الخطبة بالمصر الواحد وفي ذكر عدد المساجد التي تقام بها الصلوات الخمس دون الجمعة والعيدين مع بيان ما كان منها معطلا وذكر سببه

الباب الاول : في تاريخ نشأة جوامع الخطبة التي تقام بها الشعائر على قواعد المذهب المالكي وءاثرت تقديمها على الجوامع الحنفية لان براسها كعبة العلم جامع الزيتونة الذي هو اقدم بيوت العبادة بتونس

الباب الثاني : في تاريخ نشأة جوامع الخطبة التي تقام بها الشعائر على قواعد المذهب الحنفي مع مقدمة وجيزة في بيان ظهور هذا المذهب بالديار التونسية وانه كان اظهر المذاهب بافريقية وختمت هذا الباب بذيل خاص في ذكر احوال متلبسة بالجوامع الحنفية ظهرت بتونس على عهد حكم الاتراك بها

الباب الثالث : في المساجد التي تقام بها الصلوات الخمس دون خطبة الجمعة والعيدين مع بيان ما كان منها معطلا عن اقامة الشعائر وبيان مواقعها بالتفصيل

الباب الرابع : في التعريف بالولاية على امامة الصلوات

الباب الخامس : في التعريف بمدارس طلبة العلم وهي من ملحقات جامع الزيتونة

الخاتمة : في تاريخ نشأة اختام الحديث بتونس وبيان البقاع التي يروى بها الجامع الصحيح وما لذلك من العلاقة بالجوامع والمساجد والمدارس التي هي مناخ الاحتفال بتلك الاختام

وقد اخترت على بركة الله لهذا التأليف من الاسماء :

تاريخ معالم التوحيد في القديم وفي الجديد

ولما تم تهذيبه وتنسيقه . وكمل ترتيبه وتنميقه . قدمته هدية لخزانة صاحب الفضل المشهود . السالك في سبل البر المنهج المحمود . واسطة القعد المنضود . وبهجة الملك في سلسلة الاباء والجدود . المتوشح بالمناقب والمحامد . وكرم الشمائل والشواهد . محيي الجوامع والمساجد . بعزمه القوي الساعد . حضرة صاحب الجلالة والعظمة ولي النعم المحفوف بسر السبع المثاني سدنا ومولانا احمد باشا باي الثاني افاء الله على البلاد ظلاله . وبلغه من سعادة الدارين ءاماله . هذا وحيث ءان إبان الشروع في المقصود نبتدي في ذلك مستعينا بالله فنقول

﴿ المقدمة ﴾

اعلم ان مدينة تونس من اعرق البلاد الافريقية في الاسلام ظهر بربوعها نور هذا الدين الحنيف في اواخر القرن الاول للهجرة على يد حسان بن النعمان الغساني (١) وقد كانت ولم تزل بفضل الله من اكثر البلاد اشتمالا لبيوت العبادة قالوا ان المار في الطريق كان لا يمشي مائة خطوة او نحوها الا ويجد جامعا او مسجدا مفتوحا في وجهه للصلاة وهذا التقدير وان هو لا يخلو عن مبالغة فانه يدل على كل حال وان بيوت العبادة كانت منتشرة انتشارا عموميا بسائر جهات البلد وكيف لا والمسلمون كانوا محافظين على صلواتهم ساعين لحضور الجماعة ولا يتخلف عنها الا من كان له عذر شرعي فلا غرو ان كانت كل حومة محتوية على مسجد او اثنين او اكثر كما لم يزل اثره مشاهدا للعيان بغير ما مكان والقدر الموجود بتونس من المساجد في هذا الزمان يبلغ بالعدد الصحيح الى مائتين وستة وخمسين مسجدا منها اثنان وتسعون معطلة والبقية يذكر فيها اسم الله ويلوح ان هذه البقية وعددها ١٦٦ مسجدا لم يتناولها التلاشي في بحر هذه الاربعين سنة لان هذا العدد نفسه كان موجودا في حدود سنة ١٣١٨ كما يستفاد ذلك من احصائية لعموم المساجد سبق مني نشرها

(١) كانوا يلقبونه في عصره بالشيخ الامين

بالرزنامة التونسية في طبعتها الاولى عام ١٣١٩ ولاجله نسجل هنا عبارات الثناء على جمعية الاوقاف بلسان عامة المسلمين لما توفقت له من المحافظة على بيوت العبادة وصونها من التلاشي اما المساجد المعطلة فالداعي لغلق ابوابها حسبما استفيد من اولي النظر هو استحواذ الخراب على بعضها مما يستوجب اصلاحها نفقات طائلة ليس في طاقة جمعية الاوقاف تحملها في هذه الاوقات التي مدت فيها الازمة العمومية جناحها على كامل البلاد وفي الباقي كان سبب التعطيل هو وقوع بعض المساجد بالاحياء الاسرائيلية والاروباوية التي كان يسكنها المسلمون ثم هجروها شيئا فشيئا الى حد اعتبارها الآن في جملة اقسام الحارات الغير الاسلامية بحيث صارت اقامة الشعائر بها متعذرة لعدم وجود المصلين هنالك لذلك اضطرت جمعية الاوقاف لغلق جملة من المساجد الواقعة ببعض الاحياء المعمورة بغير المسلمين صونا لحرمتها واقتصادا بمصاريف واكلاف لا فائدة منها غير تثقيل عاتق ميزانية الاوقاف زيادة على ما هي عليه من الضائقة المالية المحدقة بها في هذه الايام واما المساجد التي ما برحت بفضل الله عامرة بالمصلين فان الجمعية لا زالت ولا تزال باذلة مجهوداتها في القيام بشئونها بما في الاستطاعة ومما تنشرح له المهج والصدور توفق الكثيرين من لفيف المسلمين في هذا العهد للاجتماع ببعض هذه المساجد لحفظ القرءان بالاملاء السماعي وهي حسنة كبرى توفق لنشرها بتونس وبالآفاق الحافظ الشيخ عبد العزيز الباوندي كثر الله من امثاله .

واما الجوامع التي تقام بها خطبة الجمعة والعيدين الموجودة بتونس لهذا الزمان فعددها تسعة عشر منها اثنا عشرة لاقامة الصلوات على قواعد المذهب المالكي وسبعة لاقامتها على قواعد المذهب الحنفي وهذه السبعة صرفت ولايتها للحنفية بعضها من حين التاسيس وبعضها كانت امامته بيد المالكية ووقع تحويلها للحنفية اثر الفتح العثماني واليك هي باجمعها حسب تواريخ ظهورها بعنوان جوامع للخطبة

١ — جامع الزيتونة
٢ — جامع القصبة
٣ — جامع التوفيق
٤ — جامع باب البحر
٥ — جامع ابي محمد

٦ – جامع باب الجزيرة
٧ – جامع سيدي يحيى
٨ – جامع التبانين
٩ – جامع الحلق
١٠ – جامع القصر
١١ – جامع يوسف داي
١٢ – جامع سبحان الله
١٣ – جامع حمودة باشا
١٤ – جامع محمد باي المرادي
١٥ – الجامع الجديد
١٦ – جامع صاحب الطابع
١٧ – جامع الحجامين
١٨ – جامع السبخاء
١٩ – جامع العمران

فتكون جملة جوامع الخطبة على المذهبين الزكيين تسعة عشر جامعا كما قدمنا اولها جامع الزيتونة المحدث في اواخر القرن الاول للهجرة وءاخرها جامع العمران المحدث في اواسط هذا القرن ويستفاد من تاريخ الشيخ ابن ابي دينار ان عدد الخطب بتونس كان سبعة في المائة الثامنة ءاخرتها اقيمت في حدود سنة ٧٤٧ بجامع سيدي يحيى السليماني وان الناس سخطوا عند اضافة هذه الخطبة للست خطب الموجودة قبلها ولكنهم زادوا على ذلك خطبة ثامنة بجامع التبانين في ايام السلطان ابي عمرو عثمان الحفصي اثناء القرن التالي ويلوح ان غضب الناس من اجل هذه الزيادات انما اثاره مشهور المذهب المالكي من عدم جواز تعدد الجمعة بالمصر الواحد لان بعض الفقهاء المالكية يرى عدم صحتها في غير المسجد العتيق والمسجد العتيق بتونس هو جامع الزيتونة ومما لاينبغي اغفال ذكره هنا ان جامعي الخطبتين السابعة والثامنة كانا موجودين بعنوان مسجدين لاقامة الصلوات الخمس فحسب خلافا للستة الجوامع السابقة فانها بنيت من اصلها بعنوان جوامع للخطبة ثم ذكر الشيخ ابن ابي دينار ان عدد جوامع الخطبة بتونس كان في زمنه ثلاثة عشر بين مالكي وحنفي والشيخ ابن ابي دينار من رجال القرن الحادي عشر انهى تاريخه في

سنة ١٠٩٢ فتكون جوامع الخطبة في ذلك العهد هي الجوامع التي كانت موجودة بتونس عند سقوط الدولة الحفصية وقيام الدولة العثمانية مقامها وعددها تسعة بالضبط المدقق وهي جامع الزيتونة وجامع القصبة وجامع التوفيق وجامع باب البحر وجامع ابي محمد وجامع باب الجزيرة وجامع سيدي يحيى وجامع التبانين وجامع الحلق يضاف لها الاربعة جوامع التي اقيمت بها الخطبة فيما بين تاريخ الفتح العثماني وعصر ابن ابي دينار وهي جامع يوسف داي وجامع سبحان الله وجامع القصر وكان مسجدا للخمس قبل تحويله لجامع خطبة وجامع حمودة باشا وهو المتمم لعدد الثلاث عشرة جامعا التي عرف بها صاحب المونس وهذه الجوامع كلها ما زالت موجودة لهذا اليوم ولله الحمد وقد ذكر المؤرخ الشيخ الباجي المسعودي في كتاب عقد الفرائد انه وقع في سنة ١٢٣٥ على عهد المولى محمود باي احصاء رسمي على يد شيخ المدينة وشيخي الربضين للجوامع والمساجد والمدارس والكتاتيب والزوايا الموجودة يومئذ بحاضرة تونس فكانت جوامع الخطبة سبعة عشر منها بقسم المدينة ثمانية (هي جامع الزيتونة والجوامع الحنفية السبعة الموجودة لهذا الزمان) وبالربض الجوفي اي ربض باب السويقة خمسة جوامع (هي جامع باب البحر وجامع ابي محمد وجامع سيدي يحيى وجامع التبانين وجامع سبحان الله) وبالربض القبلي اي ربض باب الجزيرة اربعة جوامع (هي جامع الهواء واسمه جامع التوفيق وجامع باب الجزيرة البراني وجامع الحلق والجامع الرابع لا وجود له في هذا الزمان ولعله تناوله الخراب وعمي اثره وضاع خبره) فتكون الجملة ستة عشر جامعا بقطع النظر عن الجامع المفقود وباضافة جامع الحجامين وجامع السبخاء وجامع العمران التي ازدان بها عصر سيدنا ومولانا الملك الموجود تكون جملة جوامع الخطبة بتونس في زماننا هذا (١٣٥٧) تسعة عشر جامعا وهي التي ذكرنا اسماءها بالقائمة التي سبق ادراجها. واعلم ان تعدد خطبة الجمعة في البلد الواحد له احكام شرعية افاض القول فيها ايمة المذاهب واتفق الحنفي والمالكي على ان الاصل فيها التوحيد ثم اباح علماء المذهبين تعددها على شروط بتوسع فيها لاهل المذهب الحنفي على اهل المذهب المالكي اهمها تعاظم المصر وتلاوح اطرافه كمدينة بغداد في العصر العباسي ومدينة تونس في الزمن الحاضر وهذه المسألة تكاثرت فيها الاقوال واختلفت الانظار بين العلماء لاسباب منها كون الجمعة

جاءت مشتملة في مشروعيتها على فائدة التعارف بين جماعة المسلمين من اهل المصر الواحد فلا يجوز انقسامهم في مساجد كثيرة يفوت معها المقصود من مصلحة الاجتماع يؤيد هذه النظرية التي هي من اعظم المبادي السياسية في المجتمع كون صلاة الجماعة في المسجد من فوائدها تعارف اهل الحومة بالالتفاف حول بعضهم بعضا وهي الدرجة الابتدائية في مقام التعارف وفوقها درجة الاجتماع لصلاة الجمعة بالمسجد الجامع لتعارف اهل المصر فيما بينهم وفوق هذه الدرجة الوسطى الاجتماع العام لكافة المسلمين من البلاد قاطبة وهو التحاقهم ببعضهم بعضا في موسم الحج بعرفات وحول الكعبة المشرفة وغيرها من البقاع المباركة حتى اذا قام الدليل على استحالة اجتماع اهل المصر لصلاة الجمعة في جامع واحد جوز جمهور العلماء اقامة خطبة ثانية بالمصر تحاميا من فوات صلاة الجمعة على من لم يسعهم مسجدها الاول قال الامام ابو يوسف بجوازه على شرط ان لا يتعداه وقال الامام محمد بن الحسن بجواز تعدد الجمعة في موضعين وثلاثة في المصر الواحد دفعا للحرج والمشقة عن الناس اذا كانت البلاد كبيرة ولا تجوز فيما زاد للاكتفاء بالصلاة في طرفي المصر ووسطه وهذا القول يوافق مشهور المذهب المالكي فان ايمة المالكية يجوزون وجود ثلاثة مساجد جامعة لمدينة كمدينة تونس في هذا الزمان واحد بوسطها واثنان بطرفيها والمصر في عرف الفقهاء هو البلد الذي فيه امير وقاض للتنفيذ واقامة الحدود وعن ابي حنيفة رضي الله عنه : المصر هو البلدة الكبيرة التي فيها سكك واسواق ولها رساتيق (١) وبها وال يقدر على انصاف المظلوم من الظالم بحشمته وعلمه او علم غيره يرجع الناس اليه فيما يقع من الحوادث وعرف الامام ابو يوسف المصر بقوله : هو كل موضع يكون فيه كل محترف ويوجد فيه جميع ما يحتاج الناس اليه في معايشهم وفيه فقيه مفت وقاض يقيم الحدود وقال الامام محمد في تعريف المصر : كل موضع مصره الامام فهو مصر حتى لو بعث الى قرية نائبا لاقامة الحدود والقصاص يصير مصرا فاذا عزله يلتحق بالقرى وفي القهستاني تقع الجمعة فرضا في القصبات والقرى الكبيرة التي فيها اسواق وقال ابو القاسم فيما حكاه عنه الشيخ ابن عابدين : هذا بلا خلاف اي

(١) جمع رستاق وهي القرية كما في القاموس فالرساتيق هي المداشر والقرى حول المدينة وتسمى في عرف اهل تونس بالاحواز

اقامتها في القرى الكبيرة ذات الاسواق وقال الشيخ ابن ناجي من ايمة المالكية : ظاهر الكتاب (المدونة) منع تعدد الجمعة في المصر الواحد وان كان عظيما وهو كذلك خلافا لمحمد بن عبد الحكم في اقامتها في الامصار العظام في مسجدين كمصر وبغداد واستمر العمل بتونس على جواز تعددها وعدم الاقتصار على مسجدين ففيها سبع خطب لكثرة الناس جدا اه ونقله شارح العمل المطلق في شرح قوله

والغ فيها شرط ان تتحدا في المصر بل يجوز ان تعددا

والشيخ ابن ناجي توفى سنة ٨٣٧ والخطب التي كانت موجودة في عصره بتونس هي خطب جامع الزيتونة وجامع القصبة وجامع الهواء وجامع باب البحر وجامع ابي محمد المرجاني وجامع باب الجزيرة البراني وجامع سيدي يحيى السليماني والخلاصة ان مدينة تونس كانت منفردة بجامع واحد وهو جامع الزيتونة الى اوائل المائة السابعة وفيها ظهر جامع القصبة على عهد السلطان ابي زكرياء الحفصي ثم تكررت الخطب بها فكانت في ءاخر المائة السابعة ست خطب وفي ءاخر المائة الثامنة سبع خطب وفي ءاخر المائة التاسعة ثماني خطب وفي ءاخر المائة العاشرة تسع خطب تاسعتها خطبة جامع الحلق ومن اوائل القرن الحادي عشر الى هذا الزمان زيد عن ذلك عشر خطب اخرى ءاخرتها خطبة جامع العمران وسبحان من هو كل يوم في شان لا رب غيره ولا معبود سواه .

الباب الاول في الجوامع المالكية

١

جامع الزيتونة *

خطبته هي الاولى في سلسلة جوامع الخطبة بتونس وامامه الاول في هذا الزمان هو الشيخ محمد حمده الشريف نقيب السادة الاشراف

---

* يوجد بتونس جامع ءاخر اسمه جامع الزيتونة وهو جامع الخطبة بباب البحر وهو الرابع في سلسلة جوامع الخطبة التى تضمنها هذا التاليف ويوجد بها ايضا مسجد باسم مسجد الزيتونة لاقامة الصلوات الخمس دون الجمعة والعيدين وموقعه

اعلم ان بناء هذا الجامع متقدم على ظهور مذاهب السنة بافريقية فكانت الصلوات تقام فيه على ما وصل لجماعة المسلمين بتونس من اجتهاد الصحابة والتابعين والغالب على الظن ان الشعائر اقيمت به على قواعد المذهب المالكي ابتداء من اواخر المائة الثانية حيث ظهر يومئذ بمدينة تونس مذهب امام دار الهجرة مالك بن انس على يد صاحبه الفقيه الشيخ علي بن زياد (١) واتفق المؤرخون على انه كان بالموضع الذي بني

بزنقة ابوسعدية كما يوجد بمدينة القيروان جامع باسم جامع الزيتونة وقد اتفق لي زيارة مدينة ازمور بالمغرب الاقصى في سنة ١٣٣٥ ومما زرته من معالمها الاثرية جامعها المسمى ايضا بجامع الزيتونة فيالها من شجرة مباركة يكاد زيتها يضيء

(١) ترجم له المؤرخ الشيخ احمد بن ابي الضياف بالنقل عن كتاب المدارك للقاضي عياض فقال : علي بن زياد التونسي العبسي قال ابن شعبان وغيره من عبس وقال ابو العرب علي بن زياد من اهل تونس ثقة مامون عابد بارع في الفقه ممن يخشى الله عز وجل مع علوه في الفقه اخذ عن الامام مالك وسفيان الثوري والليث ابن سعد وابن لهيعة وغيرهم وسمع بافريقية قبل هذا من خالد بن ابي عمران ولم يكن في عصره بافريقية مثله سمع منه البهلول بن راشد وسحنون وشجره واسد بن الفرات وغيرهم وروى عن مالك الموطا وكتب سماعه عن مالك قال ابو سعيد بن يونس هو اول من ادخل الموطا للمغرب وفسر لهم قول مالك ولم يكونوا يعرفونه وكان قد دخل الحجاز والعراق في طلب العلم وهو معلم سحنون الفقه ونقل اسد عن المخزومي وابن كنانة ما طرأ علينا طار من بلد من بلدان كشف عن هذا الامر مثل ما كشف علي بن زياد وكان سحنون لا يقدم عليه احدا من اهل افريقية ويقول ما بلغ البهلول بن راشد شسع نعل علي بن زياد (الشسع زمام للنعل بين الاصبع الوسطى والتي تليها) قال سحنون وكان البهلول ياتي الى علي بن زياد ويسمع منه ويضرع اليه يعني في المعرفة والعلم ويكاتبه الى تونس يستفتيه في امور الديانة وكان اهل العلم بالقيروان اذا اختلفوا في مسألة كتبوا بها الى علي بن زياد ليعلمهم الصواب قال وكان علي خير اهل افريقية في الضبط للعلم قال سحنون ولو ان التونسيين يسالون لاجابوا باكثر من جواب المصريين يريد علي بن زياد وابن القاسم قال اسد كان علي بن زياد من نقاد اصحاب مالك واني لادعو عقب صلاتي لمعلمي وابدا بعلي بن زياد لانه اول من تعلمت منه العلم قال البلخي لم يكن في عصر علي بن زياد افقه منه ولا اروع ولم يكن سحنون يعدل به احد من علماء افريقية وذكر ابن اللباد عن سحنون ان بعض قضاة افريقية مات

فيه جامع الزيتونة شجرة زيتون وهي التي نسب اليها هذا الجامع كما سياتي خبره واختلفوا فيمن بناه فبعضهم نسب تاسيسه لحسان بن النعمان الغساني الذي فتح تونس في سنة ٧٩ للهجرة وقال ابن الشباط ان الذي بناه هو عبيد الله بن الحبحاب وقال ءاخرون ان الذي بناه مسجدا هو حسان وان ابن الحبحاب هو الذي وسع فيه وكملت ضخامته على يده في سنة ١١٤ وهذا القول الاخير يسلمه العقل والنقل لان مدينة تونس افتتحها حسان بن النعمان في ءان واحد مع قرطجنة حوالي سنة ٧٩ للهجرة وولاية عبيد الله بن الحبحاب على افريقية كانت في سنة ١١٠ على عهد الخليفة هشام بن عبد الملك بن مروان فلا يعقل ان جماعة المسلمين لم يكن لديهم مسجد جامع للصلوات فيما بين قدوم حسان سنة ٧٩ وولاية ابن الحبحاب سنة ١١٠ ومنه يمكننا القول بان الاساس الاول لجامع الزيتونة وضعه حسان بن النعمان وعمارته تمت على يد عبيد الله بن الحبحاب كما ان زيادة الله بن الاغلب الثاني زاد في تدعيم ابنيته وتفخيم شانه من ذلك القبة التي فوق المحراب وكان بناؤها سنة ٢٥٠ للهجرة ونقل الشيخ محمد بن مصطفى بيرم في صفوة الاعتبار ان جامع الزيتونة تم بناؤه سنة ١٤١ كما يستفاد ذلك من كلمة « اعلم » المنقوشة فوق القوس المسامت للتوابيت (١) ببيت الصلاة

فقدم رسول الخليفة في جمع العلماء لاختيار قاض فتوجه الى تونس وبعث واليها لعلي ابن زياد فتمارض فقال الرسول امير بلد ورسول الخليفة يوجهان الى رجل من الرعية فيتثاقل عن المجيء فمضى اليه الوالي ومعه الرسول فلما دخلا عليه وجداه قد حول وجهه الى الحائط فقال له الوالي يا ابا الحسن هذا رسول الخليفة يستشيرك في قاض فحول وجهه الى القبلة وقال ورب هذه القبلة ما اعرف بها احدا يستوجب القضاء قوموا عني . وكتب البهلول مع سحنون الى علي بن زياد الى بيته بالموطا فقال له والله لاسمعته علي الا في بيتك لان اخي البهلول كتب الي انك ممن يطلب العلم لله اهوتوفي الشيخ علي بن زياد رضي الله عنه سنة ثلاث وثمانين ومائة ودفن بداره حيث مسجده المعروف بهذا الزمان

(١) هذه التوابيت كانت موجودة في الدولة الحفصية وكان القصد من احداثها هو الانتفاع بها لوضع الاسفار فوقها قال في المونس عند الكلام على ولي العهد الامير محمد المسعود الذي مات في حياة ابيه السلطان ابي عمرو عثمان الحفصي : وله مآثر عديدة منها الختمة التي كتبها بيده في عدة اسفار واوقف عليها ربعا للاستغلال يقيم

وهذه العبارة مكتوبة بخط اولي بسيط موافق لخط ذلك الزمان يعني قبل تهذيب الخط الكوفي . ورايت بكناش لبعض اهل العلم بنقله عن كناش للشيخ محمد بيرم الرابع ومن خط يده : ان الشيخ محمد بيرم الاول راى منقولا عن خط الشيخ ساسي نوينه وكان مفتيا بتونس على راس الالف ان تونس خطت لثمانين من الهجرة وخط جامع الزيتونة سنة مائة واربع عشرة وقيل في تاريخه « جامع » بحساب الجمل الكبير كما قيل في تاريخ اقواسه حروف « اعلم » وممن تسبب في بنائه عامل عبد الملك بن مروان (حسان بن النعمان) قال صرف عليه اثني عشر صندوقا في كل صندوق اثنا عشر الف دينار ذهبا اه بلفظه وسمعت من الاستاذ الشيخ البشير النيفر بنقله عن جده كبير اهل الشورى الشيخ الطيب النيفر ان البناء الذي باشر بناء جامع الزيتونة مقبور بالتربة المتصلة بدكان الفطايري بحلقة النعال (١) ومهمى كان الحال فان جامع الزيتونة كان موجودا في اوائل المائة الثانية فهو من بيوت العبادة الممتازة بالعتق والافضلية(٢) واما نسبته للزيتونة فقد قال ابن الشباط انه كان هنالك

القاري بها ويقرا فيها كل يوم بعد صلاة الظهر نصف حزب او ربعه بحسب الايام وجعلها على التوابيت بازاء الربعة التي بها البخاري من حبس والده بالجامع الاعظم بتونس اه قلت لا يبعد ان هذه التوابيت كانت في القرون الاولى بشكل صناديق كبيرة معدة لحفظ اسفار مصاحف القرءان المخطوطة وكانت هذه المصاحف مكتوبة على الرق بخطوط منفرجة لا تستغرق الصفحة منها اكثر من ءايتين او ثلاث فيتكون منها اجزاء كثيرة يتناولها القراء من المصلين في ايام الجمعة وغيرها لان تلاوة القرءان التي هي من افضل العبادات كانت هي ذكر الخاصة والكافة بين جماعة المسلمين ومهما كان الحال فان تلك الصناديق ولك ان تقول التوابيت تحولت وجهتها في القرون الاخيرة لجهل الناس بحقيقة حالها فبعد ان كانت كما قدمنا مستودعا او محملا للمصاحف في العصور الاولى وما اليها صارت لعهدنا الحاضر محملا لنعال المصلين وهي معرة في وجه التاريخ فلينتبه اليها شيوخ العلم وايمة الجامع ويحرصون على اعادة تلك التوابيت للشيء الذي وضعت لاجله وينهون الناس عن وضع نعالهم فوقها لانها جعلت لحمل المصاحف لا لحفظ الاحذية وشبه ذلك .

(١) اسمها الاصلي حلقة النحال قلبوا حاءها عينا لاعتقادهم ان كلمة النعال هي المناسبة لذلك لوجود سوق صنع الاحذية المجاور لها

(٢) قال في الشهاب السادس من (كتاب الشهب المخرقة لمن ادعى الاجتهاد

شجرة زيتون منفردة فلما بنى المسلمون الجامع حذوها نسبوه اليها فصاروا يقولون جامع الزيتونة وهكذا استرسل الامر الى هذا الزمان وروى بعض المؤرخين ان صومعته كان مكانها صومعة راهب وعبارة الحلل السندسية صومعة رهبان بالجمع في زمن الفتح الاسلامي وذلك الراهب هو الذي دلهم على بقعة المحراب حيث كان يرى فيها نورا يتلالا في ظلام الليل فاقام المسلمون بها محراب الجامع والعبد يستضعف هذه الرواية لانها لو كانت صحيحة لما تخلى الراهب عن اتخاذ تلك البقعة محلا لعبادته او ضن بها على جماعة المسلمين الدخيلين بالنسبة اليه ولا يصح في نظري الاعتماد على ذلك القول الا في حالة واحدة وهي اهتداء ذلك الراهب للاسلام وهذا لم يقل به احد من المؤرخين. وعند استفحال امر الشيعة بتونس مدوا يد الفساد لبعض النقوش المكتوبة حول سقوف صحن (١) باب البهور لمحو ءاثار اهل السنة ولقد جمع المستعرب مسيو روا كاتب الدولة العام في ايام حوله وطواه جميع ما حفظته الازمان الماضية من عبارة النقوش والوثائق الاثرية وفهارس الخزائن العلمية الموجودة بجامع الزيتونة ورسم له خريطة بالطريقة الهندسية بنية تحرير تاريخ شامل لاخبار هذا البيت المبارك ولكنه لم ينجز من مقصوده سوى نشر قسم من فهرست الكتب المحفوظة بخزائن الجامع

لولا انقطاعه من اهل المخرقة) للشيخ احمد بن مصطفى برناز الحنفي : وفي محفوظي ان الشيخ عبد الوهاب الشعراني قال في بعض كتبه وجامع الزيتونة ببلاد المغرب مما يلحق بالمساجد الثلاثة اه وكتاب الشهب المخرقة اشتهر بين الناس باسم كتاب « الشهب المحرقة » بالحاء لا بالخاء وهو غلط والصواب ما ذكرنا وهذا الكتاب الذي احتوى على مائة وستين شهابا لا يوجد منه غير نسختين احداهما مفقودة لا يدرى اين هي ونصها غير مطابق لنص النسخة الثانية المخطوطة والمحفوظة بخزانة جامع الزيتونة تحت عدد ٤٧٤٥ وهذه النسخة الثانية هي التي عليها الاعتماد كما نبه لذلك المؤلف نفسه .

(١) قال العبدري في رحلته ضمن كلامه على تونس انهم كانوا يغطون صحن باب البهور بشقق الكتان (قلاع) يوم الجمعة في مدة الصيف كله لوقاية المصلين من حر الشمس وقال في الحلل السندسية ان الذي امر بعمل تلك القلاع هو السلطان ابو عمرو عثمان الحفصي وهذا ليس بصحيح لان القلاع بصحن الجامع كانت موجودة في عام ٦٨٨ الذي قدم فيه العبدري لتونس

تضمن جميع ما احتوت عليه تلك الخزائن من كتب التاريخ والسير والتراجم وقد شاركته في تحرير ذلك الفهرس الموضوع على اساليب برامج خزائن الكتب باروبا يعني بالطريقة الفنية المتضمنة للتعريف بالمؤلفات والمؤلفين وكان هذا الفهرس التاريخي هو الباعث على وضع الفهرس العمومي الجديد لكتب جامع الزيتونة الذي ظهرت منه اربعة اجزاء بعناية الدولة التونسية ومعرفة لجنة التدوين التي نعلق على همتها الرجاء باظهار بقية تلك الكنوز العلمية لانه طال انتظار احباء العلم لخروجها الى عالم الافادة والظهور ونقدر جملة هذا الفهرس الجديد بعشرة اجزاء لمجموع كتب خزائن الجامع وسنعود للكلام على هذه الخزائن العامرة عند الوصول لحديثها ان شاء الله

ولنرجع بالقاري لحديث الجامع فنقول ان سلاطين بني ابي حفص شملوا في مدتهم جامع الزيتونة بعنايتهم وبعطفهم فالسلطان المستنصر بالله جلب لقصره بارياتة حيث بستانه المعروف برياض ابي فهر ماء زغوان في سنة ٦٤٨ واجرى منه قناة لسقاية جامع الزيتونة قال حازم في مقصورته مخاطبا السلطان المشار اليه

وطود زغوان جلبت ماءه فلم يزغ عن طاعة ولاونا

وقال في مسامرات الظريف ان السلطان يحيى بن المستنصر المذكور كسا الجامع وحسنه في سنة ٦٧٦ ثم في عام ٧١٦ امر السلطان زكرياء بعمل عوارض وابواب من خشب لبيت الصلاة (١) ثم ان السلطان ابا عبد الله محمد الحفصي انشا فيه

---

(١) في ايام هذا السلطان وقع ايضا تجديد بعض سقوف بيت الصلاة منها سقف رواق المحراب واتفق ان كان الامام يومئذ هو الشيخ ابو اسحق ابراهيم بن عبد الرفيع فاذن بتغطية ذلك الرواق بالحصر حيث لا سقف له فلما صعد للمنبر لخطبة الجمعة قام رجل اسمه ابو علي القروي مشهور بالصلاح منكرا على الامام خطبته بمكان لا سقف له واغلظ عليه في القول على رؤوس الاشهاد فامر به الامام فسجن يومين واطلق في اليوم الثالث ولما آلت الدولة للامير محمد ابي ضربة ابن السلطان المتقدم ذكره حكم على الشيخ ابن عبد الرفيع بالعزل انتقاما منه ثم سجنه بالمهدية في ماجل مدة عامين ونيف لانه لما كان الشيخ ابن عبد الرفيع قاضيا للجماعة بتونس حكم بالموت على الامير محمد المذكور وهو ولي عهد ابيه في نازلة قتل ثبت رسم التدمية فيها على ابن الخليفة قال في تاريخ الدولتين ان ابن عبد الرفيع كان يقول سبب محنته هو تثقيفه للشيخ الصالح ابي علي القروي فكانت فدية سجنه اياه كل

لمقصورة التي بصحن الجنائز وبنى السبيل الذي تحتها على راس المائة العاشرة ثم ان الامير محمد باي المرادي زاد في ارتفاع صومعته ووضع بصحنه الرخامة (مزولة) لتحرير دخول وقت الصلاة وكتب عليها اسمه وفي سنة ١٠٣٧ بنى امام الجامع الشيخ محمد تاج العارفين البكري المجنبة الشرقية وكتب اسمه في سقفها اه

ومما ينبغي ان لا يغفل ذكره في هذا المقام ما حفظه التاريخ لعساكر الاسبانيول عند احتلالهم لتونس في المائة العاشرة قال في تقرير رسمي للشيخ احمد بن الخوجه كتبه رحمه الله في احوال الجامع قبيل وفاته اواخر سنة ١٣١٣ : وكان رجال السبانيول وعساكره حيوانات ضارية في صورة اناسين فمن قبائح فعلاتهم مع التونسيين وعبثهم في البلاد ان ربطوا خيولهم بجامع الزيتونة وحفروا حفرا صغيرة في بلاط صحنه كي لا تعثر بهم خيولهم واستباحوا ما بالجامع من الكتب العلمية فداسوها بخيولهم بعد ان القوها بالطرقات ومزقوها بسيوفهم وغير ذلك من افعال الحيوانات العجم اه

هذا ولقد سبقت الاشارة فيما تقدم للصومعة التي كانت متعبدا للرهبان حذو الجامع فهذه الصومعة يزعم بعض المؤرخين ومنهم الشيخ ابن ابي دينار انها كانت موجودة بذاتها في القرن الحادي عشر بعنوان مادنة للصلاة وقدروا ارتفاعها بنحو ثمانية اذرع قال وفي سنة ١٠٦٣ زاد في ارتفاعها الباي محمد باشا المرادي وكان بواجهتها حجارة منقوش عليها ابيات من نظم الاديب الشريف السوسي مطلعها

تأمل نقوش الحسن صنعن بالايدي ... فلطف البنا ينبيك عن جوهر الفرد

ومنها في الاشارة لاسم مجددها

فمن مثل مولانا بحضرة تونس ... محمد باي ثابت الفضل والمجد

وبيت التاريخ

ينادي الورى تم البناء فارخوا ... بناءي عليه رونق الملك والسعد

١٠٦٣

وكان ارتفاع تلك الصومعة بعد ذلك التجديد خمسين ذراعا (٣٠ ميتر) ودامت

يوم بعام لانه حبسه يومين وبعض يوم فقضى هو بالماجل الذي سجن به في المهدية عامين ونيفا وسياتي الكلام بزيادة بسط على الشيخ ابن عبد الرفيع في سلسلة ايمة جامع الزيتونة .

كذلك الى ان ابلتها السنون فتداعت للسقوط في حدود سنة ١٣٠٩ وجددت عمارتها على ما هي عليه اليوم في ارتفاع ثلاثة واربعين مترا بمعرفة الامين ابي الربيع سليمان النيقرو مهندس البناء واقيم فيها الاذان لاول مرة لصلاة عصر يوم ٢٦ رمضان سنة ١٣١٢ بحضور المقدس المولى علي باي الثالث وآل بيته ووزرائه والعلماء والاشراف والخاصة والكافة وبلغت مصاريف تجديدها على نفقة جمعية الاوقاف الى مائة الف وعشرة الاف من الفرنكات بسكة ذلك الوقت وهو مقدار يتجاوز المليون بسكة هذا الزمان ولما تم بناؤها كتبوا على واجهتها تاريخ تجديدها في قصيدة عصماء من نظم العلامة الاستاذ الشيخ سالم بوحاجب مطلعها

نال فوزا بمناه كل ساع كي يرى مشمول فضل ذي اتساع

ومنها في الاشارة لاسم امير العصر

حضرة الباشا علي من له في قلوب الخلق للود ازدراع

وبيت التاريخ

ولسان الصدق قد ارخه لمنار الدين حق الارتفاع

١٣١٢

ومن غريب الاتفاق ان كان يوم افتتاح هذه الصومعة (٢٦ رمضان) موافقا في النظام الشمسي بحساب الزيج القديم المعروف بالاعجمي ليوم « تاسع مارس » وهذان اللفظان يوافقان بحساب الجمل العدد ١٣١٢ الذي هو عام البناء كما سبقت الاشارة اليه

واخر اصلاح وقع اجراؤه بجامع الزيتونة هو تجديد قبة محرابه في هذا العام (١٣٥٧) وهي من بقايا القرن الثالث كما تقدمت الاشارة لذلك بنيت في زمن زيادة الله بن الاغلب (١) قال في مسامرات الظريف : ان زيادة الله بن الاغلب بنى بالجامع

---

(١) بنو الاغلب تولى الامارة منهم ثلاثة باسم زيادة الله وصاحب قبة جامع الزيتونة هو زيادة الله الثاني وكانت ولايته سنة ٢٤٩ وامازيادة الله الاول فقد تولى الامارة سنة ٢٠١ وزيادة الله الثالث تولاها سنة ٢٩٠ وهو قاتل ابيه ومن يده خرج الملك من بيت الاغالبة سنة ٢٩٦

الابنية الضخمة حين بنى سور الحاضرة التونسية ونقش في القبة التي فوق المحراب اسم امير المؤمنين المستعين بالله العباسي بتاريخ سنة خمسين ومائتين اه وفي المونس ان السلطان ابا اسحق ابراهيم بن ابي يحيى الحفصي جدد تلك الكتابة بالارزرد في سنة ٧٦٠ — هذا وقد بلغت نفقة التجديد الاخير للقبة المتحدث عنها في عامنا الحاضر الى نحو ستين الف فرنك ولا يسع الناظر في جمال هذه القبة التي اعيد بناؤها على قواعدها الاول الا ترطيب لسانه بالدعاء لامير هذا العصر لان حسنة تجديدها كتبتها يد الاقدار بصحيفة مساعيه الجليلة في سبل البر وبديهي ان لجمعية الاوقاف قصب سبق في هذه المنقبة التي خلدت جميل الذكر لمديرها المفرد العلم صاحبنا امير الامراء السيد محمد سعد الله كثر الله من امثاله واثابه وانابه

ايمة جامع الزيتونة

كانوا في الدولة الحفصية يولون الامام الاول بعنوان خطيب الجامع ويضيفون اليه الفتيا الشفاهية في غالب الاوقات ومن يولونه اماما به لم يكن له حق في الخطبة الا بطريق النيابة فكل خطيب امام وليس كل امام خطيب وقد اتفق لبعض الخطباء من الايمة البكريين في القرن الثاني عشر تفويض الامر لهم بالولاية والعزل في خليفة الامام (١) وناظر الاحباس وسائر ارباب الشعائر كما ستراه بمحله

---

(١) كانت السنة في القديم ان ايمة جامع الزيتونة ثلاثة الامام الاول ويختص بالجمعة والعيدين والامام الثاني ويسمى الخليفة ويختص بمباشرة الصلوات الخمس والامام الثالث ويسمى النائب يستخلفه الامام الثاني عند طرو عذر عليه وفي دولة المشير محمد الصادق باي زيدت خطة امام رابع بعنوان نائب ثان ثم زيدت خطة امام خامس بعنوان صلاة التراويح ثم الغيت هذه الخطة في عهد المولى محمد الناصر باي واعيد احياؤها في عهد المولى محمد الحبيب باي ثم الغيت من جديد واستقر قرار الامامة بجامع الزيتونة لهذا الزمان (١٣٥٧) في الامام الاول وفي الامامين الثاني والثالث وفي نائبين عنهم

وكانوا في اوائل الدولة الحسينية يسندون خطة الامام الثاني خليفة الامام الاول لقاضي الجماعة بتونس فكان الشيخ محمد سويسي قاضيا واماما ثانيا بجامع الزيتونة ولما

وبالتالي وقع الجمع بين خطتي الخطابة والامامة بجامع الزيتونة وهي الحالة الموجودة هذا الزمان وحيث كان المفهوم من معنى خطيب الجامع هو امامه ناسب اتخاذ العنوان لمفتتح به هذا الفصل لذكر السلسلة الذرية الجامعة لاسماء الايمة الخطباء بجامع الزيتونة من اوائل المائة الثامنة الى هذا العهد اعتمدنا في ترتيب اسمائهم على ما جاء في تاريخ الوزير ابن ابي الضياف وفي مسامرات الظريف ولنبتدي في ذلك باسم قاضي الجماعة الشيخ ابي اسحق ابراهيم بن عبد الرفيع الذي فارق امامة الجامع في حياته وتولاها مكانه الفقيه الشيخ هارون الحميري واليك البيان

عدد ترتيبها	اسماء الايمة	وفيات سنة	تعليقات تاريخية
١	الشيخ ابراهيم بن عبد الرفيع	٧٣٣	تولى قضاء الجماعة بتونس وكان صاحب علم واسع وعزيمة ثابتة مع مهابة واقدام في الحق لا تلوي عصاه شوكة اهل الدولة ومن كان كذلك لا يخلو حاله من حساد واضداد لا سيما من اهل طبقته قالوا ان من اكبر خصومه الشيخ محمد بن عبد السلام الهواري عمدة المذهب المالكي وفي اخر عمره عاكسته الايام وكان سبب نكبته حكمه بالموت على ابن السلطان ابي يحيى زكرياء بن ابي العباس الحفصي لتعمده قتل النفس بالباطل . قال في شجرة النور الزكية : ولما عفا عنه اولياء القتيل بقي في

توفي في سنة ١٢٠٢ خلفه في الخطتين الشيخ محمد الطوبي وتوفي سنة ١٢١٧ فخلفه فيهما الشيخ عمر المحجوب ولما صرف عنهما في سنة ١٢٢١ فصل المولى حموده باشا يومئذ بين الخطتين فاولى الشيخ الطاهر بن مسعود اماما ثانيا بالجامع واسند خطة القضاء لغيره من الفقهاء وبطل التلازم بين الخطتين من يومئذ قالوا انه فعل ذلك تفاديا من مظنة ان بعض الخصوم ربما لا يرضيهم امامة القاضي فيؤمهم وهم له كارهون وفي الترمذي من حديث ابي امامة ثلاثة لا تجوز صلاتهم وآذانهم العبد الآبق وامراة باتت وزوجها عليها ساخط وامام ام قوما وهم له كارهون (أي بحق)

عدد ترتيبي	اسماء الايمة	تاريخ وفياتهم	تعليقات تاريخية
			حبس القاضي على مقتضى المذهب المالكي من سجن القاتل عاما ثم ضربه مائة ان لم يقع القصاص كفارة للقتل اذا كان القتل باقراره. ولبث في السجن حتى اخرجه اهل الحل والعقد منه وبايعوه لما نفض ابوه يده من السلطنة اه وقال في تاريخ الدولتين ان هذا القاضي مات عن خمس وتسعين منها ثلاثون يتردد فيها القضاء بين تبرسق وقابس ثم ترقى الى قضاء تونس فداوله في خمس دول اولها في جمادى الاولى عام ٦٩٩ وكانت له معرفة بالوثائق والاحكام منفذا لاحكامه غير متهيب للامراء مقبوض اليد سالم العرض وله تصانيف منها مفيد الحكام ومنها الرد على المنتصر ومنها اختصار اجوبة ابن رشد ومنها الاجوبة عن اسئلة اوردها القاضي ابوبكر الطرطوشي اه نسبة لطرطوشة مدينة قريبة من ساحل البحر المتوسط باسبانيا دمرتها قنابل الحرب الداخلية القائمة باسبانيا لهذا الزمان (١٣٥٧)
٢	الشيخ هارون الحميري	٧٢٩	
٣	الشيخ محمد بن عبد الستار التميمي	٧٤٩	
٤	الشيخ عمر بن عبد الرفيع	٧٦٦	
٥	الشيخ محمد بن عرفه الورغمي	٨٠٣	قال في الحلل السندسية : اول مرة رقى المنبر قال ايها الناس

عدد ترتيبي	اسماء الايمة	تاريخ وفياتهم	تعليقات تاريخية
			يرفع الدهر اناسا بعد ان كانوا سفاله من له في الغيب شيء لم يمت حتى يناله قلت هو اشهر ايمة المالكية بتونس في السابق واللاحق وافق تاريخ ولادته لفظ سرور باضافته للمتكلم (سروري : ٧١٦) ووافق تاريخ وفاته لفظ خراب (٨٠٣) بحساب الجمل وقبره معروف ومزار بجبل الزلاج على مقربة من المقام الشاذلي كان معاصرا لولي الدين ابن خلدون وكانا على طرفي نقيض لم يجمع بينهما كاس الصفا ولم يسعهما بساط الوفا . فاق ابن عرفة عصريه في علوم الشريعة وفاقه ابن خلدون في علوم الاجتماع البشري ومنها التاريخ والسياسة
٦	الشيخ ابو مهدي عيسى الغبريني	٨١٣	تولى قضاء الجماعة ولما توفى دفن بالزلاج وهو عم الشيخ احمد الغبريني دفين جبل المنار وهذا كانت وفاته سنة ٧٧٠
٧	الشيخ ابو القاسم البرزلي	٨٤١	ممن انتهى اليهم العلم كان يلقب بشيخ الاسلام مات عن مائة وثلاث سنين قال في الحلل السندسية وممن اخذ عن ابن عرفة الشيخ احمد بن محمد الهنتاتي ابو العباس شهر الشماع (والد المؤرخ) قاضي محلة السلطان ابي فارس له نزاع مع البرزلي في مسألة العقوبة بالمال رد فيها على البرزلي وشنع عليه غاية في قوله بجوازها والف فيها تأليفا في كراريس سماه مطالع التمام ومنجاة الخواص والعوام في رد القول باباحة غرم ذوي الاجرام

عدد ترتيبي	اسماء الايمة	تاريخ وفياتهم	تعليقات تاريخية
			وذكر فيه انه تواتر عنده عن شيخه ابن عرفة انه كان يقول في سجوده : اللهم احفظ دين محمد صلى الله عليه وسلم من البرزلي اه
٨	الشيخ ابو القاسم الوشتاتي القسنطيني	٨٤٦	توفى قتيلا عند سلامه من صلاة الصبح وهو جالس على سجادته عند باب البهور حيث صلى بالناس وقتل قاتله في الحين تحت صومعة الجامع
٩	الشيخ عمر بن محمد القلشاني	٨٤٧	صاحب شرح الطوالع ومختصر ابن الحاجب والقلشاني نسبة لقلشانة بلدة قريبة من القيروان عفت رسومها لهذا الزمان وبعض المؤرخين يكتبونها بالجيم فيقولون قلجاني لا قلشاني كالشيخ ابن ابي دينار والعامة صحفوها تصحيفا اخر فجعلوها قرشاني كأن لفظها مشتق من القروش المشرقية
١	الشيخ محمد المسراتي	٨٥٠	قال في الحلل السندسية انه مات سنة ٨٤٨ والارجح ما ذكرنا كان فقيها ومدرسا ولكنه لم يتول خطة الفتوى بالجامع خلافا للقاعدة المعمول بها في ذلك الوقت . قال في ابتسام الغروس حصل نزاع بينه وبين الولي سيدي احمد بن عروس في شان دار محبسة على امام جامع الزيتونة افضى بالامام للشكاية بالشيخ رضي الله عنه للقاضي الشيخ محمد بن عقاب وهذا بدوره سعى لحمل الشيخ ابن عروس على الحضور لديه فدعا الشيخ عليهما وماتا لقريب من ذلك ولكل اجل كتاب
١١	الشيخ محمد بن محمد ابن عقاب التونسي	٨٥١	جمع بين قضاء الجماعة والخطابة بجامع الزيتونة وتوفى في جمادى الاخرة سنة ٨٥١ وصلي عليه بجامع الزيتونة ودفن بجبانة سيدي ابي سعيد اه من الحلل

عدد ترتيبي	اسماء الايمة	تاريخ وفياتهم	تعليقات تاريخية
١٢	الشيخ محمد بن ابي بكر الونشريسي	٨٥٣	تولى في ثالث محرم ٨٥٢ ومنه يستفاد ان الخطة بقيت شاغرة بعد وفاة سلفه اكثر من ستت اشهر وهو امر غريب لا سابقية له في تاريخ الجامع
١٣	الشيخ محمد بن سليمان البحيري	٨٥٨	جمع بين قضاء الانكحة والخطابة
١٤	الشيخ احمد القلشاني	٨٦٣	لما توفى حضر السلطان جنازته قال . في الحلل السندسية : بعث السلطان (ابو عمرو عثمان بن محمد المنصور بن ابي فارس) ام ولده (ابي عبد الله محمد المسعود) لقاضي الجماعة بتونس ابي العباس احمد القلشاني يخيره ان يتولى خطابة جامع الزيتونة والفتيا به بعد صلاة الجمعة عوض الشيخ البحيري مع القضاء او يترك القضاء ويبقى على خطبته خاصة فاستخار الله في ذلك وكتب براءة بخطه في ذلك في سابع رجب باختيار الخطبة والفتيا واستعفاه عن قضاء الجماعة فاعفاه اه قلت يستفاد مما تقدم ان من سلاطين بني ابي حفص من كان يستعين باهل حرمه في المصالح العامة كالسلطان ابي عمرو عثمان المتقدم ذكره ولا تنسى ان ام هذا السلطان كانت اروباوية وكذلك ام ولده محمد المسعود التي تمت على يدها ولاية الشيخ احمد القلشاني خطيبا بجامع الزيتونة ومفتيا به فلعل انتفاعه بزوجته في امور الدولة انجر له من اخلاق وعوائد جنس امه وزوجته

عدد ترتيبي	اسماء الايمة	تاريخ وفياتهم	تعليقات تاريخية
١٥	الشيخ احمد المسراتي	٨٨٢	هو الذي تقدم للصلاة على الشيخ سيدي احمد ابن عروس عند وفاته في سنة ٨٦٨
١٦	الشيخ محمد القلشاني	٨٩٠	كان قاضيا ومفتيا واماما وخطيبا في وقت واحد وهو جد ءال البيت المرادي لامهم
١٧	الشيخ محمد بن قاسم الرصاع	٨٩٤	شارح كتاب حدود الامام ابن عرفه تولى قضاء المحلة ثم قضاء الانكحة ثم قضاء الجماعة ولقب بالرصاع لان جده كان نجارا يرصع المنابر . وكان لهم في الدولة الحفصية زيادة على خطط القضاء المذكورة قاض للمعاملات وقاض للاهلة . قال في المونس وقاضي الجماعة بتونس هو قاضي القضاة في اصطلاح اهل المشرق قلت وفي الدولة الحسينية كانوا يقدمون من فقهاء المالكية لخطة قضاء المحلة ثم لخطة قضاء باردو ثم لخطة القضاء او الفتوى بتونس وءاخر من تولى القضاء بباردو الشيخ ابو حفص عمر بن الشيخ ومنه انتقل للفتوى بالحاضرة وهو اول من تولى مفتيا بالعنوان الشرفي وتوفى سنة ١٣٢٩ وكانوا يولون امام المحلة من الفقهاء الحنفية وءاخر من تولى هذه الخطة المدرس الشيخ حمده الخوجة وماتت بموته في سنة ١٣١٨
١٨	الشيخ محمد بن عصفور	٩٠٤	حفيد الاستاذ النحوي ابي الحسن علي بن موسى الاشبيلي الملقب بابن عصفور وفي حجره توفى الولي الشيخ سيدي منصور بن جردان بمقصورة الجامع الشرقية في سنة ٩٠٤

ومن هنا انقطع الخبر وعمي الاثر وطوي بساط تفاصيل اخبار العلماء لما دهم الحاضرة التونسية في المائة العاشرة من الهموم والغموم والمحن والفتن بتقلص ظل الدولة الحفصية واستيلاء الاسبانيول على تونس الى ان تداركها الوزير سنان باشا بامر السلطان سليم خان الثاني فكان امام الجامع اثر الفتح العثماني

عدد ترتيبي	اسماء الايمة	وفاتهم	تعليقات تاريخية
١٩	الشيخ محمد بن ابراهيم الاندلسي	«	
٢٠	الشيخ ابو الفضل ابن ابي القاسم البرشكي	٩٩٢	
٢١	الشيخ محمد بن سلامه	٩٩٣	
٢٢	الشيخ محمد الاندلسي	١٠١٧	
٢٣	الشيخ ابو يحي بن قاسم الرصاع	١٠٣٤	
٢٤	الشيخ تاج العارفين البكري		كان حيا في سنة ١٠٣٧
٢٥	الشيخ ابو بكر البكري	١٠٧٢	جلس لاقراء صحيح البخاري دراية بجامع الزيتونة وعمره ١٧ سنة
٢٦	الشيخ ابو الغيث بن ابي بكر البكري	١١١١	قال في كتاب الشهب المخزقة انه توفى ليلة الخميس ثاني عشر ربيع الاول سنة ١١١٠
٢٧	الشيخ علي بن حميده الرصاع	١١٢١	
٢٨	الشيخ علي بن ابي بكر البكري	١١٢٣	

عدد ترتيبي	اسماء الايمة	تاريخ وفياتهم	تعليقات تاريخية
٢٩	الشيخ حموده البكري		وقفت على امر ولايته الامامة والخطابة وهو مؤرخ باواسط شعبان ١١٢٣ صدر من الباي المولى حسين ابن علي
٣٠	الشيخ ابو الغيث بن علي البكري (١)		

(١) اطلعني حفيده الفاضل السيد البشير البكري على مجموعة وثائق تاريخية نفيسة من ءاثار اجداده الاكرمين فاقتطفت منها عيونا اضفتها لما اشتملت عليه مكتبتي من الوثائق التاريخية ومن ذلك امر ولاية الشيخ ابي الغيث البكري الامامة والخطابة بجامع الزيتونة تنقل هنا عبارته بنصها ليعلم منها القاري كيفية المراسيم الملكية في ذلك الزمان وما هي الامتيازات التي كانت ممنوحة لآل البكري الاعلام :

من عبد الله سبحانه المتوكل عليه المفوض جميع اموره اليه الراجي عفوه وغفرانه يوم الوقوف بين يديه المعظم الارفع والصدر الهمام الانفع الواثق بالملك الحي ابي عبد الله حسين باي ادام الله ايامه وايد بالشرع العزيز احكامه ءامين بمنه وكرمه الى من يقف على امرنا هذا من السادات العلماء الاعلام والفقهاء الكرام والمفتين والقضاة والكواهي والاغوات والخاص والعام من ذوي الاحكام بمحروسة تونس اصلح الله امر الجميع ووفق الكل الى صالح القول وحسن الصنيع اما بعد فاننا قدمنا على بركة الله تعلى المكرم الاجل الوجيه الاقبل الفقيه العالم المدرس السيد ابا الغيث ابن المنعم المرحوم برحمة الحي القيوم ابي الحسن علي البكري نفعنا الله ببركاتهم واعاد علينا من سحائب خيراتهم ءامين اماما بجامع الزيتونة بمحروسة تونس وخطيبا به وقدمناه على زاوية جده سيدي ابي الغيث القشاش وعلى زاوية جده سيدي ابي بكر وعلى احباسهما وعلى رعاياهما حيث كانت على عادتهم السابقة المبينة بالاوامر التي بايديهم وقدمناه على الاحباس التي تحت نظره من زوايا ومدارس وغيرها على عادة والده واجداده من قبله كما سرحنا له ما له من الاملاك والزرع الذي يحرثه بمواشيه وعشره من الطعام والزيتون وياخذ فيتورة زيتونه كعادتهم السابقة وكذلك سرحنا له جميع ما هو في الاوامر السابقة التي بيده تسريحا تاما مطلقا موسعا عاما من غير معارض له في ذلك ولا مدافع ولا مخاصم واوصينا برعيه ومراعاته واحترامه وعدم الجسارة عليه بحيث لا تهتك له حرمة ولا يهضم له جناب ولا يطرقه احد بمضرة ولا بمكروه ولا يقاس

عدد ترتيبي	اسماء الايمة	وفيات تاريخ	تعليقات تاريخية
٣١	الشيخ حمودة الربكلي	١١٦١	
٣٢	الشيخ عثمان البكري (١)	١١٧٦	

بما يقاس به غيره مع حمله على كاهل المبرة والاكرام وله منا الحظ الوافر ومزيد الاحترام فعلى من يقف عليه ان يعمل بمقتضاه ولا يخالف على ما فيه ولا يتعداه وكتب عن اذنه حفظه الله تعلى ورعاه ومن كل مكروه وسوء حماه بتاريخ اواخر قعدة الحرام من عام ثلاثين ومائة والف اه.

(١) هذا نص الامر الصادر في ولايته من المرحوم محمد (الرشيد) باي وقد تضمن عبارة التفويض له بالولاية والعزل كما سبقت الاشارة لذلك في فاتحة هذا الفصل واليك ذلك :

من عبد الله سبحانه المتوكل عليه المفوض جميع اموره اليه الراجي عفوه وغفرانه يوم الوقوف بين يديه الفقير لرحمة ربه محمد باي وفقه الله وسدده واعانه وارشده الى من يقف على امرنا هذا من العلماء الاعلام والفقهاء الكرام والمفتين والقضاة والكواهي والاغاوات وسائر ولاة الاحكام والخاص والعام بالحضرة التونسية والمملكة الافريقية سدد الله احوال الجميع ووفق الكل لصالح القول وحسن الصنيع اما بعد فاننا اولينا على بركة الله تعلى وحسن عونه المكرم الاجل العالم العلم الاكمل الزكي الافضل سلالة الصالحين وبقية العلماء العاملين محبنا الشيخ الفاضل ابا عمرو السيد عثمان البكري العثماني وجعلناه اماما خطيبا بالجامع الاعظم جامع الزيتونة داخل محروسة تونس يصلي به الجمعة والعيدين وجعلنا له النظر على جميع اموره وكافة اسبابه وشؤونه عموما واطلاقا شمولا واستغراقا على مقتضى ما بيده من الاوامر السابقة لاسلافه الكرماء وسحبنا نظره في الولاية والعزل على الخليفة ووكيل الاحباس والزوار وسائر خدمة الجامع من مؤذنين ووقادة وغيرهم بحيث يكون جميع امر الجامع المذكور تحت نظره واشرافه واجريناه على عادة اسلافه في الرواتب والعوائد والرواية والدراية فله مالهم وعليه ما عليهم من غير معارض له في ذلك ولا منازع ولا مخاصم ولا مدافع ولا يد فوق يده ولا مشارك له في النظر مبجلا مكرما موقرا معظما مرموقا بعين الاحترام متناولا بيد الاكرام مقابلا بالمبرة والتعظيم مجازى بالاجلال والتكريم

عدد ترتيبي	اسماء الايمة	تاريخ وفياتهم	تعليقات تاريخية
٣٣	الشيخ حمودة البكري		
٣٤	الشيخ ابو الغيث بن حمودة البكري		
٣٥	الشيخ علي بن ابي الغيث البكري	١٢٢٧	هو اخر الائمة من بيت البكري دامت امامة الجامع في بيتهم ١٩٣ عاما
٣٦	الشيخ حسن بن عبد الكبير الشريف	١٢٣٤	هو اول من تولى امامة جامع الزيتونة من آل بيت الاشراف الموجودين لهذا الزمان وكان فقيها متوسع المعرفة في علوم العربية مع براعة في النظم والنثر ولكنه كانت به غفلة تولى الكتابة عن الباي حمودة باشا ثم صرفه عنها بدسيسة دسها له الوزير الكاتب الشيخ حمودة بن عبد العزيز قال في مسامرات الظريف: له ديوان في غاية النفاسة جمع به خطبه التي كان يخطب بها من انشائه بجامع الزيتونة مما لا زال يتداوله خطباء تونس وله حاشية جليلة على كتاب القطر في النحو سلك فيها مسلك المحققين وحاشية على شرح ميارة على لامية الزقاق وتأليف في الفقه سماه معين المفتي مع كتابة

كما له منا مزيد الاحترام والبرور والتوقير مدا الدهور اذ هو اهل لكل كريمة مجانب لكل ذميمة سالكا في طريق السداد مقتفيا سبيل الرشاد موصى في جميع اموره بتقوى الله العظيم في السر والعلانية انه منه بالمرصاد لا تخفاه خافية فعلى الواقف على امرنا هذا ان يعمل بمقتضاه ولا يخالفه ولا يتعداه ان شاء الله تعالى والسلام وكتب عن اذنه حفظه الله تعالى بتاريخ اوائل شهر ربيع الاول النبوي سنة ١١٧٠ ـ اهـ

عدد ترتيبي	اسماء الايمة	تاريخ وفياتهم	تعليقات تاريخية
			حافلة على شواهد المغني ولما توفى في سنة ١٢٣٤ رثاه الشيخ احمد الكيلاني بقصيدة مطلعها ايا عين فيضي واهطلي بسجام امام ضريح ضم ازكى امام ومنها قوله تآليفه قد طار في الارض صيتها بتحرير ابحاث وحسن نظام وختمها بقوله عليك سلام الله ما هبت الصبا وما لاح برق من خلال غمام مدا الدهر ما قد قال فيك مؤرخ فلله من رمس لاسمى همام ١٢٣٤ قال الشيخ ابن ابي الضياف لما وضعوه في قبره نزل امير العصر وهو المولى حسين باي الثاني للقبر وباشر لحده بنفسه رحمه الله تعلى ورضي عنه
٣٧	الشيخ محمد بن عبد الكبير الشريف	١٢٥٥	قال في مسامرات الظريف ان هذا الامام كان مطلوبا في نازلة شرعية عند القاضي الشيخ احمد ابن الخوجه الاول فارسل اليه فامتنع من القدوم عليه فكرر استدعاءه وتشدد عليه في ذلك فلما كانت تلك الليلة راى القاضي النبي صلى الله عليه وسلم يامره بمساعدته وقال له انه ولدي وعند ما اصبح اسعى اليه بنفسه وبمجرد تلاقيهما اكبا علي

عدد ترتيبي	اسماء الايمة	تاريخ وفياتهم	تعليقات تاريخية
			بعضهما يبكيان وتسامحا احسن مسامحة وعند ذلك بادر الشيخ الامام الى اداء ما عليه من الحق رضي الله عنهما اجمعين اه وهذه الواقعة هي التي اشار لها الشيخ السنوسي في قصيدته المسماة الاجنة الدانية الاقتطاف بمفاخر سلسلة الاشراف حيث يقول والمصطفى امر القاضي ببره في فصل القضا حيث ما في حكمه جدل فجاءه بترضي وهو سامحه مبادرا لاداء الحق يمتثل
٣٨	الشيخ ابراهيم الرياحي (١)	١٢٦٦	كان من علماء الظاهر والباطن استغرقت ترجمته في كتاب مسامرات الظريف اكثر من مائة

(١) رايت بخط بعض الافاضل نقلا عن كناش للشيخ محمد بيرم الرابع ومن خط يده قوله :

تساجل الشيخ محمد الخضار والشيخ محمد بن الخوجة والشيخ ابراهيم الرياحي في رجب عام ١٢٥٥ (غرة رجب ١٢٥٥ توافق بالحساب الشمسي يوم ٢٨ اغشت الاعجمي سنة ١٨٣٩) بالمجلس المنعقد بحلق الوادي بما ياتي

قال الشيخ الخضار

عجبت لمسلوب من الفضل يدعي كمالا وحظ النفس منه التقاعد

وقال الشيخ ابن الخوجة

ولا ينفع الانسان دعوى فضيلة اذا لم تكن منها عليها شواهد

وقال الشيخ الرياحي

كمن يدعي نيلا لاعلى فضيلة من العلم وهو الدهر كسلان راقد

هذا ما وجد بكناش الشيخ بيرم الرابع في حق هذا التساجل الذي ضبط تاريخة وموقعه ولكنه لم يبين رموزه وكانه يشير بالمجلس المنعقد بحلق الوادي للاجتماع الدوري الذي كان يعقده سمو الباي بسرايته لحضور اهل المجلس الشرعي

عدد ترتيبي	اسماء الايمة	تاريخ وفياتهم	تعليقات تاريخية
			صفحة وقد توفق حفيده الشيخ ابو حفص عمر الرياحي لجمع اخباره في كتاب (تعطير النواحي) المحتوي على جزءين تضمنا ترجمة الشيخ مع بعض فتاويه وخطبه واشعاره والشيخ ابراهيم الرياحي هو الذي نشر الطريقة التجانية بتونس اخذ دستورها مباشرة عن صاحبها ولي الله الشيخ سيدي احمد التجاني في سنة ١٣١٨ وزاويته المقبور بها هو المؤسس لها وتوفى الشيخ قبل اتمام عمارتها فاتمها المشير احمد باي في عام ١٢٧٠ وقد ارخ الشيخ الباجي المسعودي هذه العمارة بقصيدة مطلعها

لفصل النوازل بمرأى منه ومسمع ولكن هذا المجلس المشار اليه بكناش الشيخ الرابع وافق المدة التي تولى اثناءها الشيخ ابراهيم الرياحي الامامة الكبرى بجامع الزيتونة وكنت اميل للظن بان ابيات التساجل التي نقلنا نصها قيلت بمناسبة هذه الولاية لولا ان هذا الظن — وبعض الظن اثم — لم يساعده تاريخ ولاية الامامة المشار اليها وان اختلف المؤرخون في ضبطها بالتدقيق فالوزير المؤرخ الشيخ احمد بن ابي الضياف قال اولا في الجزء الثاني من كتابه عند ذكر حوادث سنة ١٢٥٥ : ان امام الجامع الشيخ محمد بن عبد الكبير الشريف توفى ليلة الاربعاء الحادي والعشرين من جمادى الاولى سنة ١٢٥٥ وقدم الباي عوضه الشيخ ابراهيم الرياحي والامام الثاني يومئذ هو الشيخ محمود محسن ولم يستنكف من تقديم الشيخ ابراهيم عليه اه ولكنه قال في الجزء الرابع من تاريخه عند التعريف بايمة جامع الزيتونة : ان الشيخ محمد بن عبد الكبير الشريف (المتقدم ذكره) توفى في السابع والعشرين من جمادى الاولى سنة ١٢٥٥ ومن الغد تقدم عوضه للامامة الشيخ ابراهيم الرياحي اه وهذان القولان خالفهما الشيخ محمد السنوسي في كتاب مسامرات الظريف حيث قال : ولما توفى الامام الشريف (الشيخ محمد بن عبد الكبير) تحرى المشير احمد باي فيمن يقدمه للخطة المذكورة فقدم الشيخ ابراهيم الرياحي اماما اكبر بجامع الزيتونة اواخر

عدد ترتيبي	اسماء الايمة	تاريخ وفياتهم	تعليقات تاريخية
			قف بالمقام مقام ابراهيم وانشق من الارج العطير شميما وبيت التاريخ يا من يؤمل بابه كن ءامنا قف بالمقام مقام ابراهيم ١٢٧٠ ولما ءالت الدولة للمشير الثاني محمد باي شمل بعنايته الزاوية المذكورة ورتب بها ميعاد الطريقة التجانية التي كان سموه ينتسب اليها وعلى ذلك المنوال نسج اخوه المشير الثالث محمد الصادق باي حيث امر بالزيادة في تفخيم شانها فسعى الوزير خير الدين لانجاز ذلك بطريقة جمعت بين ما صدر به الامر

جمادى الثانية سنة ١٢٥٥ اهـ ولم يتعرض صاحب كتاب تعطير النواحي للشهر الذي تولى فيه جده الشيخ ابراهيم الامامة بل اكتفى بذكر عامها ١٢٥٥ فقط واردفها بقصيدة فاخرة في التهنئة بالامامة من نظم الشيخ محمد بن يونس من تلاميذ الشيخ ابراهيم وهذه القصيدة لم تتضمن تلميحا او تلويحا لحادثة ابيات التساجل ولم تشتمل من ناحية اخرى على اشارة لشهر الولاية فالمؤرخون الثلاثة على وفاق في ان عام الولاية هو سنة ١٢٥٥ ولكن اثنين منهما اختلفا في شهرها فالشيخ ابن ابي الضياف جعلها في اواخر جمادى الاولى مع تقديم وتاخير بمقدار اسبوع والشيخ السنوسي جعلها في اواخر جمادى الاخرة وعزز روايته بقوله ان الباي تحرى فيمن يختاره اماما عوض الشيخ محمد بن عبد الكبير الشريف واذا كانت رواية الشيخ السنوسي هي الصحيحة فمن المحتمل القريب ان الولاية المتحدث عنها كانت في محاق شهر جمادى الآخرة وهذا المحاق قد يكون في الحقيقة هو غرة الشهر التالي وحينئذ تكون ابيات التساجل عائدة لمجلس ولاية الشيخ ابراهيم الامامة ومنه نستخلص ان هاتيك الابيات كانت ترمي

عدد ترتيبها	اسماء الايمة	تاريخ وفياتهم	تعليقات تاريخية
			وبين احياء صناعة النقش حديدة التي تناولها الفتور بتونس وءاثر لذلك قبة الزاوية وصرف في ذلك السبيل مائة الف ريال بسكة ذلك الزمان فجاءت بدعا في بابها تحاكي جمال تخاريم الابنية الاندلسية بقصور حمراء غرناطة وكان تمام القبة المشار اليها مع تجديد عمارة الزاوية في سنة ١٢٩٥ وهذا التجديد ارخه الشيخ محمد بن عثمان السنوسي بقصيدة مطلعها لمقام ابراهيم فادخل ءامنا تجلو به فضلا عظيما كامنا وبيت التاريخ فهو الذي لمؤرخيه جوابه لمقام ابراهيم فادخل ءامنا ١٢٩٥

لوجود شخص او اشخاص مدوا اعناقهم لتلك الخطة وكان حظها بالآخرة من نصيب الشيخ ابراهيم لا سيما وانه كان له يومئذ منة في رقبة الباي من اجل المامورية السياسية التي انفذه المشير احمد باي لقضائها في العام السابق (١٢٥٤) لدى الباب العالي وعاد منها كما كان يؤمله الباي من عدم تحميل تونس خراجا تدفعه سنويا للباب العالي فلما حضرت فرصة الاحسان اليه بما يناسب مقامه خلع عليه الباي بالامامة الكبرى زيادة على رئاسة المذهب المالكي التي كانت بيده من ايام المولى حسين باي فكان الشيخ ابراهيم رحمه الله اول من جمع بين الرئاسة المذهبية وامامة جامع الزيتونة في الدولة الحسينية وقد اشرنا في بداية هذه التعليقة لكون المجلس الذي جمع بين الشيوخ في غرة رجب بحلق الوادي كان وقوعه في زمن المصيف وهي المدة التي كان المشير احمد باي يقضيها بسرايته الواقعة على ضفة البوغاز من جهة باب رادس اما قصره الموجود هنالك المسمى (بالبالاص) الذي هو الآن في تصرف الادارة العسكرية فانه بناه مع جامع المكان في سنة ١٢٦٩ وسكنه في العام بعده وبه ختم انفاسه في رمضان ١٢٧١

عدد ترتيبها	اسماء الايمة	تاريخ وفياتهم	تعليقات تاريخية
٣٩	الشيخ محمود بن علي محسن (١)	١٢٨٤	من ءال البيت الاطهار يلتقي مع الفرع الشريفي في جدهم الجامع الشيخ احمد الشريف المشهور بامام مسجد دار الباشا تزوج امراتين ولدت كلتاهما ذكرا كان اسم احدهما محسنا تلقب به اعقابه وهم ءال بيت محسن وكبيرهم في هذا الزمان الشيخ محمود بن محمد محسن الامام الثاني بجامع الزيتونة والفرع الاخر هم الملقبون بالاشراف وكبيرهم لهذا العهد الشيخ محمد حمده الشريف الامام الاكبر بالجامع بارك الله في ءال كلا الفرعين وادام وجودهم امانا للنفس وقرة للعين

(١) وقفت على نص الظهير الصادر له بولاية الامامة من المشير احمد باي وهو من انشاء الوزير ابي العباس الشيخ احمد بن ابي الضياف وعبارته بحروفها :

الحمد لله الذي جعل لخطباء هذه الامة شانا ، ويسر للخير منهم عملا وانطق بالصدق منهم لسانا . وهدى بمواعظهم قلوبا وفتح آذانا ، وجعل من السحر الحلال بيانا . واقام على ربوبيته في كل شيء خلقه برهانا ، ليرتاب الذين في قلوبهم مرض ويزداد الذين آمنوا ايمانا ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبده ورسوله الذي هدانا ، والى سبل النجاة قادنا ودعانا ، وارانا بمعجزاته الحق عيانا ، وانزل عليه قرآنا ، تماما على الذي احسن وتفصيلا بكل شيء وهدى وتبيانا ، وعلى له الذين جعل حبهم ايمانا وامانا . ورجح لهم بقوله : قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى ميزانا ، واصحابه الذين اسسوا من قواعد الملة اركانا ، وشيدوا من معالمها بنيانا ، وبلغوا احاديثه الينا صحاحا حسانا اما بعد فان هذا المنشور والخطاب المحرر المسطور صدر من الفقير الى ربه تعالى المتوكل عليه المفوض جميع الامور اليه المشير احمد باشا صاحب هذه المملكة التونسية لا زالت بالطاف الله محمية الى كل من يقف عليه من اهل مجلسنا العلي بالشريعة المحمدية ونوابنا في القضايا الشرعية وابنائنا امراء الامراء اعيان الوزراء وامراء الالوية وامراء

عدد ترتيبي	اسماء الايمة	تاريخ وفياتهم	تعليقات تاريخية
٤٠	الشيخ محمد بن محمد محسن	١٢٨٩	هو اخو المجذوب ولي الله الشيخ سيدي علي محسن المتوفى سنة ١٢٩٨
٤١	الشيخ صالح النيفر	١٢٩٠	جمع بين الامامة وبين خطة باش مفتي المالكية وتولى قبل ذلك (كاهية) لرئيس مجلس الجنايات مع خطة الحسبة والنظر على بيت المال . رايت في كناش لبعض شيوخ الحنفية من معاصريه حديث جملة من الوقائع حصلت في اوائل المحرم ١٢٨٥ من ذلك قوله : وفي اليوم ٥ منه مات سيدي عكاشه وهو رجل معروف بالصلاح والخير ومصطفى ولد سي حافيز باش خوجه بالمرض العام الواقع من شعبان عام ١٢٨٤ وصلي عليهما

الالايات وقائمي المقامات وامناء الالايات والبنباشية وسائر الاجناد العسكرية والقواد والمخازنية واولي الولايات العرفية سدد الله احوالنا واحوالهم وحسن بمنه مآلنا ومآلهم ليعلموا ان الفقيه النبيه الفاضل الكامل الزكي القدوة الثقة زكي الاوصاف ولباب السادة القادة الاشراف ابا الثناء محبنا الشيخ سي محمود محسن قدمناه على بركة الله تعالى اماما اولا « كذا » وخطيبا بالجامع الاعظم جامع الزيتونة عمره الله بدوام ذكره يقيم به الجمعة والعيدين وما يتيسر له من الصلوات الخمس ويروي صحيح البخاري على العادة فليقم بخطته عالما بفخامة مقدارها متصفا بما يحمد من آثارها فانها من شعاره وهو من شعارها المتسبب في طيب اخبارها لانها حلينا به حيدها وانرنا به جمعتها وعيدها اخترناه لهذا المقام الفخيم والرتبة التي لا ينالها الا ذو القلب السليم من اهل الاجلال والتعظيم وهو الاهل لمنالها والمجلي من رجالها . وعلى من يقف على هذا الظهير ويعلم قدر هذا التقرير من الولاة بسائر الجهات ان يعرف مقدار النيابة في هذه الامامة ويقابل صاحبها بما يستحقه من كل كرامة اجلالا لمنصبها الشريف وتعظيما لقدره المنيف والله يهدي للتي هي اقوم وكتب اواخر ٢٩ رمضان المعظم سنة ١٢٦٦ ست وستين ومائتين والف اه

عدد ترتيبي	اسماء الايمة	تاريخ وفياتهم	تعليقات تاريخية
			بجامع ابي محمد رحمهما الله تعلى يوم ٦ الاثنين وفيه وصل امر الحسبه ونظارة بيت المال للشيخ صالح النيفر واجري له نصف (١٠٠٠) عوائد (٢٠٠٠) الشيخ ابن عاشور المتوفى اواخر حجة ١٢٨٤ رحمه الله تعلى وامر نقابة الاشراف لسيدي العربي البشير اه قلت لا شك ان السبب الداعي لتخفيض جراية ناظر بيت المال يومئذ لنصفها هو تضايق خزينة الدولة التي كانت قريبة من حالة الافلاس في ذلك العهد وكان يبيت بالجامع للقيام بصلاة العشاء وبصلاة الصبح في زمن الصيف واتفق له حج البيت الحرام مرتين وكان عالما اعلم كتب اختاما كثيرة على ابواب عدة من الجامع الصحيح وتصدى لشرح موطا امام دار الجهرة مالك بن انس وكتب في ذلك كتابة جليلة تضمنت المقدار الذي درسه من ذلك بجامع الزيتونة
٤٢	الشيخ محمد الشريف	١٣٠٧	جمع بين الامامة والفتوى ونقابة الاشراف وكان مستجاب الدعاء غاضه احد رجال الدولة في نازلة تمسه من قريب فدعا عليه عند قراءة البخاري في احدى الليالي العشر فمات الرجل يوم العيد ولكل اجل كتاب
٤٣	الشيخ احمد الشريف	١٣٣٧	كان الركن المستلم والمثل الاعلى في حسن السلوك يحترمه الامير والمامور محاطا بمظاهر المهابة والاجلال يحبه المسلمون ويتبركون بساحته ويتيمنون برؤية محياه جمع بين نقابة الاشراف

عدد ترتيبي	اسماء الايمة	تاريخ وفياتهم	تعليقات تاريخية
			وبين الامامة الكبرى ورئاسة المذهب المالكي وكان محل الرعاية والاجلال من لدن الوزراء المقيمين نواب فرنسا بتونس ولقد اتفق لي عفوا الترجمة بينه وبين الوزير المقيم مسيو ريني ميلي في مجلس جمعت فيه الصدفة بينهما بالسكة الحديدية بين المرسى وتونس وكان الساعي في مفاتحة الكلام هو الوزير المقيم ومما قاله له ضمن حديث طويل ان هذا الاجتماع بفضيلته يعده من اسعد اوقاته وانه مع انتسابه ورسوخه في المسيحية فانه يحترمه ويجل قدره كاعرق تونسي في الاسلام
			ولما توفى رحمه الله حضر المولى محمد الناصر باي جنازته وتبرك بحمل جسده الكريم بمشاركة ءال بيته وممن حضر مشهد الجنازة مسيو فلاندان الوزير المقيم بتونس
٤٤	الشيخ محمد حمده بن احمد الشريف	بارك الله في انفاسه	ورث عن ابيه النقابة والامامة الكبرى وسلك مسلكه في العبادة والتقوى نفع الله به وبسلفه

الاحزاب المرتبة بجامع الزيتونة

تلاوة القرءان ورواية الحديث ودلائل الخيرات وغيرها

ليست رواية الحديث وحدها مما يقرا بجامع الزيتونة بل هو عامر بما هو اعم من ذلك واشمل ناهيك من تلاوة متواصلة لآيات الذكر الحكيم ءاناء الليل واطراف النهار ومن قراءة مسانيد ومن صلاة وتسليم فهو معطر الارجاء محل الخشوع والخشية والرجاء وكان ولم يزل بفضل الله محل الاجلال والاعظام من

الملوك السابقين واللاحقين الذين تداولوا حكم هـذه البلاد ومن اوفرهم حظا في هذا السبيل السلطان ابو عمرو عثمان الحفصي اذ كان هو الـذي اسس القراءة على الختمة بالجـامع قبـل صلاة الصبح وقبـل صلاة الظهر وقبـل صـلاة العصر ووقف عليها الاوقـاف الواسعة الجارية ارزاقها لهـذا الزمـان (١) مع مـا اضيف لهذه المنقبة الخالـدة من الحسنات التي توفق لها غيره قبله وبعده كحزب السبع (٢) الذي يختم فيه القرءان كل يوم جمعة وهو من محاسن السلطان ابي العباس احمد ابن ابي بكر الحفصي وعلى قياسه حزب الترغيب والترهيب بعد صلاة العصر ورواية الصحيح بين الظهرين وهي من مآثر السلطان ابي فارس عبد العزيز مفخـرة بني ابي حفص وهذه الاحزاب تضم مجالسها خلائق لا تحصى من المسلمين وربما يكون لها بين الظهرين دوي كدوي النحل وجملة الاحزاب المقروءة بجامع الزيتونة تتجاوز الخمسين حزبا في اليوم والليلة يحضرها بانتظام نحو الثلاثمائة من القراء والذاكرين وفقا لنصوص الواقفين وعدد المؤذنين وقائمي الليل والوقادون بالجامع يبلغ عددهم لمثل ذلك وكلهم اصحاب مشاركة في ذكر الله تعلى ومن اشهر هاتيك الاحـزاب احراب المحسنة الكبيرة عزيزة عثمانة (٣) وحزب الاميرة البرة تركية ابنة علي باشا واحزاب الوزير صاحب الخيرات يوسف صاحب الطابع وحزبا الآغة ابي العبـاس احمد الكبير وغيرهم مما يضيق المجال عن ذكرهم احسن الله للجميع . اما استجابة الدعاء بجامع الزيتونة فامرها بين الناس ماثور وحديثها بين اهل الفضل مذكور قالوا

---

(١) ارباع هذه الاوقاف تبلغ في هذا الزمان الى نحو ستة وثلاثين الف فرنك في العام

(٢) تسميه العامة حزب الصبع وبعض الخاصة يقولون حزب الاسبوع واسمه الصحيح هو حزب السبع كقولك حزب السبعة يعني السبعة الايام التي تبتدي بيوم السبت وتنتهي بيوم الجمعة ومن المعلوم ان القرءان بني على سبع

(٣) الحاجة عزيزة عثمانة ابنة ابي العباس احمد بن محمد بن عثمان داي لها المآثر الخالدة في سبل البر والمعروف توفيت بتونس سنة ١٠٨٠ وقبرها معروف بتربتها المشهورة بحلقة النحال جوار المدرسة الشماعية اه باختصار من كتاب شهيرات التونسيات

انه لايخلو من رجل صالح في كل زمان ومازالت به الى الان سارية تنسب لولي الله سيدي محرز بن خلف رضي الله عنه (توفى سنة ٤١٣) بقرب مقصورة الامام كما ينسبون دكانة باب الفكة للولي سيدي منصور بن جردان (توفى في سنة ٩٠٤) وكان الولي سيدي احمد السقا يجلس بباب البهور قالوا انه رمى بقربته بصحن الجامع فبقي اثرها بشكلها ازرقا حتى اليوم (توفى سنة ٧٤٣) وءاخر من عرف الناس من الصالحين الملازمين لجامع الزيتونة الولي المجذوب سيدي علي محسن (توفى سنة ١٢٩٨ وحضر الباي جنازته) وكان جلوسه بالمكان المنسوب لسيدي منصور السالف الذكر رضي الله عنهم اجمعين

معهد العلوم بجامع الزيتونة

كان الناس في البدء ياخذون العلم عن العلماء في بيوتهم وفي المساجد وكانوا يرحلون من بلد لآخر في طلب مسالة او سعيا لحل مشكلة فكان الشيخ علي بن زياد في المائة الثانية وهو اعلم اهل افريقية في زمنه يقري الفقه ببيته لطلبة العلم وكان القاضي اسد بن الفرات من فقهاء الحنفية والامام سحنون بن سعيد التنوخي من فقهاء المالكية بالقيروان يعلمان الناس ويفتيانهم بالكتابة فيما يرد عليهما من الاسئلة والمطالب وكان المربي الشيخ محرز بن خلف في المائة الرابعة يعلم الفقه ببيته لطلبة العلم بتونس وليقس ما لم يقل وبديهي ان جامع الزيتونة من اقدم معاهد العلم بتونس فقد اثبت التاريخ ان العلوم كانت تقرا به في المائة الثالثة ولكن لم يكن حالها منتظما كما هو متعارف في هذا الزمان وهكذا استرسل الامر الى قيام دولة بني ابي حفص وفي عهدهم رسخ تدريس العلم بجامع الزيتونة وتشعشعت انواره بفضل ما اضافوا له من خزائن الكتب الجامعة قالوا ان تلك الخزائن كانت تحتوي على نحو ستة وثلاثين الف مجلد في المائة الثامنة وفي تلك الاثناء ظهرت مدارس العلم بتونس واقدمها فيما نعلم المدرسة الشماعية فتكاثرت الدروس واخذ حال التعليم في الانتظام بسبب ما وقفه اهل البر والاحسان من الارزاق الجارية لاقراء علوم الشريعة ولا سيما الفقه والرواية ثم تقاصر امرها في مدة احتلال عساكر اسبانيا لتونس وكذلك

في اواخر مدة الدولة المرادية فان العلم كان كشمس على مغيب لتلاشي الكتب وفناء غالب اهل العلم ومما زاد الامر اختلالا تعاقب الاوبية في ذلك الزمان ومنها وباء سنة ١١٠٠ قال الوزير السراج ان العلم انقطع من تونس بذلك الفناء المتعاقب وبموت العلماء ماتت كتب العلم لان الكتب لا تعيش طويلا بين غير اهلها ولما اراد الله احياء ما اندرس من معالم العلم بجامع الزيتونة وفق لانتشالها من دركات الحضيض الباي المولى حسين بن علي تركي . قال الشيخ محمد سعاده من علماء دولة هذا الباي عند ذكر مئاثره الحسان في كتابه المسمى قرة العين بنشر فضائل الملك حسين المعجد ونجله الامير بن الامير سيدي محمد (١)

ومن خيراته كفاه الله بمنه الاسوآء وسلك بنا وبه طريق الهداية والتقوى وحمى طالعه من النحوس وامنه بفضله في اليوم العبوس مارتبه بجامع الزيتونة من الدروس (٢) بعد ان اشرف العلم منه على الانقراض والدروس فتدعم بذلك الترتيب الان اساسه وحي فضلاؤه وناسه وانتشر فيه العلم اي انتشار وارتحلت اليه الطلاب من سائر الاقطار فحبوا من العلم بالوابل المدرار وعمرت بذلك الربوع والديار واوسع لاهله العطايا ونوه بارتفاع قدرهم في البرايا بعد ان كانوا من كد العيش في خلال العامة محسوبين وفي تحصيله بينهم جادين متعوبين فعطف عليهم بمزيد رأفته واحسانه واقام فيهم قواعد العدل بعد تهدم اركانه ثم قال بلسان حال الجامع

فقام لسان الدين ينشد قائلا ... امير الهدى حقا حسين المعجد
اقام عمادي بالعلوم ونشرها ... فاصبح ربعي نوره يتوقد
ومن جاء مستفت ليعلم حكم ما ... دهاه يجد عالما صحيحا ويرشد
وكل مصل قد سها في صلاته ... بنقص وزيد عالما كيف يسجد

---

(١) كتاب مخطوط في القالب الكبير لا توجد منه غير نسخة واحدة وهي من عيون مكتبة الشاعر الفحل ممثل المجد والنبل السيد مصطفى ءاغة حفيد سميه الوزير الشهير ابي النخبة مصطفى ءاغة وزير الحرب المتوفى سنة ١٢٨٣

(٢) كان عدد المدرسين بجامع الزيتونة ثمانية على عهد الدولة المرادية فلما ءالت الدولة للمولى حسين بن علي اعتنى باحوال التدريس بالجامع ورتب به دروسا كثيرة الى ان صار عدد المدرسين في مدته نيفا واربعين مدرسا رحمه الله واثابه وانابه

اما نظرت عيناك اعلام سؤددي ... لهم في طروس العلم بحث يسدد
وقد شدت احلاس المطايا اليهم ... وتحقيقهم في كل فن مجدد
وكل سليم العقل تشرق شمسهم ... عليه وذو جهل سقيم وارمد
فلا زال من احيا العلوم واهلها ... حسين له ذكر جميل يردد
وابقاه في اوج الفضائل ساميا ... امير فخار من له الامر يسند
مهابا على كل الملوك مرفعا ... يفوز لما يرجى ويحظى ويسعد
معانا على كل الخطوب موفقا ... لراي سديد في النوازل يحمد

ثم قال ، وقد شرع حفظه الله منذ نحو ثلاثة اعوام فارطة عن التاريخ في تجديد خزانة علم محيطة من كل فن من فنونه بالكثير مبتدا فيها بكتب الاحاديث النبوية والتفاسير وحصل منها الآن جملة صالحة وعزائمه في تكميلها بادية لائحة واوامره لتحصيل غرائبها في الاقطار غادية رائحة ورتب لاستكتابها نجباء الطلبة بمملكته التونسية واعمالها واجرى لهم الاجر الوافر في تحصيلها واكمالها قاصدا بذلك نفعهم على الاشتغال باعظم الخيرات وامدادهم منه بواسع الاحسان والمبرات وجعلها لافاضل بلده انفس عده وفي ميزانه يوم النشور انفع عده فشكر الله نيته الصالحة في نشر العلم وكفاه من امر الدارين كل مهم اه

وعلى قياس صنيع المولى حسين بن علي نسج ءال بيته من بعده فكان الباشا علي باي الاول من اهل العلم ومن انصاره وكان واسطة عقدهم النضيد في مسلكهم الحميد عاشرهم في السلسلة الدرية الحسينية المشير الاول احمد باي فقد اعتنى ايما اعتناء لتعمير جامع الزيتونة بخزائن الكتب النفيسة التي وقف على طلبة العلم في سنة ١٢٥٦ ثم رتب به نظاما مباركا للتدريس في عام ١٢٥٨ تحت رقابة اربعة نظار وهما شيخا الاسلام الحنفي والمالكي والقاضيان الحنفي والمالكي ورتب لهم جراية شهرية عن ذلك فلكل من الشيخين الاولين مائة ريال في الشهر ولكل واحد من زميليهما ٩٠ ريالا وسياتي التعريف باسماء هؤلاء الشيوخ برد الله مضاجعهم وجعل التدريس في طبقة واحدة مركبة من ثلاثين مدرسا نصفهم من علماء الحنفية ونصفهم من علماء المالكية وسناتي على اسماء اهل هذا الرعيل الاول في ءاخر الكلام على جامع الزيتونة ومن هذا التنصيف في العدد والتنصيف من الانصاف يظهر جليا ان مؤسس دراسة

العلم الموجودة اليوم بجامع الزيتونة وهو حنفي المذهب اعتبر من اصل الوضع المساواة في عدد المدرسين من المذهبين وهو نفسه ذلك الامير الذي امر بالتسوية بين شيوخ المجلسين بدار الشريعة في الرتبة والمرتب ايضا فلو سالنا روحه الطاهرة هل يجوز بعد ذلك خرق هذا النظام العادل لاجابت بلا ولو مع توفر الدواعي وتمويها بمذاب الذهب

وقد رتب المشير احمد باي لاهل تلك الطبقة من المدرسين ارزاقا من فواضل بيت المال كان مقدارها ريالان اثنان في اليوم (١) ثم زاد في عنايته بجامع الزيتونة فاحدث به في سنة ١٢٦٥ طبقة ثانية من المدرسين على قاعدة النظام الاساسي المتقدم بيانه وحصر عددها في اثني عشر مدرسا نصفهم من الحنفية ونصفهم من المالكية ورتب

---

(١) لما تكرم المشير احمد باي بايجاد هذه الحسنة الخالدة تسابق اهل العلم والفضل لشكر ايادية عما توفق اليه في سبيل نشر العلم من ذلك اربعة ابيات من الشعر وقفت عليها بخط بعض الشيوخ النحارير من اهل ذلك الجيل قيلت في مجلس ضم العالمين الشقيقين الشيخ الطيب والشيخ علي الرياحي والعالمين الشقيقين الشيخ محمد والشيخ الطاهر بن عاشور

قال الشيخ الطيب الرياحي

جزى الله مولانا الامير وزاده ... من العز والتمكين ما هو ءامل

وقال اخوه الشيخ علي

لقد سن في الاسلام احسن سنة ... علوما بها زانت لدينا المحافل

وقال الشيخ محمد بن عاشور

وزين احياد العلوم بدرة ... فما مثله في العالمين مماثل

وقال اخوه الشيخ الطاهر

لعمري ما اوس اتى بمثاله ... ولا حاتم والا كرمون الاوائل

واتفق ان كان حاضراً بمجلس تلك الطائفة الصالحة من الفضلاء الاديب الشيخ محمد بن الحسن التطاوني فقال باثرهم

وكان لسان الحال ينشد قائلا ... الا في سبيل المجد ما انا فاعل

فلاغرو ان بتنا نشاوى بذكره ... نراصد في مرضاته ونحاول

وننشد ابيات القريض تداولا ... ليحرز قصب السبق من هو عاجل

فدام لنا بالله عزة نصره ... وهذا دعاء للبرية شامل

لكل منهم نصف ريال (١) في اليوم وبالتالي زيد لهم ربع ريال ثم ربعا اخر بحيث صارت الجراية ريالا كاملا في اليوم وكانت هذه الارزاق تجري لهم من ريع اوقاف رواية تنبيه الانام بجامع الزيتونة لان هذه الرواية عليها اوقاف واسعة وهي عبارة عن كتاب احتوى على صيغ صلوات على النبي صلى الله عليه وسلم للشيخ عبد الجليل عظوم فجمعت الدولة يومئذ من تلك الاوقاف ومن اوقاف دروس اخرى متفرقة ما جعلت من ريعه جراية اولئك الاثني عشرة مدرسا بجامع الزيتونة منهم عشرة لتدريس العلوم المتداولة بالجامع واختصت الاثنين الباقيين برواية تنبيه الانام تحقيقا لنص الواقف وهذان الاثنان هما الشيخ محمود الابي من علماء الحنفية والشيخ علي السقانجي من علماء المالكية ثم بتطاول الزمان تنوسيت رواية تنبيه الانام والتحق مدرساها ببقية مدرسي الطبقة الثانية قالوا ان هذه الطبقة الثانية في نظام التدريس بجامع الزيتونة احدثها الباي ترضية للفقيه الشيخ محمد برناز لان الشيخ محمد بيرم الرابع قدم عليه غيره للتدريس ممن يراه هو دونه في العلم حيث كانت خطة التدريس تمنح يومئذ لصاحبها باجتهاد الشيوخ والاخيار لا بالمناظرة والاختبار

ولما احدثت هذه الطبقة الثانية من المدرسين الذين جعلت جرايتهم من فواضل

---

(١) هذا انموذج من امر ولاية مدرس من الطبقة الثانية بجراية النصف ريال :

الى من يقف على امرنا هذا من العلما الاعلام الفقهاء الكرام اهل مجلسنا العلمي بالشريعة المحمدية ونوابنا في القضايا الدينية وابنائنا الاركان امراء الامراء اعيان الوزراء وامراء الالوية وامراء الالايات وقائمي المقامات وامناء الالايات والبنباشية وكافة الاجناد العسكرية وسائر اولي الولايات فيما لنا من الجهات سدد الله امورهم واصلح بمنه مفردهم وجمهورهم اما بعد فان الاكمل الخير الزكي الاقبل الثقة الفقيه الشيخ احمد بن الهمام العلامة الحجة الشيخ سي محمد بن الخوجة قدمناه على بركة الله تعلى شيخ تدريس بالجامع الاعظم جامع الزيتونة عمره الله تعلى بدوام ذكره من الرتبة الثانية في جماعة الحنفية يقري درسين في اليوم اجريناه في ذلك مجرى امثاله في مرتب النصف ريال واوصينا برعيه واحترامه واجلاله واكرامه وعلى الواقف على امرنا هذا ان يعرف منحاه ويعمل بمقتضاه والامر كله لله تعلى والسلام من الفقير الى ربه عبده المشير احمد باشا باي وفقه الله ءامين في ١٤ ذي القعدة الحرام سنة ١٢٦٦ – اهـ

الاوقاف كما تقدم بيانه (١) اشترط سمو الباي ان لا يتولى مدرس بالطبقة الاولى الا بعد تدريسه بالطبقة الثانية المحدثة ولكن هذه القاعدة لم يعمل بها عند تقديم العلامة الشيخ محمود قابادو للتدريس فان المشير الثاني محمد باي اولاه بداية مدرسا من الرتبة الاولى باشارة من صهره العلامة الشيخ محمد بيرم الرابع متخطيا به اعناق مدرسي الطبقة الثانية وفي ذلك يقول الشيخ قابادو من قصيدة ميمية تضمنها ديوانه

بسعيك تبلغ الرتب العظام وتستعدي على الدهر الكرام
وهل ظفرت بمكرمة يمين وليس لها بعروتك اعتصام

كما انخرمت تلك القاعدة مرتين اخريين مرة عند ولاية العلامة الشيخ الطاهر النيفر حيث تولى دفعة واحدة مدرسا من الرتبة الاولى عوضا عن والده الذي تنازل له عن خطته ووافقه على ذلك شيخ الاسلام الشيخ محمد بيرم الرابع فكتب لسمو الباي مكتوبا بذلك هذه عبارته

ادام الله تعلى اشراق سماء الدولة المشيرية المحمدية باقمار مئاثرها النيرة البهية واضفى ظلال جودها وبرها حتى تتفياه كل البرية ولا عدمنا منها اذنا لاستماع العرف مصغية ونفسا بانفاذه سخية اما بعد سلام يعبق بحضرتها طيبه ويقوم بناديها مفصحا بما يجب من الاجلال خطيبه فان الشيخ سيدي محمد النيفر مفتي حضرتكم المعدود في سمط العلماء من محاسن دولتكم تاقت نفسه الى معاودة زيارة المصطفى والورود من الحج منهله الاصفى وحسن ظنه بمولانا في اسعافه بمامولة وبعبدكم حيث جعله طريقا الى حصوله والمقطوع به من كرم سيدنا ان لا يخيب قاصديه لا سيما مثل هذا الرجل

---

(١) جراية مدرسي الطبقة الاولى من اصلها جراية دولية لا حسبة وقد تناولها التغيير بالزيادة فكانت ثلاثة ريالات في اليوم اثناء سنة ١٢٨٧ وبالتالي رفعت الى خمسة ريالات كما رفعت جراية مدرسي الطبقة الثانية الى ريالين كل ذلك بامر المشير محمد الصادق باي واصدر رحمه الله بمناسبة تحسين حالة شيوخ التدريس ظهيرا كريما تضمن شتى الوصايات والتاكيدات في الحث على نشر العلم وضبط احوال التدريس بجامع الزيتونة

في هذا المطلب الذي يزاوله ويعانيه كما علق امله بنزوله عن الدرس الذي بيده لابنه الانبه الانجب الازكى محمد الطاهر الذي هو مباشر للتدريس مدة طويلة معدود من نجباء الطلبة وليس قصده الانكفاف عن الاقراء بعد الرجوع بل عزمه الذي تدعوه اليه الجبلة الاستمرار عليه وانما مراده رؤية قرة عينه متوجا بتاج كرامة امثاله ومن المالوف تبرع الاباء على الابناء النجباء بمثل ذلك وهذا المطلب يرجو تعجيله له الان ولا يعكر عليه تقديمه على ذوي الطبقة الثانية فان هذه وظيفة صاحبها موجود رأى ان يحل فيها ولده محله فكأنها باقية بيده على ان اهل هذه الطبقة تلامذة له لا ينازعون شيخهم في قلادة كانت بعنقه ان يحلي بها جيد ولده وانا الكفيل بطيب نفوسهم ولمولانا النظر العالي والبصيرة المنورة الداعية الى انجاح الرغبات والتقرب الى الخالق بادخاله على عبيده انواع المسرات لا زلنا نمرح في حلل بره الخفي ونبثه مطالبنا وهو بانجازها يفي والسلام في ثامن جمادى الثانية عام ١٢٧٢ اه

واما المرة الثالثة التي عدل فيها عن قاعدة الاختيار من الطبقة الثانية للولاية بالطبقة الاولى فانها حصلت عند تقديم العلامة الشيخ احمد الورتتاني وصورة ذلك ان الشيخ الورتتاني ذكر اسمه بحضرة شيخ الاسلام الشيخ محمد معاوية للولاية مدرسا من الرتبة الثانية فقال شيخ الاسلام ذلك رجل له صلة بالمخازنية . وحقيقة كان للشيخ الورتتاني صلة وانتساب للوزير مصطفى خزندار ونقلت اليه كلمة الشيخ معاوية فاستصدر الوزير من الباي مكتوبا للمشائخ النظار باختيار الشيخ الورتتاني مدرسا من الطبقة الاولى وهكذا تم العمل وكان ذلك في رجب سنة ١٢٨٧

هذا وقد اتفق لشيوخ النظارة العدول عن طريقة الاختيار بالركون لطريقة المناظرة بين المتزاحمين حول مورد التدريس – والمورد العذب كثير الزحام – عند ظهور اعتراض وجيه من بعض الراغبين في الحطة كما وقع ذلك على عهد العلامة المرحوم الشيخ محمد معاويه السالف الذكر فانه كان في عزمه تقديم احد الفقهاء من بعض البيوت المشهورة لحطة كانت شاغرة بالطبقة الاولى الحنفية ولكن الشيخ ابا النخبة مصطفى رضوان من مدرسي الطبقة الثانية اذ ذاك قام محتجا على ذلك الاختيار وطلب المناظرة بابيات نثبتها هنا بالنقل عن كتاب عنوان الاريب ونصها

ايا شيخ إسلام وقدوة امة مقامكم اعلى مديح واعظم

معاوية الاستاذ هل من معتب ... فلا العلم مغبون ولا الحق يكتم
عهدناك قبل اليوم تشكو تاخرا ... وتقديم من لا يعلمون وتعلم
اعيذك من ان اشتكي منك مثلها ... فعدلك ياباها ورايك احزم
فلا تجعلني واو عمرو وانني ... انا الميم والايام افلح اعلم
هديتم الى رشد فخذ قول منصف ... سلي ان جهلت الناس عنا وعنهم
واني على عليك اثني مسلما ... ولست لمن قدمتموه اسلم

واستمر الحال جاريا على قاعدة ولاية التدريس من رتبتيه الاولى والثانية اختيارا باجتهاد المشائخ النظار الى زمن المولى علي باي الثالث ففي سنة ١٣٠٩ صدر امر كريم بجعل المناظرة على التدريس هو الاصل المعول عليه في الولاية وبذلك بطل ما كان للشيوخ من حق الاختيار ولكن اهل العلم كرهوا لاول العهد بظهور هذا الترتيب المشاركة في المناظرة المفروضة وكارموا بعضهم بعضا فقد ولي المرحوم الشيخ محمد جعيط التدريس من الرتبة الاولى بدون مناظرة في سنة ١٣١٠ وفي العام نفسه تولى المرحوم الشيخ الطاهر الرياحي التدريس من الرتبة الثانية بدون مناظرة ايضا ثم في العام بعده تولى صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمد بن يوسف شيخ الاسلام الحنفي الموجود بارك الله في انفاسه خطة التدريس من الرتبة الاولى بدون مناظرة اعترافا له بالافضلية من اقرانه الموجودين في ذلك الزمان (١) واول مناظرة مالكية على التدريس بمقتضى احكام الامر الصادر في عام ١٣٠٩ كان النجاح فيها من نصيب المرحوم الشيخ صالح الشريف كما ان اول مناظرة حنفية حسب النظام المذكور كان الحائز قصب السبق فيها المرحوم الشيخ محمد رضوان ثم استرسل العمل بالمناظرة الى هذا الزمان (١٣٥٧) ولم تشذ هذه القاعدة بعد ذلك الا ثلاث مرات في احوال استثنائية مرة في سنة ١٣٢١ واخرى في سنة ١٣٣٩ وثالثة في سنة ١٣٤٥

واعلم ان النظام الاصلي في ترتيب تدريس العلوم بجامع الزيتونة هو ما تضمنه الظهير الشريف المسمى بالمعلقة المرسومة عبارتها بمذاب الذهب بجوار باب الشفاء

---

(١) سمعنا منه ادام الله به النفع انه تولى التدريس بالطبقة الثانية عند ما كان مرتبها في الجملة ستين ريالا في الشهر

بالجامع وعلى منوالها نسج المشير الثالث محمد الصادق باي في سنة ١٢٩٢ عند احداثه للمكتبة الصادقية المعروفة بالعبدلية وضبط احوال الدروس والمدرسين بعناية وزيره خير الدين وكان لهذا الباي رغبة زائدة في تنشيط طلبة العلم ناهيك انه امر باسقاط ضريبة المجبى على المنقطعين منهم للقراءة الامر الذي انطق السنة الشيوخ بحمده وشكره من ذلك قصيدة للعلامة المفتي الشيخ الطاهر بن عاشور الاول يقول في مطلعها

لئن نال منها الجهد عز منالها فقد حمدت ايدي السرى في منالها

وبالتالي اضيف لذلك ملحقات كثيرة في عهد المرحوم المولى علي باي الثالث منها تنظيم احوال المناظرات وجعل رقابة على الدروس وترتيب راحة سنوية في الصيف يتمتع بها المعلمون والمتعلمون وجعل ترتيب خاص بالامتحانات السنوية وفي مدة المولى محمد الناصر باي اعيد النظر في عموم احوال التدريس بالجامع وكانت النتيجة ظهور الترتيب المؤرخ بخامس شوال ١٣٣٠ وفي سنة ١٣٤٥ اصدر المولى محمد الحبيب باي امره (١) بجعل الجامع اليوسفي فرعا عليا لجامع الزيتونة لتضايق

---

(١) هذا نص الظهير الكريم الذي اصدره المولى محمد الحبيب باي في تأسيس هذا الفرع الاول لجامع الزيتونة ننقله هنا لانه لم يتقدم نشره

الحمد لله الذي جعل العلم سلم المنازل الرفيعه. وخص بمزيد الشرف علم الشريعه. والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد المنقذ من الجهل. والمرشد لامته بالعمل والقول الفصل. وعلى اله واصحابه العاملين بسنته. وكل من تبعهم من امته. اما بعد فقد دل على شرف العلم الكتاب والسنة والعقل. وتواتر بفضل اهله النقل. وبيمن دولة مولانا الملك المطاع. المنعقد على فضله الاجماع. والاتي من صنوف البر بما فوق الاطماع. المحفوف بسر السور والاي. سيدنا ومولانا الباشا محمد الحبيب باي انتشر العلم وكثر طلابه. حتى اكتظ الجامع الاعظم جامع الزيتونة وضاقت بتلامذته رحابه. وحيث كان نشر العلم غاية مراده. والواسطة العظمى لسعادة بلاده. امر ابقاه الله كهفا حصينا. وملجا امينا. بنقل اهل الرتبة الاولى الابتدائية من الجامع الاعظم الى الجامع اليوسفي توسعة لرحاب العلوم الشريفه. وحفظا لاهلها من الملهات المخيفه. واختار ان يكون الفرع قريبا من اصله. اعلانا بامتزاجه به وعدم فصله. وعين له من القيمين والكتبة ما يفي بالامنيه. وجعل جميع ذلك لنظر النظارة العليه. وحكم بذلك وامضاه. والزم العمل بموجبه ومقتضاه. وذلك بمساعدة دولة الحمايه. وموافقة عميدها ذي الشهامة والدرايه. المشهود له نحو الجانب العلمي بالعنايه. واذن مولانا

عرصاته عن جمع نحو ٣٠٠٠ تلميذ في وقت واحد ووقع تعزيز هذا الفرع باقامة فرع ءاخر بالجامع الحفصي في سنة ١٣٥١ على عهد امير هذا العصر ادام الله ايامه ثم زيد في عدد المدرسين ثمانية بعنوان الطبقة الثانية بدون تقيد بمذهب واحدثت بعد ذلك في سنة ١٣٥٦ طبقة ثالثة للتدريس وهم المعاونون نيطت بعهدة ستين متطوعا من المنتصبين للاقراء بجامع الزيتونة واحدثت فوق جميع ذلك في سنة ١٣٥١ رتبة استثنائية للتدريس العالي لقبوا صاحبها بالاستاذ وحصروا عدد هؤلاء الاساتذة في ثمانية نصفهم من الحنفية ونصفهم من المالكية بحيث صارت احوال التدريس بجامع الزيتونة في هذا الزمان منتظمة على الوجه الآتي بيانه

الاساتذة والمدرسون بجامع الزيتونة في هذا الزمان

٤	مدرسون حنفيون من الرتبة الاستثنائية بلقب اساتذة
٤	مثلهم مالكيون
١١	مدرسون حنفيون من الرتبة الاولى
١١	مثلهم مالكيون
٦	مدرسون حنفيون من الرتبة الثانية
٦	مثلهم مالكيون
٨	مدرسون من الرتبة الثانية بدون تقيد بمذهب
١	مدرس للتجويد من الرتبة الاولى
١	مدرس للتجويد من الرتبة الثانية
٤	مدرسون للتجويد من الرتبة الثالثة
٥٦	مدرسون من الرتبة الثالثة بدون تقيد بمذهب
١	معلم للهيأة والميقات
١	معلم للخط
١	حكيم لتعليم حفظ الصحة
١١٣	جملة المدرسين والمعلمين من كل الاصناف

الامير بتسطير هذا الظهير، ووضعه بهذا الجامع في صدره، حرصا على حفظه وتنفيذ امره، والمرجو من الله في دولته السعيده، ان تكون فروع الجامع عديده، ودوحة العلم زاهره، والسنة الشكر غير فاتره، وكتب في شوال سنة ١٣٤٥ وفي افريل سنة ١٩٢٧ اهـ

طلبة العلم بجامع الزيتونة وفروعه(١)

٢٧٢	طلبة التعليم العالي
٦٦٩	« الثانوي
٤٦٩	« الابتداءي من طبقة السنة الثالثة
٤٣٨	« « السنة الرابعة
١٨٤٨	جملة الطلبة بجامع الزيتونة
٦٩٥	طلبة التعليم الابتداءي بالفرع اليوسفي من طبقة السنة الاولى
٥٠٤	« بالفرع الحفصي من طبقة السنة الثانية
٣٠٤٧	جملة الطلبة بالجامع وفروعه

برنامج العلوم

العلوم التي تقرأ اليوم بجامع الزيتونة وفروعه هي التي اقتضاها قانون رابع حجة ١٣٥١ وهذه اسماؤها مع بيان اعداد دروسها من درجات التعليم الثلاث في هذا الزمان

---

(١) فروع جامع الزيتونة هي جامع يوسف داي واسمه الفرع اليوسفي وجامع القصبة واسمه الفرع الحفصي ومعهد ابن خلدون بصفة موقتة لتعليم العلوم الرياضية والجغرافية وهذا المعهد مستقل بادارته الداخلية

اسماء العلوم	درجات التعليم وعدد الدروس من كل درجة		
	العالي :	الثانوي :	الابتدائي :
التوحيد	١		٢٥
القراءات	٦	١٤	٣٥
التفسير	٤	٣	
الحديث	٢	٣	١٢
اصول الفقه	٥	١١	
الفقه	٣	١٢	٦٠
تاريخ التشريع	١		
الفرائض		٩	٦
التوثيق		٩	
الاقضية والشهادات		١٣	
الاجراءات الشرعية	٣	٣	
النحو	٣	١٠	٤٨
الصرف		٩	٢٣
البلاغة	٣	١٠	٦
العروض		٣	
اللغة والادب		٣	
الخط		٨	١٧
الرسم			١٧
الاخلاق			٢٥
المنطق		٩	٦
ءاداب البحث		٣	
السيرة النبوية		٦	
التاريخ		٦	

اسماء العلوم	درجات التعليم وعدد الدروس من كل درجة		
	العالي :	الثانوي :	الابتدائي :
الجغرافيا			٢٥
الحساب والجبر		٦	٢٥
الهندسة والمساحة		٦	
الهيئة والميقاة		٣	
خصائص الاشياء			
صناعة التعليم	٣	٣	
حفظ الصحة			٢٥
المصطلح	١	٣	
مقاصد الشريعة	٢		
الانشاء	٤	٩	٢٣
الخطابة	١		
نقد الشعر	٢		
المنتخبات العربية	٤		٢٥
تاريخ الادب	٢	٣	
جملة الدروس	٥٠	١٧٧	٤٠٣
			٦٣٠

ويلتحق بهذه الدروس اربعة دروس اخرى لها اوقاف خاصة جارية للقيام بها وهي :

درسان في العلوم اسسهما الوزير خير الدين	٢
درس في العلوم اسسه الحاج قاسم بن يوسف	١
درس في الكفاية من الفقه المالكي اسسه امير اللواء صالح خوجه	١
جملة الجمل	٦٣٤

مشيخة الجامع

مشيخة الجامع هي ادارته ومركزها بالراق المعروف بمحكمة ابن عصفور وهذه الخطة الشريفة لا يتولاها الا احد كبار الشيوخ من اقطاب العلم وهي لهذا الزمان بعهدة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر قاضي الجماعة الشيخ صالح المالقي نفع الله به وشيخ الجامع هو الممثل للحكومة بالمعهد وفروعه وهو المكلف بتنفيذ جميع التراتيب الخاصة بالمعهد المذكور وهو المسؤول عن استقرار الهدو وحفظ النظام وله حق التخاطب راسا مع الوزير الاكبر اي لا واسطة بينه وبين الدولة هذا ولشيخ الجامع نائبان من كبار المدرسين لاعانته على مباشرة مهام خطته احدهما مالكي يباشر مراقبة التعليم بجامع الزيتونة وبالفرع الحلدوني والآخر حنفي يباشر النظر على التعليم بالفرع اليوسفي والفرع الحفصي وقد اقتضى ترتيب الجامع جعل مجلس عال وظيفته الاشراف على سير العلم بجامع الزيتونة وفروعه ورئاسة هذا المجلس لجناب الشيخ باش كاتب وزير القلم وكاهيته بالاصالة فضيلة شيخ الجامع والنظر الاعلى فوق الجميع من حقوق جناب المولى الوزير الاكبر ومن المقرر المعلوم انه لا يبت في شيء ذي بال بخصوص جامع الزيتونة الا بعد عرضه على الاسماع الملوكية الشريفة وصدور الامر المطاع باجراء تنفيذه

خزائن الكتب بجامع الزيتونة (١)

من مشمولات الجامع مكتبته الاحمدية والمكتبة العبدلية وتفصيل ما بالمكتبتين من الكتب المحبسة هو الآتي بيانه

الكتب المحفوظة بمكتبة الجامع هي من تحابيس المشير احمد باي الاول وقفها على اهل العلم في سنة ١٢٥٦ وكان عددها يومئذ ٢٥٢٧ جزءا اضيف لها بعده تحابيس كثيرة صدرت من بعض الوزراء وبعض العمال وبعض العلماء وغيرهم من اهل البر

---

(١) انظر تاريخ هذه المكاتب وما كانت عليه في القرون الوسطى بالصفحة ٧١ وما بعدها من المجلد الاول للمجلة الزيتونية

٧٨٥١ والمعروف بحيث صارت جملة المجموع العدد يمناه من الاسفار الكتب المحفوظة بالمكتبة العبدلية وهي من حسنات المشير محمد الصادق باي اسسها في سنة ١٢٩٢ مع ما اضيف لها بعده من التحابيس الصادرة من اخيه

٥٩٠٠ المولى علي باي الثالث ومن ابنه المولى محمد الهادي باي ومن الوزير خير الدين ومن غيرهم من المحسنين

٧٦٢٢ الكتب الدراسية المجعولة على ذمة الطلبة

٢١٣٧٣ جملة الكتب (١)

هذا وقد اقتضت نصوص الواقفين تمكين المستعير لكتاب من خزانة الجامع للانتفاع به مدة حول لا يحمل مستعير الكتاب على ارجاعه قبل مضيه اما المكتبة العبدلية فان الانتفاع بكتبها انما يقع داخل المكتبة اذ اشترط مؤسسها عدم اعارة كتبها للانتفاع بها خارجها وبمقتضى هذا النظام فان الطلبة يقصدونها للمطالعة على دور العام وقد بلغ عدد المطالعين بها اثناء السنة المدرسية الاخيرة (١٩٣٧) الى ١٠٨٨٧ نفس كما بلغ عدد الوافدين عليها للنساخة والكتابة زيادة على اولئك المطالعين الى ٥٠٠٠ نفس في المدة المذكورة

وبديهي ان لكلتا المكتبتين وكلاء وظيفتهم رقابة المكتبتين ومناولة الكتب للراغبين فيها وهؤلاء الوكلاء عددهم :

٢ فلخزانة الكتب الحنفية بالجامع

٢ ولخزانة الكتب المالكية

٤ ولخزانة المكتبة العبدلية

٨ جملة وكلاء الكتب

---

(١) ءاخر ما وقع تحبيسه من الكتب على خزانة جامع الزيتونة هي كتب الحرة المحسنة لؤلؤ بنت المرحوم المدرس الشيخ عمر عاشور وجملتها ٢٨ سفرا وصلت للجامع في سنة ١٢٥٦ تقبل الله سعيها وءاخر تحبيس لفائدة المكتبة العبدلية هي طائفة من الكتب منها صحيح الامام البخاري بشرح القسطلاني وقفها الفاضل الامير الاي ابو الحسن علي عبد الوهاب في السنة المذكورة احسن الله اليه واثابه

هذا ولا بد وانه سيكون لمكتبتي الجامع ولوكلاء كتبه شان في مستقبل الايام بعد انتهاء طبع فهارس الكتب على النحو الجديد لان هاته الفهارس وقع تحريرها بالطريقة الفنية القاضية باسناد خطة المحافظين على الكتب لاعوان فنيين من اهل العلم لا يصح اختيارهم في المستقبل من غير طبقة العلماء المشاركين في الفنون

مشائخ النظارة والمدرسون الاولون

ننقل هنا على وجه البركة اسماء اهل هـذه الطبقة الصالحة من العلماء الاعلام الذين انتصبوا لمباشرة النظارة والتدريس بجامع الزيتونة عند تاسيس قانـون دراسة العلوم به في سنة ١٢٥٨

النظـار

الشيخ محمد بيرم الثالث شيخ الاسلام — الشيخ ابراهيم الرياحي باش مفتي المالكية
الشيخ محمد بن الخوجة القاضي الحنفي — الشيخ محمد بن سلامه القاضي المالكي

المـدرسون

الحنفية	المالكية
الشيخ محمد معاوية (١)	الشيخ محمد الشاهد (٢)
« حسن بن الخوجه	« الشاذلي بن صالح
« محمد البارودي	« محمد الخضار
« محمد قاسومه	« احمد عاشور
« حسن فرشيش	« محمد الشنقيطي
« مصطفى بيرم	« علي العفيف
« حسن قلايجي	« محمد بن عاشور

(١) ءاخر من التحق بالدار الآخرة من اهل طبقته الحنفية وذلك في سنة ١٢٩٤
(٢) ءاخر من التحق بالدار الاخرة من اهل طبقته المالكية وذلك في سنة ١٣١١

الحنفية	المالكية
الشيخ محمد بيرم الرابع (١)	الشيخ الشاذلي بن المؤدب
« محمد الابي	« الطيب الرياحي
« محمد الستاري	« محمد النيفر
« حسين البارودي	« محمد البنا
« محمود بن باكير	« احمد القروي
« حمده عباس	« محمد القبايلي
« محمد بن الرايس	« فرج التميمي (٢)
« علي الدرويش	« العربي الشريف

لجان اصلاح التعاليم بجامع الزيتونة

نختم حديث جامع الزيتونة بتلخيص الكلام عما ظهر به في هذا القرن من الازمات التي تناوبته خلال هذه الاربعين سنة واستوجبت لفت الانظار نحوه بنية السعي لاصلاح سير العلم بساحته الطاهرة ولذلك نقول: في بحر هذه الاربعين سنة عينت الدولة خمس لجان في اوقات مختلفة للنظر في اصلاح التعليم بجامع الزيتونة باشرت اولاها العمل في سنة ١٣١٦ برئاسة الوزير العلامة الشيخ محمد العزيز بوعتور وكان تركيب هذه اللجنة الاولى كما ياتي :

لجنة الاصلاح الاولى

الرئيس : الشيخ محمد العزيز بوعتور الوزير الاكبر

الاعضاء : الشيخ محمد بيرم شيخ الاسلام

الشيخ احمد الشريف باش مفتي المالكية

---

(١) اول من شغرت خطته من الحنفية بتقدمه لمشيخة الاسلام في سنة ١٢٥٩

(٢) اول من التحق بالدار الاخرة من اهل طبقته وتقدم عوضه للتدريس الشيخ الطاهر بن عاشور الاول باختيار المشائخ النظار

الشيخ عمر بن الشيخ المفتي المالكي
الشيخ اسماعيل الصفايحي القاضي الحنفي
الشيخ الطيب النيفر القاضي المالكي
امير الامراء السيد محمد الجلولي وزير القلم والاستشارة وباش كاتب
مسيو رواكاتب الدولة العام
مسيو ماشويل مدير المعارف
المدرس الشيخ سالم بوحاجب
المدرس الشيخ الطاهر جعفر
المدرس الشيخ محمود بن محمود
المدرس الشيخ صالح الشريف
المدرس الشيخ عمر بن عاشور
المدرس الشيخ مصطفى بن الخوجه
المدرس الشيخ محمد بن القاضي
السيد البشير صفر المكلف بالنظر في مالية الاوقاف

ووافق ايجاد هـذه اللجنة الاولى ظهور لائحة برنامج دبرتـه ادارة المعارف لضبط شئون التعليم بكتاتيب القرءان ومما اشتمل عليه هـذا البرنامج جعل سورة معلومة من طوال المفصل حدا لا يتعداه التلميذ في الحفظ ينتقل منه للتعلم ان شاء بجامع الزيتونة واجتهد مسيو ماشويل مدير المعارف يومئذ في توسيع نطاق مشاركته في احوال التعليم بجامع الزيتونة نفسه وكان من حقوقه ابداء رايه عند ولاية المدرسين وربما كان سببا في تعطيل صدور الامر بولاية بعضهم مدة شهور طويلـة رغم نجاحه في الامتحان وكانت الامتحانات تقع بمقتضى قرارات وزيرية تصدر بعد اخذ رأيه في ذلك بحيث كانت العراقيل كثيرة والتداخلات اكثر منها في شئون الجامع وهو مدرسة دينية ليس من الحكمة ولا من المعقول ان يكون النظر في احوالها لغير اهلها من المسلمين ونسبوا في تلك الاثناء عبارة لمدير المعارف وهي قولهم ان مشروع الخلدونية المحدثة في سنة ١٣١٤ جاء كلقاح جديد لزيتـونة الجامع التي مضت عليها القرون فارتاع بعض اهل العلم لهذا التشبيه الجائر الذي دفعـه شيخ الاسلام بعزة

وقوة وافضى في تلك المناسبة المدرس الشيخ صالح الشريف احد اعضاء اللجنة المشار اليها بتصريحات حارة استلفتت نحوه الانظار وتدخلت جريدة الحاضرة في القضية بمشاركتي ومشاركة صاحبي المرحوم السيد البشير صفر دفاعا عن ساحة الجامع وانتصارا لحزبه وكانت النتيجة والقول الفصل في ذلك هو ما اشار به رئيس اللجنة المولى الوزير الاكبر من جعل التعليم بكتاتيب القرءان غير مقيد بقيد لا من جهة السن ولا من جهة الحفظ وانما يضاف للتلميذ حفظ بعض المتون المهيأة للتعلم بجامع الزيتونة كالجوهرة والالفية وابن عاشر وشبه ذلك واستقر الراي مع ذالك على ان يكون النظر في احوال التدريس بجامع الزيتونة من متعلقات الوزارة الكبرى وحدها وعلى ان يكون تعلم مبادي العلوم الرياضية والتاريخ والجغرافيا من الفنون الاستكمالية لما في مزاولتها من المنفعة للطلبة كل ذلك مع الاحتفاظ التام بالصبغة الدينية البحتة المتلبسة بتدريس علوم الشريعة بجامع الزيتونة

هذه خلاصة ما راج من الاعمال على يد لجنة الاصلاح الاولى

لجنة الاصلاح الثانية

هذه اللجنة الثانية وقع تاسيسها في سنة ١٣٢٨ على عهد الوزير الفقيه العالم الشيخ يوسف جعيط وكان اجتماعها برئاسة الشيخ باش كاتب نيابة عن الوزير الاكبر وتركيبها على الوجه الاتي :

الرئيس : امير الامراء السيد الطيب الجلولي وزير القلم والاستشارة وباش كاتب

الاعضاء : الشيخ احمد بيرم المفتي الحنفي

الشيخ محمود بن محمود القاضي الحنفي

الشيخ محمد القصار القاضي المالكي

مسيو فلوري كاهية الكاتب العام

المدرس الشيخ محمد بن يوسف

المدرس الشيخ محمد النيفر

المدرس الشيخ الطاهر بطيخ

المدرس الشيخ الطاهر بن عاشور النائب لدى النظارة العلمية

المدرس الشيخ محمد بن الخوجة النائب لدى النظارة العلمية

السيد خير الله بن مصطفى المترجم المحلف بالمجلس المختلط

وكانت نتيجة مساعي هذه اللجنة ظهور الترتيب الصادر في خامس شوال ١٣٣٠ وهو نظام لا باس به ولكنه تعتوره انقاص كثيرة وكان من متفرعاته نظام التعليم بالافاق في خمس مدن القيروان وسوسة وصفاقس وتوزر وقفصة حسب احكام الامر الصادر بذلك في شعبان ١٣٣٠ ولكن هذا التعليم الافاقي لم يات حتى الآن بنتيجة مذكورة (١) لعدم ترتيب اساليبه وعدم امداده بالمال الكافي لقوام اوده. نعم ان الهمة جارية في هذا الزمان لانتشاله وتوسيع نطاقه وجعله في درجة واحدة مع التعليم الابتدائي بجامع الزيتونة وفروعه .

لجنة الاصلاح الثالثة

كان احداث هذه اللجنة الثالثة في سنة ١٣٤٢ وتوالت اجتماعاتها في السنة بعدها برئاسة الوزير الاكبر وكان ترتيبها كما ياتي :

الرئيس : امير الامراء السيد مصطفى دنقزلي الوزير الاكبر

الاعضاء : الشيخ احمد بيرم شيخ الاسلام

الشيخ سالم بوحاجب باش مفتي المالكية

الشيخ الطاهر بن عاشور المفتي المالكي

الشيخ محمد بن يوسف المفتي الحنفي

الشيخ محمد رضوان القاضي الحنفي

الشيخ الصادق النيفر القاضي المالكي

امير الامراء السيد خليل بوحاجب وزير القلم والاستشارة وباش كاتب

مسيو هانري بونصو مدير الداخلية العام

امير الامراء السيد الهادي الاخوة رئيس القسم الاول

السيد عمر البكوش كاهية رئيس القسم التونسي بالمجلس الكبير

---

(١) اعترافا بالفضل لذويه نقول ان فرع مدينة صفاقس اخذ يتدرج في مدارج الرقي بحيث ان حالته الحاضرة تبشر بحسن مستقبله ان شاء الله

السيد محمد الصالحي العضو بالمجلس المذكور
المدرس الشيخ احمد بن مراد النائب لدى النظارة العلمية
المدرس الشيخ صالح المالقي النائب لدى النظارة العلمية
المدرس الشيخ محمد بن القاضي
المدرس الشيخ بلحسن النجار
المدرس الشيخ علي السنوسي
السيد محمد الاصرم المعلم بالمدرسة الصادقية وبمدرسة اللغة والاداب العربية
السيد الطاهر العجيمي رئيس خزنة المكاتيب العامة

وهذه اللجنة الثالثة تم على يدها تحرير لائحة مستكملة في اعادة نظام التدريس وفي احوال المدرسين وطلبة العلم الا ان هذه اللائحة لم تبرز من القوة الى الفعل في وقتها واتفق التحاق رئيسها الوزير السيد مصطفى دنقزلي بالدار الآخرة فبات مشروعه في زوايا النسيان الى ان احيته لجنة الاصلاح الرابعة

لجنة الاصلاح الرابعة

هذه اللجنة الرابعة انتصبت للعمل في سنة ١٣٤٩ برئاسة الوزير الاكبر وكان تشكيلها على الوجه الاتي

الرئيس : امير الامراء السيد خليل بوحاجب الوزير الاكبر
الكاهية : الشيخ احمد بيرم شيخ الاسلام
الاعضاء : الشيخ الطاهر بن عاشور باش مفتي المالكية
الشيخ محمد العزيز جعيط المفتي المالكي
الشيخ بلحسن النجار المفتي المالكي
الشيخ محمد رضوان القاضي الحنفي
الشيخ صالح المالقي القاضي المالكي
مسيو قودياني كاهية مدير الداخلية
امير الامراء السيد محمد بن الخوجه عامل بنزرت
امير الامراء الشيخ علي بن مصطفى مستشار وزارة العدلية

امير الامراء السيد الشاذلي العقبي شيخ المدينة
السيد محمد شنيق كاهية رئيس القسم التونسي بالمجلس الكبير
السيد عمر البكوش العضو بالمجلس المذكور
السيد علي السقاط مدير الاوقاف
السيد مصطفى صفر كاهية القسم الاول
المدرس الشيخ محمد بن القاضي النائب لدى النظارة العلمية
المدرس الشيخ الطيب سياله النائب لدى النظارة العلمية
المدرس الشيخ عثمان بن الخوجه

ولقد وافق انتصاب هذه اللجنة الرابعة حدوث ضجة عظيمة بين اهل العلم تصدعت لها عرصات الجامع لم يتقدمها ما يشبهها في الزمن الماضي الا ما قصه علينا التاريخ من مرض التنافس الذي ظهر في اواخر المائة الثامنة بين اهل العلم بتونس ومنهم الفقيه الشيخ محمد بن عرفه امام جامع الزيتونة ومعاصره كاتب العلامة ولي الدين عبد الرحمن بن خلدون المؤرخ المشهور وما طرأ يومئذ من التقاطع بين ذينك الشيخين الجليلين جمع الله بينهما تحت جناح رحمته وغفرانه في صعيد واحد افضى بارتحال ابن خلدون ومبارحته للاوطان ولم يعد بعد لتونس مسقط راسه قال في جملة ما ترجم به لنفسه في اخر الجزء السابع من كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر : فاقبل علي السلطان (ابو العباس احمد بن محمد بن ابي بكر الحفصي) واستدناني لمجالسته والنجاء في خلوته فغص بطانته من ذلك وافاضوا في السعايات عنده وكانوا يعكفون على امام الجامع وشيخ الفتيا محمد بن عرفه وكان في قلبه نكتة من الغيرة من لدن اجتماعنا في المرسى بمجالسة الشيوخ فكثيرا ما كان يظهر شفوفي عليه وان كان اسن مني الى ان اسودت تلك النكتة في قلبه ولم تفارقه ثم قال بعد تذمر وتشكي : ثم كثرت سعاية البطانة بكل نوع من انواع السعايات وابن عرفه يزيد في اغرائهم متى اجتمعوا اليه الى ان اغروا السلطان بسفري معه ولقنوا النائب بتونس القائد فارح من موالي السلطان ان يتفادى من مقامي معه خشية على امره مني بزعمه وتواطوا على ان يشهد ابن عرفه بذلك للسلطان الى ان قال : وكان بالمرسى سفينة لتجار الاسكندرية قد شحنها التجار

بامتعتهم وعروضهم وهي مقلعة الى الاسكندرية فتطارحت على السلطان وتوسلت اليه في تخلية سبيلي لقضاء فرضي فاذن لي في ذلك وخرجت الى المرسى والناس متسايلون على اثري من اعيان الدولة والبلد وطلبة العلم فودعتهم وركبت البحر منتصف شعبان من السنة (٧٨٤) وقوضت عنهم بحيث كانت الخيرة من الله سبحانه اه

وكانت نتيجة مساعي هذه اللجنة الرابعة ظهور قانون التدريس الصادر في ٤ حجة ١٣٥١ واتفق في تلك الاثناء اغترار بعض طلبة العلم بالنزول لمعمعان السياسة والركون لبعض العاملين عليها والسياسة ما دخلت راسا الا افسدته كما نبه له حكيم الاسلام الشيخ محمد عبده رحمه الله ورضي عنه فطاشت شرارة الهرج ونزلت بساحة الجامع وءال ذلك لاعتصابات كثيرة واضراب عن التعلم افضى لتوقيف التعليم بالجامع مرارا متعددة وشهورا متوالية الى غير ذلك من الاحوال الاسيفة الماسة بكرامة اهل العلم ودام ذلك الاختلال والحالة بين الخوف والرجاء الى ان تداركتها الدولة برأيها الحصيف وعزيمتها الماضية في سنة ١٣٥٦ باتخاذ التدابير الحاسمة لتهدئة الافكار ولارجاع نظام التدريس لنصابه الامر الذي شكرها من اجله شيوخ العلم واهل العقول الراجحة وفي تلك الاثناء واصلت الحكومة عنايتها باحوال الجامع على معنى تخصيص اعتمادات مالية معتبرة بالميزانية العامة (١) لتحسين حال المعلمين والمتعلمين مع تعاطي النظر في الاقتراحات التي قدمت للوزارة الكبرى من لدن مشيخة الجامع ومن شيوخ التدريس ومن طلبة العلم ولاجل انجاز هذه الغاية المحمودة صدر الاذن باجتماع مجلس الاصلاح الذي اقتضاه قانون الجامع بعد الزيادة فيه بالتوسيع رغبة في الحصول على النتيجة المطلوبة فكان هذا الاجتماع هو اللجنة الخامسة

---

(١) هذه العناية ظهرت فعلا مقدماتها اثناء تحريرنا لهذا الكتاب حيث وسعت الدولة في ارزاق مدرسي الجامع من الطبقات الثلاث وفي ارزاق الهيأة الجليلة المشرفة على التعليم ومن التحق بها من الاعوان كما وسعت ايضا في جرايات مدرسي المدن الخمس بالافاق وما هي الا مقدمة خير نرجو من الله توفيق اولي الامر للتمادي عليها

لجنة الاصلاح الخامسة

هذه اللجنة انتصبت للعمل في سنة ١٣٥٧ واسندت رئاستها للشيخ باش كاتب نيابة عن المولى الوزير الاكبر وكان تشكيلها على الوجه الاتي :

الرئيس : امير الامراء السيد احمد بن الرايس وزير القلم والاستشارة وباش كاتب

الكاهية : الشيخ صالح المالقي شيخ جامع الزيتونة وفروعه

الاعضاء : الشيخ محمد الطيب بيرم المفتي الحنفي

الشيخ محمد العزيز جعيط المفتي المالكي

الشيخ بلحسن النجار المفتي المالكي

الشيخ محمد دامرجي القاضي الحنفي

الشيخ الطيب سياله القاضي المالكي

مسيو صوماني مدير الادارة العامة والبلديات

امير الامراء السيد محمد بن الخوجه مستشار الحكومة التونسية

امير الامراء السيد مصطفى صفر شيخ المدينة

امير الامراء السيد محمد سعد الله مدير الاوقاف

امير اللواء السيد محمد قاسم رئيس القسم الاول

السيد الصادق التلاتلي العضو بالمجلس الكبير

السيد البشير البكري العضو بالمجلس المذكور

الافوكات السيد مصطفى الكعاك

الاستاذ الشيخ الصادق المحرزي

الاستاذ الشيخ محمد الصالح بن مراد

المدرس الشيخ محمد الزغواني

المدرس الشيخ المختار بن محمود

المدرس الشيخ الفاضل بن عاشور

المدرس الشيخ الشاذلي ابن القاضي

المدرس الشيخ معاوية التميمي

المدرس الابتداءي الشيخ احمد شلبي
المدرس الابتداءي الشيخ التهامي الزهار
المتطوع الشيخ علي التريكي
المتطوع الشيخ الصادق ابو السرور

وقد وقع افتتاح هذه اللجنة بحضور فخامة المقيم العام وجناب المولى الوزير الاكبر وجناب كاتب الدولة العام وجناب كاهيته وجناب مدير الادارة العامة والبلديات ولما استوى بالحاضرين المقام القى جناب المقيم مسيو ارمان قيون خطابا متين المبنى رشيق المعنى جمع فيه بين الفصاحة وبين الالمام المفيد باحوال جامع الزيتونة مع التنويه بشانه والثناء على متخرجيه وما تسديه هذه الجامعة الاسلامية للديار التونسية من بث الثقافة العربية ولغة الناطقين بالضاد ثم تخلص للتصريح بما للدولة من عظيم الاهتمام بجامع الزيتونة وانها لا تزال ساعية لتحسين حالة اساتذته الكرام وطلبته النجباء من الوجهتين المادية والادبية وتعرض بهاته المناسبة لمقترحات المدرسين وجعل لها قياسا بين حالتهم الحاضرة وحالتهم في الماضي مستنتجا من ذلك تواصل العناية الناطقة بما للدولة من الاهتمام بشانهم وانهم لو قايسوا بينها وبين ما للدولة من الاهتمام بمتوظفي الادارات والمصالح الاخرى لوجدوا حالتهم الراجحة في كفة الميزان وختم خطابه بتعليق الامل على نجاح هذه اللجنة في ماموريتها الشريفة ثم بارح المجلس بين مظاهر الاكرام والاحترام .

ويلوح من طلائع المجهودات الرشيدة التي توفق اليها اعضاء هذه اللجنة بنظرهم المتواصل في سبيل اصلاح احوال الجامع من الناحيتين العلمية والادارية ان مساعيهم المحمودة ستجد ان شاء الله عند طرحها على بساط النظر حيث يجب العناية والمساعدة على وضع برنامج نهائي للمعهد الزيتوني مناسب للزمان والمكان كافل بسير علوم الدين والعربية في مدارج الرقي والسؤدد الذي يستحقه هذا العهد الديني المتمتع من فضل الله بسمعة عالمية في بلاد الاسلام قاطبة وحافظ من جهة اخرى لكرامة اهل العلم بامناحهم ما تستحقه منزلتهم العالية في المجتمع ومجهوداتهم الفاضلة في كفة ميزان العدالة والانصاف . ويرى القاري الكريم انه تكرر مني في هذا الباب وصف جامع الزيتونة بمعهد ديني وهو نعت كررته عن قصد دفعا لكل التباس لان دراسة العلم بالجامع التي مضت عليها نحو عشرة قرون انما هي كانت كما لم تزل بحمد الله مؤسسة على دعامة

الدين فعلوم الشريعة هي الاساس الصالح والمقصد الرئيسي من ايجاد نظام التدريس الذي مضت عليه احقاب بجامع الزيتونة ودرج عليه ملوك الدول التي تولت حكم تونس منذ القديم ولا سيما ساداتنا وموالينا ذوو القدر العلي والفخر الحجي ذرية المولى حسين بن علي والشيء الذي اداني لذكر هذه الحقيقة وتسجيلها هنا هو اعتقادي بسلامة جامع الزيتونة ما دام متلبسا ومتجملا ومتحليا بصبغته الدينية التي اكسبته شهرته العالمية وجعلت اساتذته بالمنزلة المغبوطة والدرجة العلية .

وكيف يصح في الاذهان شيء اذا احتاج النهار الى دليل

تتمة

. واستدراك على الحاشية عدد (١) بالصفحة ٤٢ من هذا الكتاب

قلت في الحاشية المشار اليها ان جراية مدرسي الطبقة الاولى بالجامع الاعظم كانت ثلاثة ريالات في اليوم اثناء سنة ١٢٨٧ وان المشير محمد الصادق باي رفعها الى خمسة ريالات بمقتضى ظهير كريم تضمن شتى الوصايات في الحث على نشر العلم وقد تضمن ذلك القول الذي نقلته بالسماع غلطا في مقدار الجراية المشار اليها اذ ان سمو الباي المذكور رفعها من ريالين لخمسة ريالات لا من ثلاثة لخمسة استفدت ذلك بالوقوف بعد طبع الصفحة ٤٢ من هذا الكتاب على نص الظهير الملوكي المذكور الصادر في الحث على نشر انوار العلوم بين اهل البلاد ولما تضمنه هذا الخطاب الميمون من الوصايات النفيسة لاهل العلم ولما احتوى عليه من دلائل عناية المشير محمد الصادق باي بجامع الزيتونة بالتوسيع في ارزاق شيوخ التدريس وضبط احوال التعليم لم نر بدا من نقل عبارته هنا اتماما للفائدة ونصه :

الافاضل الازكياء الثقاة المشائخ المدرسون بالجامع الاعظم من الطبقة الاولى والثانية ادام الله اكرامهم اما بعد السلام عليكم ورحمة الله فانكم بمكان علمي لا يعزب عن المتصدر له ما في الاقبال على العلم الشريف ونشره والحرص على ايصال النفع للمتعلمين من المصالح الدينية والدنياوية لا سيما اذا تسيرت اسبابه وفتحت ابوابه وللحرص على هذا المطلب المهم الذي يجب الاعتناء به اقتضى نظرنا ان نعين من دخل الدولة مقدارا سنويا لاعانة المشائخ المدرسين على ما هو المقصود من انتصابهم للافادة وذلك بان يزاد للمشائخ النظار نظير ما يستحقونه بمقتضى نص المعلقة وثلاث ريالات كل يوم لكل من المشائخ المدرسين بالطبقة الاولى وريالا يوميا لكل من المشائخ المدرسين

بالطبقة الثانية زيادة على ما يستحقه اهل الطبقة الاولى من بيت المال وما يستحقه اهل الطبقة الثانية من دخل الاحباس المخصصة بهم ويجري حكم هذه الزيادة على مقتضى حكم المعلقة وحكم الاحباس المخصصة نصا سواء ولما كان لوكلاء الكتب بالجامع الاعظم دخل في التحريض على هذا المقصد جعلنا لكل واحد منهما في اليوم ريالا واحدا زيادة على ما ياخذه عن ولايته وذلك من المقدار المعين المذكور وامرناهم بالمواظبة كل يوم لبيان من يحضر من المشائخ ومن يتخلف منهم ليرفع للوزارة بواسطة المشائخ النظار في كل شهر اعلام يتضمن بيان من حضر ومن غاب لتبنى عليه معرفة احوال المجتهد من غيره وليتحرر بمقتضاه مايلزم من المرتب المزيد اذ لا يستحق المدرسون هذه الزيادة الا بقدر ايام التدريس في الشهر فالعمل ان تجتهدوا في المواظبة على الوجه الذي تحمد به ءاثاركم وتستحقون به المزيد مما انتم اهله وسنعين من اعيان المتوظفين بدولتنا من يخبرنا بما شاهده من سيرتكم في المواظبة والظن انكم لا تحتاجون لمزيد التوكيد فيها والله ولي الاعانة والتوفيق الى اقوم طريق والسلام من الفقير الى ربه تعلى عبده المشير محمد الصادق باشا باي وفقه الله وكتب في ١ رجب الاصب من سنة ١٢٨٧ اهـ .

لبوس اهل العلم بتونس

هذا الفصل هو ختام الكلام على جامع الزيتونة وفروعه فقد استوفينا الكلام عنه من حيث هو بيت عبادة ثم الحقنا بذلك اخباره بمزيد بسط من حيث هو مدرسة لتعليم علوم الدين ووسائلها وقد رايت من تمام الفائدة ان نلم هنا بحديث لبوس اهل العلم المنتصبين للتدريس بالجامع واليك البيان

لبوس شيوخ العلم بتونس في هذا الزمان هي العمامة البيضاء وما اجملها لو ابقوها على ضخامتها وفخامتها الاصلية عوض التطور الذي تناولها بطريق التضاءل وهو من القضايا المعكوسة ويلبسون معها الجبة الواسعة الموشاة الطوق بما يسمونه الاشمس الحريرية ويحملون فوقها البرنس البربري من نسيج الصوف الابيض موشى الحواشي بضفيرة من الحرير واحذيتهم هي البشماق والريحية الصفراوان من الجلد الفيلالي وفي ايام الاعياد يعتاضون عن العمامة بالزمالة الفارسية ذات اللف المشحوط اللطيف وهي من لبوس مشيخة الترك كما تراه ببعض الرسوم القديمة منها

رسم فارس الجهاد وبطل الابطال الباشا خير الدين بربروس صاحب الكر والفر ايام الاحتلال الاسبانيولي لتونس . وكان اهل العلم ومنهم العدول يلبسون في القرون الماضية القفطان ويتحاشون عن لبس الجبة وفي اوائل القرن الماضي كانوا يلبسون الطيلسان والملوسة التي هي اليوم شعار اهل المجلس الشرعي العلي باختلاف قليل بين الحنفي والمالكي في شكلها الاسطواني وقد تضمن كتاب تعطير النواحي ابياتا للشيخ ابراهيم الرياحي قالها مستشفعا من لبس تلك الملوسة لاحد الفقهاء من العدول واسمه الشيخ منصور الورغمي وكان فيما يقال بشع الخلقة فاعفاه منها الشيخ محمد بيرم الثالث والابيات معروفة بين اهل العلم ومطلعها

كبرت عليهم انها لكبيرة منصوبة علما على التمييز

ومنها في الاشارة لقبح من لم يخلق راسه لحملها ولمن كان راسه مواتيا لها

فعلى فريق منهم هي مثلة ولبعضهم زلفى الى التبريز

اما البشماق والريحية المتقدم ذكرهما فاولهما هو حذاء نساء الاتراك في البيوت يشاركهن في لبسه الرجال كلبس القفطان بالنسبة لاهل المغرب فانه يلبسه الرجال والنساء على حد سواء لا فرق في ذلك بينهما واما الريحية فهي من اوضاع العرب وكانت موجودة في الدولة الحفصية وممن حمل يومئذ على لبسها الامام الشيخ محمد بن عرفة لانه كان يتوضأ ويدخل للمسجد حافيا على عادة البوادي فانكر عليه ذلك بعض اضداده من فقهاء الحضرة واوجبوا عليه اتخاذ الريحية وكان لهم معه في مقام التنكيت والمضائقة احاديث مروية منها نازلة منعه من اكل التين الى غير ذلك مما لا يسعه مجال هذا الكتاب قال في المونس عند التعرض لافتاء بعض العلماء بقتال اولاد سعيد من عرب افريقية : وابن ناجي افتى بتحريم مبايعتهم ءالات الحرب حتى الاتمقة والرواحي التي يلبسها الافريقيون من العرب اه قلت لعل الريحية في العصر الحفصي كانت اوسع واشمل لوجه الساق من ريحية الشيوخ في هذا الزمان لان وضعها الاصلي فيما يلوح كان القصد منه حفظ الساق من تاثيرات البرد ومن غبار الطريق الامر الذي قام به في هذا العهد لبس الكلاسط (جمع كلسيطة من Calzetta في اللغة الطليانية) وهي ضرب من الجوارب التي يلف بها الرجل رجله وشذ من الشيوخ من يلبس قفازا بيديه كشذوذ من يلبس منهم المست وهو نوع مهذب من انواع الخف

ويمتاز فضيلة شيخ الجامع عن بقية الشيوخ من اساتذة ومدرسين بلبس شعار اهل المجلس الشرعي حيث هو منهم بصفته قاضيا للجماعة بالعنوان الشرفي زيادة على خطة المشيخة ولبوس المجلس الشرعي هي الملوسة والطيلسان اعني الشال الكشمير والكابة للمالكية التي تقابلها الفراجه عند الحنفية ويلوح ان لفظ كابة مشتق من Cappa في الطليانية كما سبق مني بيان ذلك باشباع في كتابي حيش الدخيل في اللسان التونسي الاصيل لان مادة هذا اللفظ في العربية لا تساعد تفاعيلها على الكابة المالكية واما الفراجه الحنفية فلفظها مشتق من الانفراج الذي هو شكل هذا القفطان الواسع واول من اتخذ زيا خاصا بالقضاة هو الامام ابو يوسف صاحب الامام الاعظم ابي حنيفة رضي الله عنهما وكان قصده من ذلك التأثير على فكر العامة حتى يكون القاضي في نظرهم من طبقة راقية عن بقية الناس ولا يقول بغير هذا الا الوسواس الخناس

٢

جامع التوفيق (١)

خطبته هي الثالثة في سلسلة جوامع الخطبة بتونس وامامه في هذا الزمان الشيخ احمد الشاهد المتطوع في العلوم بجامع الزيتونة

هذا الجامع يسمى ايضا جامع الهواء وهو من مآثر المحسنة الاميرة عطف (٢)

---

(١) يوجد بمقبرة الجناح الاخضر بالقيروان مسجد باسم جامع التوفيق يقال انه عتيق كان بناؤه حوالي المائة الثانية للهجرة

(٢) اتفق المؤرخون على انها كانت نصرانية واهتدت للاسلام . قلت لم تكن هي الاميرة الوحيدة التي نبذت الديانة النصرانية واعتنقت الاسلام في الدولة الحفصية فان اكثر سلاطين بني ابي حفص كانت امهاتهم وزوجاتهم نصرانيات ودخلن في الاسلام عن طيب نفس واسسن الجوامع والمدارس وغير ذلك من مساعي البر التي قصها علينا التاريخ وهذا باب حومة العلوج بتونس سمي كذلك حيث كان به مساكن اخوال السلطان ابي عمرو عثمان بن محمد بن ابي فارس الحفصي وكانوا نصارى وفدوا عليه لتهنئته عند ولايته الملك وكانت امه اسمها مارية في النصرانية فصارت مريم في الاسلام ومعنى مريم في العبرية العابدة كما ان معنى المسيح سلطان ولم نر

زوجة الامير ابي زكرياء وام السلطان محمد المستنصر ثاني ملوك بني ابي حفص استه في سنة ٦٥٠ ثم تنوسي اسمه الاصلي اي جامع التوفيق ولعلهم اطلقوا عليه اسم جامع الهواء لحسن مناخه وارتفاع موقعه ورايت في بعض التواريخ ان تسميته بجامع الهواء وكذلك مدرسته التي سياتي الكلام عليها في باب المدارس كانت دارجة في العصر الحفصي فهي ليست بحديثة كما يتوهمه بعضهم وفي تاريخ ابن خلدون ما يفيد وان السلطان محمد المستنصر المتقدم ذكره رتب بهذا الجامع دروسا في العلم عهد بها لبعض مشيخة اهل الاندلس الوافدين في زمنه على تونس وقد رايت في بعض المجاميع ان ممن تولى به الامامة القاضي ابو العباس احمد بن عبد الرفيع وان السلطان خلع عليه عند ولايته ثوبين من النوع القدسي احدهما ابيض والاخر اخضر (١) وقال الوزير السراج في الحلل السندسية ان من ايمة جامع الهواء الشيخ الابي شارح صحيح مسلم وهو من تلاميذ الامام ابي عبد الله محمد بن عرفه الورغمي وبالتالي تولى امامته جماعة من مشاهير فقهاء المذهب المالكي واستقرت اواخر القرن الماضي في بيت المفتي العلامة شيخ الشيوخ ابي عبد الله محمد بن حمزه الشاهد والتاريخ يفيد انه كانت لهذا الجامع ومدرسته اوقاف واسعة تلاشت بانتقال الدولة من بني ابي حفص للاتراك حتى ان الشيخ ابن ابي دينار ذكر في المونس ان مدرسة هذا الجامع عفت رسومها

بالتاريخ من شذت من النصرانيات الكثيرات اللاتي تزوجن بالملوك التونسيين ببقائها على ملتها سوى ام الامير رمضان باي المرادي فانها ماتت على دينها ومن برور ابنها بها ان بنى لاجلها كنيسة باب قرطجنة الموجودة لهذا الزمان ودفنها بها ويلوح انها كانت على مذهب البروتستان لان هذه الكنيسة تابعة لاهل هذا المذهب والمذهب البروتستاني انتظمت احواله باروبا في اواخر القرن السادس عشر للميلاد وهذا الزمن يوافق مدة رمضان باي واوائل القرن الحادي عشر للهجرة كما يوافق ابتداء ظهور من ينتسب للمذهب البروتستاني في تونس على ما افاده المؤرخ بلانتي في الجزء الاول من كتابه

(١) هذا اللون الاخضر كان مرغوبا فيه بين الفقهاء ولعلهم كانوا يستنسمون منه رائحة اهل الجنة وفي بعض كناشات البيت الخوجي ما يفيد وان الشيخ العم الاكبر ابا العباس احمد بن الخوجه لما تلقى التقليد بمشيخة الاسلام في سنة ١٢٩٤ خلع عليه المشير محمد الصادق باي بفراجة خضراء تسر الناظرين

في زمنه (القرن الحادي عشر) فتكون مزيـة احيائهـا من مفاخر العصر الحسيني لانها قائمة الذات في هذا الزمـان ولان جمعية الاوقاف عقـدت العزيمة على توسيع ساحتها بالزيادة في عمارتها اسعافا لاهل العلم وبرا بهم وشهرة جامع الهواء في الخصاصة مشهورة بين جوامع تونس ومعروفة بين الادبـاء يروى ان الاديب ابا الحسن علي الغراب من شعراء صفاقس (توفى سنة ١١٨٣) نظر يوما شابا يقتطف حب الزيتون فقال متغزلا وفيه تورية

جمعت هوى ظبي وقـد كان جامعا لزيتونـة من فوق اغصانها استوى
ايا جامع الزيتونـة الفاتن الورى تعطف بمعروف على جـامع الهوا

وهذا الجامع ينعقد به ختم الحديث في الثامن والعشرين من شهر رمضان

بقي علي اضافة كلمة لما تقدم على وجـه التعريف بالمنبر الموجود لهذا الزمـان بجامع الهواء فهذا المنبر مكتوب عليه رقم سنة ٨٩٩ وكان مقره بجامع ابي محمد والسنة المذكورة تشير لتاريخ صنع هذا المنبر الذي وقع نقله في سنة ١٣٢١ من جامع ابي محمد لجامع الهواء واقيم مقامه بجامع ابي محمد منبر اتقن منه صنعا كانت جمعية الاوقاف عرضته بالقسم التونسي بمعرض باريس سنة ١٩٠٠ ولما وقع استرجاعه من باريس بعد اغلاق ابواب المعرض استقر الـراي على نصبه حيث هو الان بجامـع ابي محمد فلله هو من منبر كان فطامه على ضفاف نهر السين ولكنـه ابى الا ان يعود لبيت الركع السجود

٣

جامع باب البحر

خطبته هي الرابعة في سلسلة جوامع الخطبـة بتونس وامامه في هذا الزمان لمدرس الشيخ احمد المهدي النيفر

هذا الجـامع كان يسمى في البداية جامع الزيتونة وغلب عليـه اسم جامع باب البحر لموقعه على مقربة من مياه البحيرة المتصلة بالبحر وايضا دفعا للالتبـاس بجامع الزيتونة كعبة العلم بتونس . اسسه الدعي احمد بن مرزوق بن ابي عمارة المسيلي في حدود سنة ٦٨١ على عهد السلطان الحفصي ابي اسحق ابراهيم بن ابي زكرياء قال في المونس : انه كان سفاكا للدماء خسيسا فاجرا كذابـا لم تكن له منقبـة غير انه رفع

النزول عن اهل تونس وبنى جامعا للخطبة خارج باب البحر وءال امره للطواف به على حمار خلال الشوارع والازقة بالحضرة ثم قطع راسه اهـ. قلت انما احدث هذا الجامع الذي بناه في مبادي امره مكان فندق كانت تباع به الخمور ورفع النزول (١)

---

(١) ضجر اهل تونس من هذه السخرة المعروفة بالنزول في الدولة الحفصية فصدر امر السلطان في سنة ٧٧٢ باجراء احصائية لجملة دور الحاضرة فكانت نحو سبعة ءالاف دار وظف عليها السلطان مقدارا من المال يساوي مبلغ كراء شهرين لتلك الدور فتحصل من ذلك ثلاثون الف دينار اشترى بها السلطان دارا سموها دار الضيوف وابطلوا اعادة النزول على الناس هذا وقد دام وجود دار للضيوف بتونس الى موفى القرن الماضي وكان وكيلها في عهد المشير محمد الصادق باي الامير الاي ابو الفداء اسماعيل بن عبد الله وممن كان ينزل بها بطريقة مطردة اعيان الطرابلسيين الذين يفدون على تونس عن اذن واليهم في قضاء بعض مهمات الولاية كاشتراء الخيل وغير ذلك. وممن كان يسكنها ايضا اشراف المغاربة واعيان المشارقة الذين يفدون على تونس بقصد السياحة وقد وقفت على تقييد بخط الشيخ الوالد تضمن قدوم نفرين من اعيان داغستان في سنة ١٢٩١ وقع اسكانهما بدار الضيوف على يد وكيل الحرمين المرحوم محمود عزيز بلغ مصروف اقامتهما بتونس الى ريالات ١١٢٠ كما نزل بتلك الدار العالم الاديب الشيخ محمد علي اليمني الهندي الوافد على تونس في عام ١٢٩٦ وكانت الدولة التونسية كما ذكرنا تمون اولئك الضيوف وتحسن قراهم وءاخر من نزل بهذه الدار الشيخ مصطفى افندي امام جامع مالطة حيث كان يقدم في اواخر رمضان من كل عام لحضور صلاة العيد بتونس ولقبض عوائده من الدولة وقدرها الفاريال (١٢٠٠ فرنك) واتفق له القدوم كسابق عادته في سنة ١٢٩٨ اثر نصب الحماية على تونس فاقنعه الوزير محمد خزندار بان لا فائدة له في الرجوع في المستقبل وهكذا كان

واعلم ان الدار المتحدث عنها غير سراية المملكة فان هذه الدار كان امراء تونس يسكنون بها ضيوفهم من ابناء الملوك المسلمين وغير المسلمين ولقد كان اطلعني المرحوم السيد الطاهر خير الدين وزير العدلية على عدة وثائق تاريخية انجرت له من والده رحمه الله فكان في جملتها مكتوب منه للمقدس المشير محمد الصادق باي مؤرخ في ١٨ ربيع الانور سنة ١٢٩٣ نص محل الحاجة منه: بلغ لخديم الحضرة العلية ان نفرين احدهما من ابناء سلاطين الهند قدما الى تونس يوم التاريخ وحيث ان عادة الحضرة العلية دام علاها تكرم امثال المذكورين بالنزول في سراية المملكة بالحاضرة

عن اهل تونس ليستجلب خواطرهم ويردهم عن طاعة السلطان الحفصي ليستفيد من وراء ذلك وفي اثناء الاحتلال الاسباني لتونس اغتصبت عساكرهم هذا الجامع وجعلوه مستودعا لذخيرتهم الى ان استرجعه منهم الوزير سنان باشا بالقوة القاهرة وهذا الجامع تقلد امامته في القرون الاخيرة ثلة من اهل العلم منهم العلامة الشيخ محمد الحجيج الاندلسي دفين تربة الشيخ عامر البطاش وكانت وفاته في سنة ١١٠٨ ومنهم العلامة ابو عبد الله الشيخ محمد زيتونة الشهير وتوفي سنة ١١٣٨ ثم صارت امامته الى ءال بيت المحجوب ومنهم المفتي الشيخ سليمان المتوفى سنة ١٢٦٧ ومن بعده تقلد الامامة به الشيخ محمد المحجوب وكان صغير السن فاقيم له نائب عنه ثم صرف هذا النائب واسندت امامة الجامع لرجل من قراء المثاتم يعرف بالشيخ فارح كانت له صلة بالمرحوم الشيخ مصطفى السماتي صاحب المكانة المعروفة من المشير احمد باي فاحب الشيخ مصطفى المذكور ان تكون له يد على الشيخ فارح فسعى له في ولايته الامامة وتوفى الشيخ فارح على عهد المشير الثاني محمد باي فتقدم للامامة عوضه العلامة الشيخ علي العفيف قاضي المحلة يومئذ ولما توفى في سنة ١٢٩٢ تولى مكانه العلامة قاضي الجماعة الشيخ محمد الطاهر النيفر واعلم ان جراية امام هذا الجامع اوسع جرايات جوامع الخطبة بعد جامع الزيتونة وسبب ذلك ان وقف الجامع كان لنظر امامه الشيخ علي العفيف وهو رجل وافق اسمه مسماه فوفر من ريعه مائة الف ريال ايتمن عليها بعض ثقات التجار في ذلك العصر ولكن اتفق ان متولي الحسبة يومئذ طلبها من هذا الامين بصفته محتسبا فسلمها اليه فقام الشيخ العفيف وقعد ورفع الامر للوزير مصطفى خزندار وراى ان الامين اخطأ في هذا التسليم فتلطف الوزير في اقناع الشيخ بان الامين مصيب في تسليمه المال وراى ان من البر بالشيخ واكرامه رفع جراية الامامة بالجامع الى مائة وخمسين ريالا في الشهر ثم بالزيادات

من القادمين على الحضرة العلية من اروبا فان النفرين المذكورين احق بالاكرام وقد وجهنا من يكشف عن تحقيق حال النفرين وننتظر مايصدر به الاذن العلي لنعتمده اه

وقد اجابه سمو الباي بخط يده بقوله فقد اتصل بنا بطاقة من جنابكم وما اخبرتنا فيها علمناه فان ثبتت عندكم من هاته الرتبة فالواجب اكرامه للغاية لان هذا اول قدوم ابناء سلاطين الهند لحضرتنا والسلام اه

المتوالية فيما بعد صارت الجراية ١٥٠ فرنكا في الشهر هذا ومن نحو جيلين ماضيين تعاقبت ولاية الامامة بهذا الجامع في ذرية المدرس العالم الشيخ الطاهر النيفر . وختم الحديث بهذا الجامع ينعقد في اليوم السابع والعشرين من شهر رمضان

٤

جامع ابي محمد

خطبته هي الخامسة في سلسلة جوامع الخطبة بتونس على احتمال ان الخطبة السادسة هي خطبة جامع باب الجزيرة البراني لان الجامعين بنيا في عصر واحد ولا يدرى ايهما الاسبق وامامه في هذا الزمان الاستاذ الشيخ البشير النيفر

اعلم ان الساعي في تاسيس هذا الجامع هو الشيخ ابو محمد عبد الله المرجاني بمشاركة بعض علماء عصره والشيخ المرجاني من رجال المائة السابعة كمعاصره وسميه الشيخ ابي محمد عبد الله المغربي مؤسس جامع باب الجزيرة البراني الذي سياتي الكلام عليه بمحله قال في كتاب لطائف المنن في مناقب الشيخ المرسي وشيخه ابي الحسن عند الكلام على الشيخ محمد بن سلطان اخي الشيخ ماضي بن سلطان ما نصه : حدثني الشيخ الفقيه الخطيب ابو عبد الله محمد الغربي المعروف بابن القصير قال لما اراد الشيخ ابو محمد المرجاني (١) وعلماء الوقت بناء جامع للخطبة بباب السويقة بتونس اجمعوا على ان يكون بفندق البقل واذنوا فيه وصلوا صلاة قال فاجتاز الشيخ ابو عبد الله محمد وانا اعلم اولاده القرءان بالمكتب الذي قبالة جامع الخطبة الان (كتاب سيدي الرصاص) قال فوقفت اليه وسلمت عليه فنظر الي وقال يا ابا عبد الله الفندق لا يزال يبيع البقل وهذا هو جامع الخطبة وانت خطيبه قال فكان كما قال وبقي هذا الفقيه خطيبه الى ان مات اه من نسخة مخطوطة فهذا الجامع هو جامع ابي محمد وتوفى

---

(١) كان له رباط ياوي اليه طلبة العلم واصحاب الحاجات وهو المدرسة المرجانية المنسوبة اليه وكان رضي الله عنه محل اعتقاد الخاصة والكافة يقوم الناس لقيامه ويقعدون لقعوده ونشبهه في جاهه وعلو مقامه بين جماعة المسلمين في عصره بالشيخ ابراهيم الرياحي في زمنه قالوا انه كان له من النفوذ في الدولة ما بلغ به لحد الاشارة بولاية من يستحق التقدم للملك على غيره من بني ابي حفص وسياتي الكلام على بقية اخباره عند التعريف بالمدرسة المرجانية في باب مدارس طلبة العلم

الشيخ محمد بن سلطان في شوال سنة ٧٠١ وتوفى الشيخ ابو محمد المرجاني في جمادى الاولى سنة ٦٩٩ ومما ذكرنا يظهر ان الجامع المتحدث عنه ليس من مئاثر بني ابي حفص ولم ينسبه اليهم احد من المؤرخين على ان الامراء الحفصيين لم يكن فيهم من تكنى بابي محمد قبل السلطان الحسن بن محمد الذي تولى الملك في سنة ٩٣٢ يعني في المائة العاشرة والجامع الذي هو موضوع الحديث كان يومئذ موجودا بعنوان جامع خطبة قال الفقيه الزركشي في تاريخ الدولتين اثناء كلامه على حوادث شهر محرم من سنة ٨٥٢ : وقدم (السلطان ابو عمرو عثمان) قاضي الانكحة بتونس الشيخ محمد البحيري للفتوى بجامع الزيتونة بعد صلاة الجمعة في الثامن للمحرم فكان يخطب بجامع ابي محمد بربض باب السويقة الجمعة وياتي للفتوى بجامع الزيتونة اه وقال اي الزركشي عند ذكر حوادث سنة ٨٦٤ ان السلطان المذكور : قدم خطيبا بجامع ابي محمد من ربض باب السويقة ومفتيا به بعد صلاة الجمعة ومدرسا بالمنتصرية وناظرا في الاحباس الفقيه ابا عبد الله محمد البيدموري اه

وكان بهذا الجامع منبر من خشب مكتوب عليه كلمة الشهادة متبوعة بتاريخ سنة ٨٩٩ ولعل هذه السنة تشير لتاريخ صنع المنبر المتحدث عنه وفي سنة ١٣٢١ نقلوه لجامع الهواء ووضعوا مكانه منبرا احسن منه كان وقع عرضه بالقسم التونسي من معرض باريس عام ١٩٠٠ صنعه المعلم الاسطا الحاج جعفر النجار

هذا وقد جرت عادة الايمة بجامع ابي محمد التاخير بصلاة الجمعة الى اخر وقتها كي لا تفوت صلاة الجمعة على من تعذر عليه السعي اليها بالجوامع الاخرى وفي اوائل هذا القرن تداعت صومعة هذا الجامع فتداركتها جمعية الاوقاف بالاصلاح والتجديد ومما جرت به العادة من قديم في تونس ان افتتاح اختام الحديث في رمضان يكون بهذا المسجد الجامع وكان موعده به يوم ثاني جمعة بعد عاشر الشهر ثم يسترسل انعقاد الاختام في مواعيدها بالجوامع الاخرى كما سترى حديثه في الباب الرابع من هذا الكتاب وبذلك جرى عمل ملوك تونس في القرون الاخيرة لكن هذه القاعدة تناولها التغيير في العهود المتاخرة واستقر قرارها في هذا الزمان بتعيين اليوم الثامن من شهر رمضان لختم الحديث بجامع ابي محمد سواء وافق يوم جمعة ام لم يوافقه وممن تولى امامة هذا الجامع في العصر الحسيني جماعة من العلماء الفحول

منهم الشيخ ابراهيم الرياحي وابناه الشيخان الطيب وعلي والشيخ احمد بن حسين القمار كبير اهل الشورى المالكية وعنه ورث خطة الامامة والخطابة به العلامة المفتي الشيخ محمد النيفر ومنه تسربلت في عقبه من بعده رحم الله السلف وبارك في الخلف

٥

جامع باب الجزيرة

خطبته هي السادسة في سلسلة جوامع الخطبة بتونس على احتمال ان الخطبة الخامسة هي خطبة جامع ابي محمد لان الجامعين بنيا في عصر واحد ولا يدري ايهما الاسبق وامامه في هذا الزمان الشيخ الشاذلي بلحسن شيخ المغارة الشاذلية

اعلم انه يوجد لهذا العهد بباب الجزيرة جامعان يعرف احدهما بالجامع الدخلاني تقام به صلوات الخمس دون الجمعة والعيدين وسياتي الكلام عليه في التالي والاخر يعرف بالجامع البراني وبه تقام الصلوات مع خطبة الجمعة والعيدين وهذا الجامع هو موضوع الحديث ففي كتاب مناقب (١) الشيخ ابي محمد عبد الله المغربي من معاصري الشيخ ابي محمد عبد الله المرجاني في المائة السابعة ورد قوله : ولما بنى (الشيخ المغربي) جامع الخطبة من باب الجزيرة فتح باب البيت الغربي فراى النبي صلى الله عليه وسلم فسد الباب تعظيما لرسول الله صلى الله عليه وسلم لئلا يوطا بالاقدام وعمل دنقاسه (٢) هناك وعكازه وبنى عليهما وعمل بابين عوضه والباب الان ظاهر للناس واراد رحمه الله ان يخلطه لمسجد يلاصقه من شرقيه فمنعه الفقهاء ان يغير الحبس فجاء الجامع صغيرا وطلب ان يشتري طاحونة كانت تلاصقه من الجوفي فامتنع صاحبها من بيعها له فتغير من اجل ذلك فلم تعمر الا قليلا فكان

(١) هو مجموع مخطوط باليد محفوظ بالمكتبة العبدلية تضمن مناقب جملة من الاولياء والصالحين المشهورين بتونس في المائة السابعة وما قبلها ادرك مؤلفه اوائل القرن الثامن للهجرة

(٢) الدنقاسه هي الحرام الذي يتأزر به الرجل العربي وكان هو لبس الشيوخ في الدولة الحفصية ولفظ الحرام محرف عن لفظ الاحرام الذي يستعمله الحاج من نسيج لا مخيط فيه وقد ورد ذكره كذلك في رحلة الشيخ ابن بطوطه

كل من يعمرها تموت بهايمه ويستسنح بها حتى خربت ثم تخرب المسجد الذي يفتح للشرق من خلف الجامع فتهدم وبنته الحرة كاعب (١) ام امير المؤمنين ابي بكر واضيفت الطاحونة اليه كما اراد الشيخ رحمه الله تعلى اهـ بلفظه

وسمعت من بعض من اثق بنقله من اهل العلم ان الشيخ ابا محمد المغربي بني هذا الجامع بمشاركة اميرة حفصية من اهل البر والمعروف والاميرات الصالحات كن كثيرات في الدولة الحفصية ومهمى كان الحال فان صنيع الشيخ المغربي جاء مماثلا لصنيع عصريه الشيخ ابي محمد المرجاني فهذا سعى لبناء الجامع المنسوب اليه خارج باب السويقة والاخر اي الشيخ ابو محمد المغربي سعى لبناء الجامع المتحدث عنه خارج باب الجزيرة والجامعان كانا من جوامع الخطبة في المائة السابعة وصاحباهما من علماء الظاهر والباطن كانا يعيشان في زمن واحد وفي بلد واحد قال الفقيه الزركشي في تاريخ الدولتين عند ذكر حوادث شهر جمادى الاولى سنة ٨٥٥ ان السلطان ابا عمرو عثمان الحفصي قدم في اواخر الشهر المذكور: الفقيه محمد الزنديوي في جميع خطط الفقيه الغافقي وذلك التدريس بمدرسة المفرض (٢) والخطبة بجامع باب الجزيرة والفتيا به والقضاء ببلد باجه (٣) اهـ ومما تقدم يظهر جليا ان جامع الخطبة بباب الجزيرة

---

(١) زوجة السلطان ابي اسحق ابراهيم بن ابي زكريا الذي تولى الملك سنة ٦٧٨

(٢) هذه المدرسة التي عفت رسومها كان موقعها بجهة الكتبية بحومة القشاشين وقد رايت في بعض التواريخ من اسماها بمدرسة المعرض بالعين لا المفرض بالفاء وعلى تقدير صحة رسمها بالفاء ربما كان اسمها يشير وانها كانت مركزا لجلوس قاضي الفريضة مقدر النفقات الشرعية وشبه ذلك اما على تقدير صحة رسمها بالعين فربما كانت خاصة بجلوس قوابل المعرض ممن كن لهن علاقة بالمحكمة الشرعية للرجوع اليهن في بعض نوازل النساء

(٣) لا بد وانه كان له من ينوب عنه باحدى البلدتين او انه كان يباشر القضاء بباجه في كامل الاسبوع ويأتي لخطبة الجمعة بتونس ثم يجلس بعدها للفتوى ومهمى كان حاله فان مباشرته لوظائفه بتلك الصفة كانت لا تخلو من مشقة لفقدان اسباب المواصلات وصعوبة المسالك في زمنه ويا ليته اخبرنا بمجهوداته في ذلك السبيل لتكون عبرة لابناء هذا الزمان زمان السيارة والطيارة والشيء الذي هو اهم من ذلك كله هو انهم كانوا في الدولة الحفصية يجمعون للفقهاء بين خطتي الفتوى والقضاء على عكس القاعدة المعمول بها في هذا العهد

كان بناؤه في المائة السابعة وان الخطبة كانت مقامة به في القرن المذكور وما بعده غير ان صاحب المونس اورد في حق هذا الجامع عبارة مجملة نسب بها تشييده للمرحوم الحاج علي ثابت وزير يوسف داي ونص كلامه : ومن بعض حسناته (علي ثابت) تضخيمه للمسجد الذي بازاء داره داخل باب الجزيرة (الذي سياتي الكلام عليه) وكذلك تشييده للجامع خارج الباب المذكور اهـ. لا جرم ان مقصوده من عبارة التشييد هو مجرد التجديد لشيء قديم قالوا ان الوزير الحاج علي ثابت وكان من اهل الفضل والمروءة لما جدد عمارة جامع باب الجزيرة الدخلاني سعى لجعله جامع خطبة فحسده بعض منافسيه من اهل الدولة ووشوا به لمتبوعه يوسف داي وتفطن الوزير لهاته المكيدة فتدارك امره بتجديد عمارة جامع الخطبة المعروف بجامع باب الجزيرة البراني بعد ان تناوله الخراب فكان هو جامع الخطبة وحده بباب الجزيرة قال الشيخ ابن ابي دينار وكان خطيبه في زمنه الفقيه المحدث الشيخ سعيد المحجوب من علماء عصره (١) هذا وقد اشتهر جامع باب الجزيرة الدخلاني باسم جامع حرمل نسبة لامامه الذي نصبه به الوزير علي ثابت ودام يؤم الناس به زمنا حتى اشتهر باسمه ومقتضى ما تحصل لدي من الافادات التاريخية التي التقطتها من هنا وهناك في حق هذا المسجد انه كان موجودا في المائة السابعة يقينا وكان يسمى بجامع القنيطرة ففي مناقب الشيخ محمد الزلاج محبس المقبرة المنسوبة اليه قال : كان يوجد بباب الجزيرة في ذلك العهد جامع اسمه جامع القنيطرة وامامه رجل من اهل الصلاح اسمه الشيخ ميمون من معاصري الامام الشاذلي رضي الله عنه اهـ. وقد تحاشا الوزير علي ثابت عند تجديد هذا المسجد عن نسبته اليه مراعاة لمتبوعه وولي نعمته ودفعا لشر مناويه من رجال الدولة في زمنه واكتفى بنقش الثلاثة الابيات الاتية على نافذة المسجد من جهة الطريق العام مخاطبا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) ترجم له في كتاب بشائر اهل الايمان وقال انه كان حافظا للحديث وله سند عال في الكتب الستة سار الى الحج سنة ١٢١١ فادركه اجله بمرسى المبطوح على مقربة من الاسكندرية فجعلوه امانة في تابوت ولما عاد رفاقه من الحج وجدوه كما كان فحملوه معهم لتونس ودفنوه بمقبرة الشيخ الولي الصالح سيدي منصور بن جردان

مشيبي علا فوق الشباب ولا يفي فيا مرسلا بالمومنين رحيم
مجيب لك الباري فسله ينجني اذا برزت للمجرمين جحيم
قضى العمر يا خير الانام مضيعا عبيدك ياتي الحشر وهو عديم

وممن تولى الامامة بجامع حرملة المتحدث عنه قاضي الجماعة الشيخ سالم المحجوب وتولاها بعده ابنه ثم صرف عنها فوليها العلامة الشيخ محمد النيفر الاكبر وقد تضمن ظهير ولايته تسمية هذا الجامع بجامع القنيطرة وهو الذي جدد صومعته ثم تنازل عن الامامة في حياته لابنه قاضي الجماعة الشيخ الطاهر النيفر في سنة ١٢٦٧ ومنه انتقلت للمفتي الشيخ محمد النجار في سنة ١٣١١ ثم لشيخنا المفتي الشيخ الطاهر الرياحي في سنة ١٣٣١ ولما التحق بالدار الآخرة في سنة ١٣٤١ وليها بعده العلامة الشيخ بلحسن النجار المفتي المالكي وله فيه اختام نفيسة امتازت بالتحريرات الفائقة والمباحث الرائقة يشرف المولى الامير مجلسها بحضوره في اليوم الحادي عشر من رمضان

وبعد انتهاء تحرير ما تقدم وقفت على ما يؤيد وان البناء الذي احدثه المرحوم الوزير علي ثابت انما هو كان حقا من قبيل التجديد لا الانشاء وهذه عبارة ما وجدت بدفتر مختوم بالشهادة العادلة متضمن للعقارات والرباعات التي كانت موقوفة على هذا المسجد في سنة الف ومائة ونص عبارته : الحمد لله . بعد ان ظهر ان احباس الجامع الجوفي المعروف بجامع القنيطرة المجدد البناء على يد المعظم الوجيه المحترم الحاج الناسك ابي الحسن علي ثابت داخل باب الجزيرة من تونس المحروسة برسوم متفرقة خيف ضياعها اذن في جمعها من يجب اعزه الله تعلى بتقدر (كذا) واحد حفظا لها حسبما تضمنه طابعه اعلاه بتاريخ اوائل شوال سنة ١١٠٠

ولنرجع بك لجامع الخطبة بباب الجزيرة فنقول ان صومعته تناولها الهرم في اوائل هذا القرن فتولت جمعية الاوقاف تجديد عمارتها بمساعي جميل الذكر صاحبنا السيد البشير صفر رئيس الاوقاف وتم بناؤها في سنة ١٣٢٥ على ابدع اسلوب بشكل اندلسي جميل وبلغت يومئذ نفقة تجديدها الى نيف وتسعين الف فرنك . اما امامة هذا الجامع وخطبته فقد تولاها جماعة من العلماء الاعلام في الدولة الحفصية . وكان خطيبه في اوائل القرن الثاني عشر الفقيه الشيخ محمد الزواي من معاصري الشيخ احمد برناز صاحب كتاب الشهب المخرقة وفيه ترجم له مع غيره من علماء جامع

الزيتونة. وفي عهد الدولة الحسينية قدم الباي حمودة باشا في سنة ١٢٠٦ خطيبا لهذا الجامع العالم الشيخ عمر بن المؤدب شيخ المغارة الشاذلية وابن شيخها وتسربلت الامامة في ذريته الى هذا الزمان فكان الامام بعد الفاضل المتقدم ولده القاضي الشيخ الشاذلي بن المؤدب ثم اعقابه من بعده وكل من تولى منهم امامة الجامع وخطبته تولى مع ذلك في وقت واحد مشيخة الطريقة الشاذلية حتى غلب عليهم لقب بالحسن الذي هو اسم الامام الشاذلي وتنوسي لقبهم الاول قال الشيخ ابن ابي الضياف : لما توفى الشيخ الشاذلي المذكور في سنة ١٢٦٣ حضر جنازته صاحب الدولة المشير ابو العباس احمد باي وحمل جثته بنفسه ومشى خلف نعشه راجلا باعتبار انه (الباي) من ابناء الطريقة الشاذلية اهـ. وجامع باب الجزيرة البراني ينعقد به ختم الحديث في الثالث والعشرين من شهر رمضان

٦

جامع سيدي يحي

خطبته هي السابعة في سلسلة جوامع الخطبة بتونس وامامه في هذا الزمان الشيخ حسونه النيفر المتطوع في العلوم

ذكر بعض المؤلفين ان هذا الجامع احدثه الشيخ يحي السليماني في سنة ٨١٠ والصحيح ان تاسيسه كان متقدما على ذلك التاريخ بدليل ان الشيخ يحي المذكور وكان من الصالحين توفى في اواسط المائة الثامنة قال المؤرخ ابن الشماع في حوادث سنة ٧٤٩ واشتد القلق في الطعام فبلغ قفيز القمح ثمانية دنانير كبيرة والشعير على شطر من ذلك وكثر الوباء حتى انتهى عدد الاموات الى الف شخص ومات جماعة من العلماء والصلحاء منهم الشيخ الفقيه القاضي محمد بن عبد السلام والعابد الزاهد الفقيه الولي سيدي يحي السليماني وكان يطلب عليه العلم ببيته ثم شرع في العبادة وتقشف اهـ. وقال في جهة اخرى اثناء الكلام على دولة السلطان عمر بن ابي بكر الحفصي : واحدث الامير عمر خطبة سابعة بجامع سيدي يحى السليماني وكان يقال من علامة خراب تونس ان يكون فيها سبع خطب اهـ.

ويستفاد من عبارة كتاب المونس ان احداث هذه الخطبة السابعة كان في سنة ٧٤٧ اي اثر ولاية السلطان عمر بن ابي بكر في ثاني رجب من العام المذكور لانه لم يلبث في الملك غير قليل حتى ظهر بدولته الهرج والانقسام الذي ءال به للفرار ثم الى القتل بحامة قابس في اواسط جمادى الاولى من العام الثاني ومما روى الشيخ ابن ابي دينار ضمن هذا الحديث قوله مؤيدا لكلام سلفه ابن الشماع : وابو حفص عمر زاد خطبة سابعة في جامع سيدي يحي السليماني وكان يقال من علامة خراب تونس سبع خطب تكون بها ثم زاد على ذلك قوله : قلت اليوم بها ثلاث عشرة خطبة والعلم عند الله اهـ. وانا اقول وبها اليوم تسع عشرة خطبة سبعة حنفية واثنا عشرة مالكية ومما تقدم يظهر جليا ان جامع سيدي يحي كان موجودا بعنوان جامع خطبة في سنة ٧٤٧ فيكون هذا التاريخ هو المتعين اعتماده اذا اعتبرنا ان المقصود من هذا المختصر هو التعريف بجوامع الخطبة والا فمن المحتمل ان يكون تاسيسه بصفة مسجد متقدما على ذلك ببعض سنين على اوسع تقدير

والمشهور ان امامة هذا الجامع كانت من زمن قديم بيد ذرية مؤسسه وءاخرهم الشيخ يحي السليماني المتوفي عام ١٢٧٢ ومنه انتقلت الامامة للعالم الشيخ ابي الفلاح صالح النيفر ثم خلفه فيها ابنه المدرس الشيخ محمد المتوفى عام ١٣١٤ وهذا الجامع ليس به رواية للحديث

٧

جامع التبانين

خطبته هي الثامنة في سلسلة جوامع الخطبة بتونس وامامه في هذا الزمان الشيخ عبد الرحمان البناني المفتي المالكي

سمي بجامع التبانين لقرب موقعه من موقف باعة التبون في الزمن القديم حيث كانت معامل صنع البرادع للبغال والحمير وما زالت منها بقية ضئيلة لهذا العهد ويستفاد من تاريخ الدولتين للفقيه الزركشي ان هذا الجامع كان يعرف بجامع سيدي جعفر في زمن هذا المؤرخ وان هو غلب عليه فيما بعد اسم جامع النفافتة لتعدد من

تولى به الامامة من ءال بيت النفاتي العلماء الاعلام وءاخر من تولى امامته منهم المرحوم الشيخ ابو العباس احمد النفاتي المتوفى سنة ١٢٨٩ ولم يبق منهم لهذا الزمان من لـه ذكر بين اهل العلم . والمشهور ان مؤسس هذا الجامع هو السلطان ابو عمرو عثمان الحفصي في اواسط دولته التي ابتدات في سنة ٨٣٩ وانتهت في سنة ٨٩٣ لكن التواريخ التي بين ايدينا ومنها المونس للشيخ ابن ابي دينار وابن الشماع والزركشي وهـذا كان من معاصري السلطان ابي عمرو عثمان المذكور لم يتعرض احد منهم لهذا الجامع في جملة مآثر هذا السلطان وهي كثيرة وغاية ما ذكر الشيخ محمد الزركشي هو قوله : وفي اوائل ربيع الثاني من عام ٨٥٥ احدث بتونس (اي السلطان ابو عمرو عثمان) خطبة ثامنة بجامع سيدي جعفر بالتبانين بربض باب السويقة اه وهـذه العبـارة لا يستفاد منها اكثر من اقامة خطبة الجمعة والعيدين بالجامع المذكور بل يستروح منها سبقية وجود الجامع المذكور عن تحويله لجامع خطبة بامر السلطان عثمان الحفصي والقرائن تؤيد ذلك لاحتمال ان هـذا الجامع كان موجودا بعنوان مسجد للخمس يعرف في ذلك الزمان باسم جامع سيدي جعفر ولو كان السلطان عثمان المذكور هو المحدث له لنسبه اليه كتاب التاريخ وسجلوا مزيـة بنائـه بصحيفة حسناتـه الكثيرة والخلاصة ان جامع التبانين صار جامع خطبة ابتداء من سنة ٨٥٥ ومـا زال كذلك الى هذا الزمان وقد ذكرنا فيما تقـدم اسم اخر شيخ تـولى امامته من ءال النفاتي فلما توفى هذا الشيخ في سنة ١٢٨٩ كما سبقت الاشارة لذلك خلفه في خطته الشيخ الطاهر النيفر ثم نقل الى امامة جامع باب البحر فتولى مكانـه بجامع التبانين الشيخ عمر بن الشيخ قالوا انه لم يؤم فيه ولو في صلاة واحدة بل استخلف فيه من يوم توليته ويخطب متنازلا له عن الجراية باكملها لانه كان يشتهي الولاية فيما يقال بجامع باب البحر فلما تقدم اليها غيره غضب من اجل ذلك ولم يباشر خطته بجامع التبانين الى ان توفى في سنة ١٣٢٩ فتقدم عوضه للامامة والخطابـة بالجامع المتحدث عنه شيخنا المرحوم الشيخ الطاهر جعفر وتوفى سنة ١٣٣٤ فخلفه ابنه في الامامة والخطابة ثم التحق بالدار الاخـرة فتقدم لمنبره ومحرابه امامه الحالي بارك الله في انفاسه

٨

جامع الحلق

خطبته هي التاسعة في سلسلة جوامع الخطبة بتونس وإمامه لهذا الزمان الاستاذ الشيخ محمد العزيز جعيط المفتي المالكي

اعلم ان التواريخ التونسية لم تتعرض لنشأة هذا الجامع وغاية ما رأيت في حقه وردد ذكره عرضا بتاريخ المؤنس قال مؤلفه رحمه الله : ومنهم(العلماء المعاصرون لصاحب المونس) الشيخ المعمر المتورع المتبرك به ابو العباس أحمد عرف المهدوي وهو الان (أواخر القرن الحادي عشر) خطيب بجامع الحلق قريبا من باب الجديد زاد الله في حسناته اه فهذه العبارة يستفاد منها أن جامع الحلق كان من جوامع الخطبة بتونس في القرن الحادي عشر وكان عدد هذه الجوامع يومئذ ثلاثة عشر كما نبه له الشيخ ابن أبي دينار في جهة اخرى من تاريخه فلزم بحكم الضرورة البحث عن منزلة جامع الحلق في سلسلة جوامع الخطبة ولاجل التوصل لهذه النتيجة سعيت لضبط تلك المنزلة من الاعلى الى الادنى ومن الادنى الى الاعلى فتحرر أن الخطب المتقدمة على خطبة جامع الحلق هي خطبة جامع الزيتونة (اولى) أحدثت في أواخر القرن الاول للهجرة ثم خطبة جامع القصبة (ثانية) أحدثت في سنة ٦٢٩ ثم خطبة جامع التوفيق (ثالثة) أحدثت في سنة ٦٥٠ ثم خطبة جامع باب البحر (رابعة) أحدثت في سنة ٦٨١ ثم خطبة جامع ابي محمد (خامسة) أحدثت في المائة السابعة ثم خطبة جامع باب الجزيرة البرابي (سادسة) أحدثت في المائة السابعة ايضا ثم خطبة جامع سيدي يحيى (سابعة) أحدثت في سنة ٧٤٧ ثم خطبة جامع التبانين (ثامنة) أحدثت سنة ٨٥٥ ثم بالنظر في تواريخ نشأة البقية الموجودة من جوامع الخطبة المحدثة في زمن المؤرخ إبن أبي دينار ابتداء من اخرها وضعا وهو جامع حمودة باشا المرادي (ثالث عشر) اقيمت به الخطبة سنة ١٠٦٦ والجامع الذي اقيمت فيه الخطبة قبله هو جامع سبحان الله (ثاني عشر) كان بناؤه فيما بين سنة ١٠١٧ وسنة ١٠٣٤ والخطبة قبلها هي خطبة جامع يوسف داي (حادي عشر) تم بناءه سنة ١٠٢١ والخطبة قبلها ترجع لجامع القصر (عاشر) اقيمت به سنة ١٠٠٨

فتعين بحكم العقل والنقل ان خطبة جامع الحلق هي الخطبة التاسعة في سلسلة جوامع الخطبة بونس بعد الخطبة الثامنة المحدثة في العقد السادس من المائة التاسعة بجامع التبانين وقبل الخطبة العاشرة المحدثة بجامع القصر في العقد الاول من القرن الحادي عشر بحيث إن حدوث خطبة جامع الحلق كان فيما يلوح خلال المائة العاشرة اثناء هرم الدولة الحفصية على أن هذا الجامع كان موجودا في أواخر المائة الثامنة فقد أطلعني العلامة الثبت الاستاذ الشيخ البشير النيفر على كناش (١) له تضمن وقوفه بالذات على عبارة منقوشة بحجارة موجودة إلى هذا اليوم بجدار صومعة جامع الحلق نصها : بسم الله الرحمن الرحيم في بيوت اذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والاصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر وإقام الصلوة وإيتاء الزكوة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب جددت هذه المأذنة في رجب من عام سبعة وسبعين وسبعمائة اه وكون بناء الصومعة المشار لها بهذه العبارة كان تجديدا لعمارة سابقة ابلاها الزمان فيه دلالة على أن جامع الحلق كان موجودا في المائة السابعة وما قبلها ولكن وجوده كان بعنوان مسجد للخمس لا للخطبة لانه لو كان جامع خطبة في وقت تجديد صومعته لكانت خطبته الثامنة في السلسلة عوض ان تكون من نصيب جامع التبانين باتفاق المؤرخين فانهم ضبطوا تاريخها في سنة ٨٥٥ وجعلوا منزلتها الثامنة بالتصريح بعد خطبة جامع سيدي يحيى المحدثة في سنة ٧٤٧ والتي هي السابعة في السلسلة بالتصريح أيضا والجوامع الستة المتقدمة على جامع سيدي يحي يعني جامع الزيتونة وجامع القصبة وجامع الهواء وجامع باب البحر وجامع ابي محمد وجامع باب الجزيرة اسست كلها بعنوان جوامع خطبة من يوم بنائها فتعين ان تكون الخطبة التاسعة هي خطبة جامع الحلق وهي اخر الخطب المحدثة في العصر الحفصي بناء على ان الخطبة العاشرة التي هي خطبة جامع القصر كانت هي اولى الخطب المحدثة بتونس بعد الفتح العثماني وكان جامع القصر قبل ذلك مسجدا مالكيا للصلوات الخمس . اما تسمية الجامع المتحدث عنه بجامع

---

(١) لفظ كناش معرب من السريانية ومعناه المجموعة والتذكرة والكنش هم الجماعة اه من شفاء الغليل

الحلق (١) فقد سمعت من الاستاذ الشيخ البشير النيفر بنقله عن جده كبير اهل الشورى المالكية ان تأسيس هذا الجامع يرجع الفضل فيه لامة زنجية من اهل العقيدة والنية الصالحة كانت تملك حلقا ذهبية (اسورة) فباعتها وانفقت ثمنها في تاسيس هذا المصلى تقربا الى الله زلفى فيكون ايجاد هذا المسجد في المائة السابعة او متقدما عليها لانه ثبت بنقل الحجارة الخالدة بصومعته ان هذه الصومعة وقع تجديدها في المائة الثامنة كما تقدم بسطه والتجديد يقتضي مرور قرن او اكثر على البناء الاصلي ومنه يلوح ان جامع الحلق ربما كان متقدما على الدولة الحفصية وفي القرق الماضي تناوله التداعي فتوفقت جمعية الاوقاف لتجديد عمارته في سنة ١٢٩٢ وكانت امامته يومئذ بيد المرحوم الشيخ علي بوخريص وتكررت في بيته قبله وبعده وقد ازدان محرابه في هذا الزمان بامامة صاحبنا العلامة المحقق المفتي الشيخ محمد العزيز جعيط وله فيه اختام بين اهل العلم مذكورة وبلسان الحق مشكورة كثر الله من امثاله وهذا الجامع من الجوامع التي وقع بها في مبادي العقد السادس من هذا القرن تغيير ميعاد ختم الحديث فقد كان الختم ينعقد به قدما في يوم ٢٥ رمضان فجعلوه في يوم ١٤ منه وهذا الختم من الثمانية الاختام التي يتبرك بحضورها المولى الامير في هذا الزمان ضاعف له الاجر والاحسان .

وبعد تحرير ما تقدم عثرت على دفتر يشتمل على موقوفات هذا الجامع وقع ضبطها بعناية محمد باي المرادي في عام ١١٠٠ ومهمى ورد ذكر تحبيس عليه رايت قوله : حبسا على المسجد المذكور ويعرف بجامع الحلق مما يؤيد وانه كان مسجدا قبل تحويله لجامع خطبة كما اسلفناه .

---

(١) سمعت من بعض شيوخ هذا العصر انه كان وقف ولا يدري باي كتاب على ما يفيد قطعا وانه كان يوجد بتونس سوق اسمه سوق الحلق فعلى تقدير ان هذا السوق كان مكانه قريبا من جامع الحلق فان نسبة الجامع اليه تكون امرا بديهيا ولا ننسى انه لم يزل موجودا الى اليوم على مقربة من هذا الجامع حوانيت كثيرة للحدادين وسوق اسمه سوق السلاح .

٩

جامع سبحان الله

خطبته هي الثانية عشرة في سلسلة جوامع الخطبة بتونس وامامه في هذا الزمان المدرس الشيخ ابراهيم النيفر

هذا الجامع اسسه اهل الجالية الاندلسية الاخيرة بعد استقرارهم بتونس وعززوه بمدرسة لطلبة العلم وهي المدرسة الاندلسية المعروفة بمدرسة سيدي العجمي وهذه المدرسة تم بناؤها في سنة ١٠٣٤ فيكون تاسيس الجامع المتحدث عنه في المدة الواقعة بين عام ١٠١٦ الذي وصل فيه لتونس اهل الجالية الاندلسية وبين عام ١٠٣٤ الذي تم فيه بناء المدرسة المتقدم ذكرها قال في الخلاصة النقية : وفي اوائل ايامه (عثمان داي) سنة ١٠١٦ قدمت الامم الجالية (١) من جزيرة الاندلس فاوسع

---

(١) الامم التي شملها هذا الجلاء الاخير بعد الجلاء الاعظم الذي تقدمه في المائة الثامنة لم يصل منهم لتونس الا النزر اليسير بالنسبة لمجموع المهاجرين فقد قدر بعض المؤرخين عدد الوافدين منهم على تونس بنحو مائة الف بين رجال ونساء وكان النساء اكثر عددا من الرجال خرجوا من اسبانيا في جملة من هاجر الى شمال افريقيا من المسلمين ونزلوا بساحل المغرب ببحر الزقاق حيث مضيق سبتة بلاد عياض ومن هنالك انتشروا في البلاد المغربية قصد اكثرهم مدينة فاس الادريسية والبقية قصدوا تلمسان والجزائر وقسنطينة وعنابة ومنهم من جد في السير حتى نزل تونس واعمالها ولا سيما بجهات بنزرت والعالية وتستور ومجاز الباب وطبربة وسليمان وقرنالية وغيرها من البلدان التي احدثوها ولم تكن موجودة قبلهم او جددوا عمارتها وكانت موجودة من قبل فكانوا في الجملة نحو المائة الف او يزيدون كما تقدم ذكره استقبلهم عثمان داي ويوسف داي من بعده بالاكرام والاسعاف ووسعا عليهم بالنزول في ضيافة اعيان البلاد كل عائلة ببيت من بيوت الاعيان وكان اكثرهم لا يتكلم غير اللغة الاسبانية وقليلهم من يفهم العربية وكان لباسهم كلباس الاسبانيول لان حكومة الملك فيليب الثالث ضيقت على المسلمين في هذا الدور الاخير لحملهم على التنصر ونبذ دين الاسلام وبالاخرة افتى الراهب ريبيره اسقف بلنسية بوجوب اطرادهم جميعا من ارض اسبانيا ولم يسع الملك فيليب المذكور الا الامتثال لما حكم به الاسقف قال في معجم لاروس ان حكومة اسبانيا خسرت خسارة عظيمة بطرد

لهم كنفه واباح لهم بناء القرى في مملكته فبنوا نحو العشرين قرية (١) واغتبط بهم اهل الحاضرة وتعلموا حرفهم وقلدوا ترفهم اه اما وجه تسمية هذا الجامع بجامع

اهالي الاندلس من بلادهم لان التجارة ولاسيما الفلاحة كانت في ايامهم زاهرة باسبانيا فلما خرج العرب منها بسط الخراب جناحه على هاتيك الديار التي غادرها نحو خمسمائة الف نفس من المسلمين وقامت ثورة بجبال بلنسية من العرب الباقين هنالك هلك فيها اربعون الفا من المسلمين اه. وقال فى الكتاب المسمى التواريخ السنوية التونسية للمؤرخ روصو قنصل فرنسا كان بتونس ان المؤرخ بيصونيل الذي زار الديار التونسية في سنة ١٧٢٤ اي بعد قدوم الوفد الاخير من الاندلس باكثر من مائة عام وجد اهالي طبربة من اعقاب اولئك الاندلسيين يحسنون كلهم اللغة الاسبانية اه. وكان امتزاج الاندلسيين باهل تونس كلقاح خصيب للامة التونسية لان اسلافنا اخذوا عنهم احوالا كثيرة في باب الصنائع اليدوية ومنها تجليد الكتب وزخرفتها بابدع اسلوب وتعلموا عنهم ايضا كيفية عرض البضائع للبيع بالحوانيت من من جمعها وضم المتشابه منها لبعضه وكما اخذوا عنهم ايضا اساليب الفلاحة ولا سيما ءالاتها الغير معروفة يومئذ بتونس ومنها عربات جر الاثقال المسماة بالكريطة ولفظ كريطة اسباني فهي من المبتكرات الاندلسية وكذلك ترجع اليهم مزية تمهيد الطرقات وتعبيدها وكان لنسوة الاندلس فضل على بنات تونس لانهن علمن ابنة البلاد تدبير المنزل من تاثيث وطبخ وحلاويات وكانوا في تونس لا يحسنون قبل ذلك من اصناف الحلو غير الفالوذج وهو عبارة عن سميذ فسمن فعسل ولك ان تقول حلوة المغارف المعروفة وكانت موجودة في الدولة العباسية اكل منها الامام ابو يوسف على مائدة الخليفة وهم الذين اوجدوا القناوية بهذه الديار لان الطماطم لم تكن معروفة بتونس قبل وفودهم عليها وانما ظهرت بها في مدتهم الى غير ذلك مما يطول بسطه وقد رايت في بعض الكتب ان جملة المسلمين الذين هاجروا من اسبانيا الى افريقية الشمالية فيما بين المائة الثامنة واوائل القرن الحادي عشر كانوا يزيدون على ثلاثة ملايين بالحساب الصحيح والله غالب على امره

(١) هذه القرى سماها الشيخ ابن ابي دينار بلدانا وذكر اسماء اربع عشرة بلدا منها اشهرها بلدة تستور ذات الصومعة المرصعة بالمنجانة (منقالة) ومن الشطط نسبة جميعها للاندلس فان بعضها كان موجودا في العصر الروماني وللاندلسيين مزية عمارته واحيائه لا ايجاده وانشائه فبلدان تستور ومجاز الباب وطبربة وكثير غيرها مما ينسب تاسيسه للاندلس هي بلدان رومانية معروفة باسمائها في التاريخ وانما هجرت وخربت فاحياها اهل الاندلس وقد كنت اشتغلت بضبط المدن والقرى

سبحان الله فانك تجد بيانه بديباجه مجموع الخطب المنبرية لامامه العلامة المرحوم الشيخ سالم بوحاجب ونص محل الحاجة منه :

ومن سعادته رحمه الله (اي مؤسس الجامع) انه عدل عن اضافته لاسمه الى تسميته جامع سبحان الله كانه لاحظ ارجاع العبد وما ملكت يداه لسيده ومولاه ولا يبعد ان يكون تخصيصه التسبيح من بين سائر الاذكار تلميحا لما استنبطته ثواقب الافكار من اية فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون من انها شاملة لصلوات الليل والنهار حيث اشير بحين تمسون لصلاتي المغرب والعشاء وبحين تصبحون لصلاة الصبح وعشيا لصلاة العصر وحين تظهرون لصلاة الظهر (واخرت عن العصر في الاية مراعاة للفاصلة) وبهاته الملاحظة يكون معنى جامع سبحان الله جامع الصلوات الخمس فما ادق نظره رحمه الله ونفعنا ببركته وبركات جامعه المذكور التي منها اجابة الدعآء كما هو مجرب مشهور اه ومن اشهر من ولي امامة هذا الجامع العلامة الشيخ علي سويسي المتوفي سنة ١١٥٤ والشيخ محمد بن سلامه على عهد المولى مصطفى باي ثم ابنه الشيخ الطاهر ثم صرفه عن الامامة المشير محمد باي واسندها الى العلامة الصالح المدرس دفين البقيع الشيخ ابي محمد عبد الله الدراجي المتوفي سنة ١٢٩٦ ووليها بعد هجرته العالم المدرس الشيخ الطيب السبعي وتوفى سنة ١٣٠٦ فوليها الاستاذ العلامة ابو النجاة الشيخ سالم بو حاجب المتقدم ذكره وسمعت من بعض اهل العلم ان هذا الجامع لم يكن به رواية للحديث فلما تولى قاضي الجماعة الشيخ محمد بن سلامه اماما وخطيبا به سعى لتحويل رواية الحديث الموقوفة على زاوية سيدي المرجاني داخل باب البحر الى الجامع الذي تولى امامته وجلس به لختم الحديث (١) وبقي العمل في اقامة ذلك الختم كما ذكر الى هذا الزمان غير ان

والمداشر التونسية الموجودة لهذا الزمان والتي كانت قائمة ببقاعها في العصر الروماني فاستغرقت في ذلك نحو المائة بلاد منها عاصمة المملكة وكان اسمها عندهم تونـاس فصارت تونس

وتونس تونس من جاءها وتدركه حسرة حيث سار

(١) وقفت على بيتين للشيخ محمد بيرم الرابع قالهما في واقعة حال اثر انعقاد ختم الحديث بالجامع المذكور في سنة ١٢٥٢ وصورة النازلة ان القاري على الختمة

ميعاد الختم بالجامع المتحدث عنه كان في اليوم ٢٩ من شهر رمضان فجعلوه في هذا العهد في ٢١ من الشهر وهو من الاختام التونسية الثمانية التي يحضرها امير العصر نضر الله وجهه

١٠

جامع الحجامين

خطبته هي السابعة عشرة في سلسلة جوامع الخطبة بتونس وامامه في هذا الزمان المدرس الشيخ محمد الزغواني

هذا الجامع كان مسجدا يعرف بمسجد بوقريبة بالحجامين اندرس منذ زمن بعيد وتعطلت اقامة الصلوات به فتوفق رجل من اهل الخير وهو الشيخ الحاج احمد بن الامين اصيل جزيرة جربة لاحيائه وتوسيعه على نفقته صرف في ذلك السبيل من حر ماله نحو المائتي الف فرنك وتمت عمارته في سنة ١٣٥٠ وفيها اصدر سيدنا ومولانا امير العصر امره المطاع بجعله جامعا للخطبة وفقا لمرغوب جماعة المسلمين سكان حومة الحجامين وحضر ايده الله في موكب حافل لاقامة اول صلاة للجماعة به عند ظهر يوم الجمعة سادس ذي الحجة سنة ١٣٥٠ حضرها المولى الامير واهل دائرته افاض الله عليه من خيره ونعمته واول من تولى خطة الامامة والخطابة به العلامة الفقيه الشيخ محمد الزغواني من كبار المدرسين بجامع الزيتونة وليس بهذا الجامع ختم للحديث الشريف

قبيل الختم كان يقرأ سورة العلق والشيوخ جلوس حول المحراب فقال جدنا الشيخ ابو عبد الله محمد بن الخوجه اخبرني المرحوم الشيخ محمد البنا والدسميه الشيخ المفتي ان قارئا حنفي المذهب صغير السن قرأ هذه السورة وسجد فنهاه شيخ مالكي حاضر عن السجود فاخبر القاري اباه بما وقع فنظم الاب بيتين ينتهي ءاخر مصراع منهما بكلا لا تطعه واسجد واقترب ولكنهما عزبا عن حفظ الشيخ الجد فاقترح الشيخ محمد بيرم الرابع وكان ممن حضر ذلك المجلس على الشيوخ الحاضرين نظم ادخال على الاية المذكورة ثم تولى نظم ذلك بنفسه فقال

ابني ان بسورة العلق التي ... شرفت سجودا صح عن عالي الرتب
فاذا المخالف قد نهاك فلا تطع ... منه المقال بذاك واسجد واقترب

١١
جامع السبخاء

خطبته هي الثامنة عشرة في سلسلة جوامع الخطبة بتونس وامامه في هذا الزمان المدرس الشيخ احمد بن زين العابدين النيفر

هذا الجامع كان مسجدا تقام فيه الصلوات الخمس دون الجمعة والعيدين ويلوح انه من ءاثار العصر الحفصي تولاه الخراب وتلاشت احواله وانعدم النفع به مدة طويلة فتولى احياءه وتجديد عمارته أبو الخيرات يوسف صاحب الطابع في حدود سنة ١٢٢٩ سمعت من الاستاذ الشيخ البشير النيفر بنقله عن جده شيخ الشيوخ العلامة الشيخ الطيب النيفر كبير اهل الشورى المالكية ان هذا الجامع اقامه الوزير يوسف صاحب الطابع المذكور بطلب من اهل ربض باب الجزيرة وكان في نيته ان يجعله جامع خطبة الا انه تعجل باقامة الخمس فيه اثر تمامه ولم يلبث ان فاجاه اجله ولما تم بناؤه استشار الشيخ أبا اسحق ابراهيم الرياحي فيمن يعينه للامامة به فأشار عليه بتعيين الشيخ الزاهد الورع أبا عبد الله محمد البريني فكان أول إمام به وتوفى على عهد المولى حسين بن محمود باي فولى مكانه الشيخ محمد المساكني بسعي من صهره المرحوم عبد الوهاب بن يوسف الشارني باش حانبة وكان يومئذ صاحب هذه الخطة من ذوي الوجاهة والجاه تزوج باخت الشيخ المساكني ولم تمض على هذه المصاهرة سبعة أيام حتى شغرت خطة إمامة المسجد المتحدث عنه فقال الباش حانبة لسمو الباي : الرجاء في سيدنا أن يتحف العروسة بولاية أخيها فصدر الامر المطاع بولايته ولما توفى الشيخ المساكني تقدم للامامة به الشيخ الطيب النيفر المشار اليه وتنازل عنها لحفيده المدرس الشيخ احمد النيفر في سنة ١٣٣٩ وفي أوائل سنة ١٣٥٣ سعى أهل حومة السبخاء في إقامة خطبة لصلاة الجمعة بحيهم فأجاب أمير العصر نداءهم وأسعفهم بتحويل ذلك المسجد لجامع خطبة وأول جمعة اقيمت به في العشرين من جمادى الاخرة من العام المذكور وهذا الجامع ينعقد به ختم الحديث في ١٧ رمضان

١٢

جامع العمران

خطبته هي التاسعة عشرة والاخيرة بسلسلة جوامع الخطبة بتونس وإمامه في هذا الزمان المدرس الشيخ عبد السلام التونسي

هذا الجامع يشخص شباب جوامع الحاضرة التونسية حيث كان هو أحدثها عهدا توفق لتأسيسه بالاكتتاب العمومي جماعة من فضلاء سكان حومة العمران الحديثة بناحية حديقة البلفيدير وتبرع ببناء صومعته الجميلة من حر ماله رجل من أهل البر والمعروف وهو الخير المعتقد التاجر ابو الحسن علي طبقة وتم بناؤه في شهر رمضان سنة ١٣٥٤ وأول صلاة اقيمت به هي فريضة الجمعة الموافقة لثامن شوال من العام المذكور حضرها أمير العصر ووزراؤه وأهل دائرته وشيوخ العلم بالمذهبين وأول خطيب به العالم الفاضل المدرس الشيخ عبد السلام التونسي وهو أول من ابتكر من ايمة الجوامع المالكية في هذا الزمان إسلوب الخطابة بالوعظ بدون قراءة من كتاب مسطور حيث اعتمد على حافظته في القاء خطبه الجمعية التي هي من انشائه أو من منقوله وكانت خطبته الاولى في فضل الساعين في عمارة بيوت الله ولقد أعجب سمو المولى الامير بفصاحته وحسن سلوكه فخلع عليه بطيلسان من الكشمير شهادة منه اليه بجدارته وفضله . وهذا الجامع لا ينعقد به ختم الحديث الشريف

الباب الثاني في الجوامع الحنفية

وفي ظهور مذهب الامام الاعظم ابي حنيفة النعمان بافريقية

لم يكن المسلمون الاولون مقيدين باتباع مذهب معلوم من مذاهب اهل السنة قبل توحد المذاهب السنية واستقرارها في الاربعة المعروفة يعني المذهب الحنفي (اسسه الامام الاعظم ابو حنيفة النعمان بن ثابت توفى ببغداد سنة ١٥٠) والمذهب المالكي (اسسه امام دار

الهجرة مالك بن انس توفى بالمدينة المنورة سنة ١٧٩) والمذهب الشافعي (اسسه الامام محمد بن ادريس ابن شافع توفى بمصر سنة ٢٠٤) والمذهب الحنبلي (اسسه الامام احمد بن حنبل توفى ببغداد سنة ٢٤١) بل انهم كانوا يؤدون فرائضهم من صلاة وزكاة وصوم وحج حسب ما وصلهم من اجتهاد الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم اجمعين ومن اشهر مذاهب السنة في العصور الاولى مذهب سفيان بن عيينة ومذهب داوود علي الظاهري ومذهب الاوزاعي ومذهب محمد بن جرير الطبري وغيرهم من اصحاب الاجتهاد فلما استقر قرار المذاهب السنية في الاربعة المعروفة واتفق جمهور المسلمين على اعتمادها واتباعها الا من شذ منهم وبقي متبعا بانفراده لبعض مذاهب السنة المتقدمة على المذاهب الاربعة المذكورة او المعاصرة اليها او لمذهب من المذاهب الغير السنية كمذاهب الشيعة وهم شيعة علي بن ابي طالب رضي الله عنه كان اول المذاهب ظهورا وانتشارا بافريقية هو مذهب الامام ابي حنيفة وابو حنيفة ولد بالانبار في عصر الصحابة سنة ثمانين للهجرة وتفقه في زمن التابعين ويلوح ان ناشر مذهب ابي حنيفة بافريقية هو القاضي اسد بن الفرات فانه بعد ان اخذ عن الامام مالك رضي الله عنه ثم عن ابن القاسم وعنه دون اسديته المشهورة ترك اهل الرواية ورجع لاهل الراي الذين اخذ عنهم الفقه الحنفي بالعراق منهم الامام ابو يوسف والامام محمد بن الحسن الشيباني واسد بن عمرو من اصحاب الامام الاعظم ابي حنيفة النعمان رضي الله عنه قال الشيخ الدباغ في كتاب معالم الايمان (جزء ٢ صفحة ٣ وما بعدها) : سمع اسد من علي بن زياد ثم ارتحل الى المشرق فلقي من اصحاب ابي حنيفة القاضي ابا يوسف ومحمد بن الحسن واسد بن عمرو ثم سمع الحديث على يحيى بن زكرياء بن ابي زائدة وعلى المسيب بن شريك وهيثم بن بشير وغيرهم روي انه سمع على هيثم اثني عشر الف حديث وسمع الفقه بمصر على عبد الرحمن بن القاسم وعنه دون الاسدية وقدم بها القيروان فسمعها منه خلق كثير منهم سحنون وغيره ثم اظهر مذهب ابي حنيفة لقضية تركناها واخذه الناس عنه وانتشرت امامته اهـ. قلت القضية التي ترك ذكرها الشيخ الدباغ حكاها الشيخ ابن ناجي مذيل كتاب معالم الايمان الذي نقلنا عنه هذه الاسطر وهي طويلة حكى فيها رحلة اسد للعراق وما حصل له بعد رجوعه مع سحنون من الخلاف في رواية المدونة وكيف استقر راي اسد على اتباع مذهب

ابي حنيفة الى ان قال ما حاصله ان اسدا كان امام العراقيين اي الحنفية بالقيروان كافة وانه تولى بها القضاء في ءان واحد مع الشيخ ابي محرز الكناني من ايمة المالكية فكان هذا يقضي بمذهبه وهذا بمذهبه ولم يعلم بالقيروان قاضيان قبلهما في وقت واحد وكان ذلك في سنة ٢٠٤ على عهد زيادة الله بن ابراهيم بن الاغلب وقال في كتاب وفيات الاعيان للقاضي ابن خلكان اثناء ترجمته للمعز بن باديس الصنهاجي : وكان مذهب ابي حنيفة رضي الله عنه بافريقية اظهر المذاهب فحمل المعز المذكور جميع اهل المغرب على التمسك بمذهب الامام مالك بن انس رضي الله عنه وحسم مادة الخلاف في المذاهب واستمر الحال من ذلك الوقت الى هذا الزمان (يعني زمان ابن خلكان - توفى سنة ٦٨١) اه قلت ان المقصود من قوله حسم الخلاف في المذاهب هو مذاهب الشيعة لكثرة انتشارها بافريقيه في ذلك الزمان قال في المونس : ان المذاهب التي كانت موجودة يومئذ بتونس فمن السنية المذهبان الحنفي والمالكي ومن غير السنية مذاهب الصفرية والشيعة والاباضية والنكارية والمعتزلة اه وقال في رحلة الشيخ ابي محمد عبد الله التجاني كان بافريقية في المائة السابعة رجل واحد من اهل العلم ينتسب للمذهب الحنفي وكان يسكن المهدية وهو الشيخ الزناتي المعروف بالحنفي ونص عبارته : ومن شعراء المهدية وعلمائها الذين حدثنا اشياخنا عنهم ابو عبد الله محمد بن ابراهيم بن عثمان الزناتي المعروف بالحنفي ولد بها ومن اعيانها وارتحل الى المشرق فدرس بدمشق مدة ثم انتقل الى الموصل فانتحل مذهب ابي حنيفة واشتغل به حتى صار اماما فيه واشتهر بالنسبة اليه فلا يعرف في افريقية الا بذلك ولم يكن في هذه العصور كلها ببلاد افريقية حنفي غيره وكان اذا وفد على الحضرة (تونس) اجتمع بالامير ابي زكريا وجالسه اه ثم نقل له شعرا في ذم بلدة المهدية ووصف اهلها بالبخل (في زمنه) واعقب ذلك بذكر بيتين من نظم الفقيه الحنفي المشار اليه قالهما بمناسبة اجهاز فقيه على حياة قرد حيث ذبحه لاذايته فلامه الناس في ذلك

عاب عليه صنيعه نفر وما درى الجاهلون ما قصده
يذبح من كان شبه صورته لكي ترى في الوجود منفرده

والواقعة اشتملت على زيادة بسط وتفصيل لا يسعه هذا المجال وتوفى الشيخ الحنفي في سنة ٦٥٥ ولما امر المعز بلغو جميع المذاهب عدا المذهب المالكي كما تقدم

ذكره دام اهل افريقية مقلدين لمذهب امام دار الهجرة بانفراده الى اواخر المائة العاشرة وفي سنة ٩٨١ تم الفتح العثماني على يد الوزير سنان باشا فدخلت تونس في طاعة السلطان سليم خان الثاني وعاد ظهور المذهب الحنفي بها من جديد وحيث كان هو مذهب أهل العنصر الفاتح وهم أهل الحل والعقد لزمهم بحكم الضرورة إتخاذ بيوت للعبادة تقام بها الصلوات على قواعد مذهبهم بازاء جوامع السادة المالكية وكان المسلمون يومئذ محافظين على صلواتهم وعمارة المساجد من أعظم القربات فكان أول جامع إتخذه الاتراك لاقامة الشعائر على المذهب الحنفي هو جامع القصبة لوقوعه بمقر حكمهم وحوله مساكنهم ومعسكراتهم وجامع القصبة من محدثات الدولة الحفصية وهو ثاني جامع بني بتونس بعد جامع الزيتونة وبالتالي تضاعفت أعداد المتمذهبين بمذهب الامام الاعظم ابي حنيفة أما بالولادة وأما بقدوم أفراد آخرين من الاتراك على تونس فنظروا عندئذ في تحويل جامع الزيتونة من المذهب المالكي إلى المذهب الحنفي ولكنهم رجعوا عن هذه الفكرة واكتفوا بتحويل جامع القصر وكان مسجدا مالكياً للخمس فجعلوه جامع خطبة على المذهب الحنفي وذلك بعد الالف بقليل وجامع القصر كان كنيسة قبل الفتح الاسلامي كما سترى خبره بمحله ثم توسع الاتراك في إيجاد جوامع حنفية اخرى بالانشاء تبعا لانتظام أحوال الدولة واستقرارها في الامراء المراديين وهم من الحنفية (١) فبنوا ثلاثة جوامع للخطبة أحدها الجامع المواجه للزاوية المحرزية وهو أفخم وأضخم جوامع تونس في السابق واللاحق والاخران هما جامع البشامقية المنسوب لمؤسسه يوسف داي وجامع حمودة باشا المرادي الملاصق للزاوية العروسية وهذان الجامعان المتقدمان في الحدوث على الجامع الاخر المتقدم ذكره وعلى قياس عمل أهل الدولة المرادية جرى العمل في الدولة الحسينية فأسس المولى حسين باي بن علي تركي جامعه المعروف بالجامع الحديد بالصباغين وأسس الوزير يوسف خوجة في عهد متبوعه الباي حمودة باشا جامعه المعروف بالحلفاوين فتكون جملة الجوامع الحنفية بحاضرة تونس سبعة لهذا الزمان (٢) واليك التعريف بتاريخ نشأتها حسب ظهورها في الوجود أدام الله عمرانها بالركع السجود

(١) جد الامراء المراديين أصله نصراني من جزيرة كرسيكة

(٢) توجد عدة جوامع حنفية اخرى بجهات العمالة لا سيما بالمدن الساحلية

١

جامع القصبة

خطبته هي الثانية في سلسلة جوامع الخطبة بتونس وإمامه في هذا الزمان الشيخ علي عباس المتطوع في العلوم

الاسم المشهور به هذا الجامع بين الناس هو جامع القصبة لان موقعه بقلبها وكانوا في المائة السابعة يسمونه جامع الموحدين نسبة لسلف مؤسسه وأطلقوا عليه في هذا الزمان إسم الجامع الحفصي في الاوساط العلمية من يوم جعله فرعا مدرسيا لجامع الزيتونة سنة ١٣٥١ ونسبته للحفصي موافقة لحقيقة حاله لان الذي بناه هو السلطان ابو زكرياء يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص ذكر المؤرخون ومنهم ولي الدين ابن خلدون ان نسبهم يتصل بالخليفة الثاني سيدنا الفاروق رضي الله عنه شرع مؤسسه في بنائه سنة ٦٢٩ وفي السنة بعدها ابتدأ في بناء صومعته البديعة التي نوه بحسنها إبن خلدون وما زالت لهذا الزمان اجمل وأفخم وأبهى صوامع تونس بلا استثناء بناها صاحبها بشكل صوامع الاندلس والمغرب لها شبه من قريب بصومعة جامع الكتبية (١) بمراكش ولكن هذه تفوقها بكثير زيادة على كونها تناطح الافلاك بارتفاعها وقد اتفق لهذا العبد

كبنزرت وغار الملح وراس الجبل ونابل وسوسة والمهدية والمنستير وصفاقس وغيرها من بقية العواصم التونسية كباجة وزغوان والكاف وتوزر وقفصة الخ ونقدر عدد المسلمين من سكان العمالة المتمذهبين بالمذهب الحنفي بعشر مجموع مسلمي المملكة التونسية على سبيل التقريب وعدد هذا المجموع في الوقت الحاضر الفا الف وثلاثمائة الف وخمسة وثلاثون الف وستمائة وثلاثة وعشرون نفسا حسب احصائية عام ١٩٣٦

(١) حصل به تداعي في الازمنة الاخيرة فتداركته وزارة الاحباس بالمغرب في عهد صاحب الجلالة السلطان الحالي سيدي محمد بن يوسف بن الحسن وانفقت في ذلك السبيل أكثر من مليونين ومما يستحب ذكره في هذا المقام إن نفقة تحصير جوامع المغرب في سنة ١٣٥٥ استغرقت نحو الخمسمائة الف فرنك وكان صنع تلك الحصر بمدينة سلا وحصرها من أجمل وأدق ما أنتجه الذوق العربي في ذلك ونسبة حصر نابل من حصر سلا كنسبة العبد من الحر

زيارتها ثلاث مرات في سنين مختلفة ءاخرتها سنة ١٣٥٥ ولو اتيح لي العود اليها لرأيت ذلك من حسن الحظ وزهاء الطالع ولما تمت عمارة الجامع الحفصي في سنة ٦٣٣ كان السلطان أبو زكرياء هو أول من أقام فيه الاذان لصلاة صبح يوم الجمعة سابع شهر رمضان من تلك السنة (١) هكذا حكاه الوزير السراج في الحلل السندسية ويرى الناظر في واجهة تلك الصومعة أطارين عظيمين مكتوبين بالقلم الغليظ تضمنا الاشارة لصنيع السلطان أبي زكرياء مع ذكر إسمه وأسماء سلفه وبقربهما لجهة اليمين حجارة صغيرة تضمنت إسم الرجل الذي باشر هندسة بنائها وعبارتها : كان الناظر على بنائها عبدهم علي بن محمد بن قاسم عريف البناء اه والضمير في عبدهم يشير للاسماء الشريفة التي تضمنها الاطاران المذكوران ولقد كنت شاركت ادارة الانطكخانة في تقديم تعريف تاريخي يحق ذينك الاطارين عند عرض صورتهما بمعرض باريس عام ١٩٠٠ فكان رسم ذينك الاطارين المصاحب لذلك التعريف محل إعجاب الناظرين وجاءتني من أجل ذلك الجائزة المتوقعة وهي ميدالية فضية مع سجل بالشكر

واعلم ان خطبة جامع القصبة هي الخطبة الثانية التي ظهرت بتونس بعد مضي اكثر من خمسة قرون على خطبة جامع الزيتونة الذي كانت الجمعة لا تقام الا به وحده وفقا لقواعد المذهب المالكي الذي لا يرى تعدد الجمعة الا في الامصار الكبار ويلوح ان جامع القصبة في ذلك الزمان كان جامعا ملكيا يعني خاصا بالسلطان وحاشيته كما ستراه قريبا وبديهي ان الشعائر كانت تقام به على المذهب المالكي الذي كان سائدا يومئذ بتونس قال الشيخ محمد بيرم الرابع : لما حدث المذهب الحنفي بتونس باستقرار الدولة التركية واتخذت القصبة دار ملك اقتداء بالملوك الحفصيين الذين كان استقرارهم بها اقتضى حالهم (اي الترك) ان رتبوا بجامعها الذي هو محل عبادتهم واقامة صلاتهم ايمة من اهل مذهبهم واستمر حاله على ذلك الى يومنا هذا ولكونه جامعا ملوكيا ثبتت له مزية استفادة الاوقات منه ليلا ونهارا والذي يظن ظنا قريبا ان تحويله الى الحنفية بعد الفتح العثماني بقريب من اثنتي عشرة سنة والموجب لهذا الظن ان منبره الموجود الان مكتوب عليه تاريخ وضعه وهو سنة ٩٩٢ ويذكر ان المنبر القديم كان من الخشب كما هو المالوف في جوامع المالكية بتونس فلما حول صنع له ذلك المنبر من

(١) شهر رمضان ٦٣٣ يوافق شهر يونية ١٢٣٥ للميلاد

الحجر كما هو الرسم في منابر الحنفية اهـ ولم نقف بالضبط المدقق على من تولى الخطابة به اولا من الفقهاء الحنفية والغالب على الظن حسبما يستفاد من كتب التراجم الحنفية ان اول خطبائه الحنفيين هو الشيخ محمد بن مصطفى قاره خوجه شهر برناز وممن تولى الخطابة به في ذلك الزمان الشيخ مصطفى الازميري والشيخ محمد البيك وبعضهم يقول انه اول خطيب حنفي به ثم الشيخ عبد الكريم الحنفي فالشيخ باكير التركي فالشيخ محمد الدهماني فالشيخ عبد الكبير قورصو فالشيخ عمر زبده وكانت ولايته على عهد الباي حمودة باشا فالشيخ حسونة التركي وكان جميل الخط كتب نسخة كاملة من تفسير ابي السعود ذكر في اخرها انه نسخها بالمدرسة الباشية قال في رسالة الخطباء والايمة كان هذا الفاضل خفيف الروح حلو المحاضرة يجيد نظم الشعر ثم نقل له ابياتا من منظومة خاطب بها صديقه الشيخ محمد بيرم الثاني حين استدعاه الى الخروج معه لبعض المتنزهات فتخلف وراسله معتذرا بقوله :

يا مقيما بمهجتي وفؤادي ... وانيسي بكل وقت ونادي
ان تاخرت عنكم بعض يوم ... عاقني الدهر عنكم بالبعاد
فبطيف الخيال منكم انيس ... وعليه في كل حين اعتمادي
انت في الناس ملجأ وملاذ ... وبكم يقتدي جميع العباد
اسال الله ان يكون لطيفا ... بكم دائما ليوم التنادي
بنبي الهدى وبالاطرا ... وبجاه الصحابة الاسياد

وهذه الابيات اجابه عنها الشيخ الثاني بقوله :

يا حبيبا اسكنته بفؤادي ... وله قد بذلت صفو ودادي
قد اتاني منكم قريض يحاكي ... نظم در في عقد نحر الغوادي
منبئا عن مودة واخاء ... وولاء وعن جميل اعتقاد
ليس فيه عيب سوى ان قنعتم ... بخيال عن وصلة الاجساد
لا ارى ذاك في المحبة رايا ... حسبما قادني اليه اجتهادي
حاطك الله بالكلاءة منه ... وارى للجميع وجه الرشاد
بنبي الهدى الذي لاح بدرا ... فائقا كل كوكب وقاد
فعليه السلام ما غنت الور ... ق على غصن دوحها الميادِ

وعلى ءاله الكرام وصحب من على حبهم كبير اعتمادي
واعذرني فيما نسجت فلولا برقكم لاح ما قدحت زنادي

توفى رحمه الله سنة ١٢٢٢ في رمضان ودفن بمقبرة السلسلة(١) وحضر الباي جنازته وورث عنه خطة الخطابة بجامع القصبة قاضي الجماعة الشيخ مصطفى دنقزلي وهذا الفقيه هو جد سميه الوزير ابي النخبة مصطفى دنقزلي المتوفي سنة ١٣٤٥ ثم انتقلت خطابة الجامع المتحدث عنه لجماعة ءاخرين من فقهاء الحنفية منهم الشيخ محمد عباس تولاها في سنة ١٢٥٠ واستقرت في عقبه الى هذا الزمان

بقي الكلام على العلم الابيض الدي ينشر من صومعة جامع القصبة تنبيها لمؤذني بقية الجوامع بدخول وقت الصلاة واختصاص هذا الجامع بنشر ذلك العلم له سبيان فيما يظهر فاولا لتلبسه بالصبغة الملكية التي اشرنا اليها فيما تقدم وثانيا لارتفاع موقعه الذي هو اعلى بقعة بمدينة تونس فكان هو المتعين لاستدعاء المؤذنين للنطق بحي على الصلاة ويكون ذلك بنشر علم ابيض وهو شعار الدولة العباسية بعد ابطالها للسواد وللاذان بصومعة القصبة موقتون من ثقات المسلمين يتولون خطة التوقيت بتذكرة ملكية لما لها من الاعتبار في انظار المسلمين وهذه الخطة صارت عن جدارة واستحقاق وقفا على ءال بيت الفياش من بيوت المجد بتونس ولما وقع بناء المدرسة الصادقية الجديدة في سنة ١٣١٥ وكانت في صعيد واحد مع جامع القبصة وتكاثرت من جهات اخرى الابنية ذات الطبقات المتعددة والمتعالية بتونس احتجب علم صومعة جامع القصبة عن عيون مؤذني بعض الصوامع الاخرى فتداركت ذلك جمعية الاوقاف في عهد رئيسها المصلح ابي السرور السيد البشير صفر برفع صاري العلم وجعله لجانب جامور الصومعة كما هو الآن وبسبب ذلك حصل له ارتفاع بنحو عشرة اذرع زال به المانع المذكور والله المدبر لكل الامور - وبقي بمحفوظي انه وقع

---

(١) هي اقدم مقابر تونس رايت بجهة منها ثلاث طبقات من القبور معتلية فوق بعضها بعضا وراى غيري ممن اثق بروايته اربع طبقات منها ما يرجع للمائة الخامسة وقد باشروا في السنين الاخيرة نقل رفات موتاها لمقبرة الزلاج من ذلك قبر المرحوم قاضي الجماعة الشيخ مصطفى دنقزلي بحيث لم يبق فيها اليوم من ءالاف القبور التي كانت بها سوى احد عشر قبرا بالعد الصحيح كلهم من ءال بيت الهنتاتي

ايضا لنحو اربعين سنه فارطة اجراء النظر هل يتيسر احداث تغيير خفيف بالزيادة والنقصان في مساحة ملاصقة للمقشلة وتابعة لصحن هذا الجامع بطلب من ادارة الهندسة الحربية وهي المناسبة الوحيدة التي سمحت يومئذ بدخول الكاتب العام بالدولة التونسية لصحن الجامع بصحبة رئيس الجمعية ونائب الادارة العسكرية لبت نازلة التغييرات المشار اليها لان العادة جرت منذ احتلال فرنسا لتونس باحترام جوامع الحاضرة لا يدخلها غير المسلمين ولقد حاول بعضهم العدول عن هذه القاعدة لنحو عشرين سنة ماضية وسعى في فتح الجوامع للسواحين في ساعات معلومة من النهار فلم تسعفه دولة الحماية بذلك مراعاة لما تعهدت به من احترام الديانة الاسلامية ومعابدها ولقد اتيح لي الكلام في تلك المناسبة بمشاركة بعض اهل النظر من التونسيين فقلنا للكاتب العام ان جوامع تونس ليست كجوامع البلاد الشرقية ليس بها ما يفيد السواحين من الاثار والنقوش الغريبة اذ هي كلها ذات ابنية عربية بسيطة عدا جامع سيدي محرز الممتاز بقبابه المرتفعة وهذه يشاهدها الانسان من خارج الجامع بطريقة افيد للنظر مما لو كانت مشاهدتها من الداخل وعدا جامع صاحب الطابع المحتوي على اشغال جميلة من النوع المعروف بالنقش حديدة وهذه الاشغال يمكن مشاهدة ما هو مثلها او احسن منها ببعض بيوت سراية المملكة وبديار بعض الاكابر في تونس فقال كلامكم هذا غير مقنع لانكم نظرتم للمسالة من الوجهة الفنية وحدها والابنية لها وجهتان فنية وتاريخية او حسية ومعنوية ولكن يكفي انكم غير راضين بفتح معابدكم للصادر والوارد وليس عليكم في ذلك من جناح ثم طوى بساط الحديث وانفصلت النازلة ببقاء ما كان على ما كان . وهذا الجامع ينعقد به ختم الحديث في الثامن والعشرين من شهر رمضان

٢

جامع القصر

خطبته هي العاشرة في سلسلة جوامع الخطبة بتونس وامامه في هذا الزمان الشيخ علي بن الخوجه المفتي الحنفي

المشهور ان هذا الجامع كان كنيسة (١) عند الفتح الاسلامي وهذه الشهرة مستفادة من التواتر والتواتر يفيد القطع قال في رسالة التراجم المهمة للخطباء والايمة المشار لها في مقدمة الكتاب : اعلم ان الذي يتناقله خلف اهل هذا البلد عن سلفهم سبقية هذا الجامع على الفتح الاسلامي ويشهد لصحة ذلك امور منها عدم تعرض المؤرخين التونسيين لبانيه فيما وقفنا عليه ولو كان من اهل الاسلام لذكروه ناسبين اليه مكرمة انشائه كما هو صنيعهم في غيره اذ مثل ذلك مما تتوفر الدواعي على نقله ومنها ان محرابه مخالف في الشكل لجميع المحاريب اذ هو اقلها مسافة فيما بين الواقف

---

(١) كنيسة معرب من Ekklésia في اليونانية ومعناها مجمع في العربية وهو متعبد النصارى في ملتهم ينسبون تاسيسه للمسيح عليه السلام وقد عرف بها شهاب الدين الخفاجي تعريفا حسنا اوفى بالمقصود مما جاء في حقها بقاموس الامام الفيروزابادي حيث ذكر انها لفظ معرب من كليسيا كما هو اصلها في اليونانية ومثله في اللاطينية باختلاف في الرسم دون النطق ولم يتعرض لها صاحب القاموس الا بقوله : والكنيسة متعبد اليهود او النصارى او الكفار اه بحيث يتوهم القاري ان لفظها عربي لا معرب ويلوح ان شيخ الاسلام الخفاجي (توفى سنة ١٠٦٩) احسن ضبطها بالتحقيق لما كان له من المعلومية بالانظمة الشرقية الموجودة في زمنه حيث كان قاضي عسكر بمصر بعد دخولها في طاعة السلطان سليم خان الاول ومعلوم ان السلاطين من ءال عثمان قرروا رعاياهم المسيحيين على ما كانوا عليه من التراتيب في انظمة القسوس والرهبانية وكان للروم في ذلك الزمن كرسي رسولي بالاسكندرية والروم هم اليونان . وقد رايت في بعض متون المالكية استعمال لفظ الاساقفة مكان الربيين والاحبار في مسالة تنازع طائفة من اليهود فيما بينهم فبعضهم : « دعا لحكمنا وبعضهم دعاء الى اساقفتهم فليدفعا » وصاحب القاموس يقول ان الاسقف هو الرئيس الديني للنصارى وجعل درجته فوق القسوس وتحت المطران

بطرفه وبين القبلة فدل ذلك انه ليس من الرسم الاصلي بل هو منحوت من عرض الحائط ولو كان موضوعا وضع المساجد من اول الامر لكان محرابه على الهياة المالوفة في غير من العمق المناسب ومنها احكام بنائه احكاما زائدا بحيث يشاكل ما هو مقطوع بانه من بناءات الجاهلية ولقد شوهد اثر هذا الاتقان في هاته المدة (عصر المؤلف) لما تعلق الغرض بفتح منافذ في بعض حيطانه للضوء وغيره فلم يتيسر الوصول الى المراد منها الا بعد جهد جهيد اه قلت يوجد به غير ذلك من الادلة التي تحمل على الظن بانه كان في اصله كنيسة وهو ان الكنائس بتونس في عهد الروم كانوا يبنونها بشكل مربع كمساجد المسلمين قال في كتاب حسن البيان : وكنائسهم على شكل مساجد العرب بافريقية مربعة بقسي مقامة على السواري المرمرية ملبسة ومفروشة بالغاشاني والفسيفساء اه قلت لعلهم كانوا يقصدون بذلك التحاشي من ان ينفرها اهل البلاد طمعا في استجلابهم اليها ولا سيما البرابرة الذين هم حديثو عهد بالاسلام وهنالك علامة اخرى ترجح كون جامع القصر كان كنيسة وهي كيفية تراكيب بعض اقواسه في ثلاث طبقات بوضع شبيه بما في كنايس النصارى كما يشاهده الناظر بصحن الجامع من جهة بطحاء القصر (١) ويذكر بعضهم ان جدارا بالجامع اشتمل على حجارة منقوشة بالخط اللاطيني حجبها الكلس بتوالي السنين ولكن هذا لا يفيد اكثر من ترجح كون ذلك الجدار احتوى على حجارة من بقايا الرومان كما يشاهد ذلك بغير ما مكان وهذه صومعة جامع عقبة بن نافع (٢) بالقيروان اشتملت

---

(١) بطحاء القصر حديثة الوضع اقيمت مكان مقبرة دارسة في اوائل هذا القرن كان بها تربة لقائد البحر قاره مصطفى واعقابه والقبة الخضراء الموجودة بها الان المحتوية على جملة من الاضرحة قبورها عارية بمعنى انها اخذت حجارتها من بقايا قبور المقبرة الدارسة برضا اصحاب الحق فيها ورتبت هنالك كأثر تاريخي عربي بمساعي ادارة الانطكخانة وموافقة المرحوم الشيخ محمد بن الطاهر محسن امام جامع الزيتونة

(٢) يسر الله لهذا العبد زيارة ضريحه في سنة ١٣٥٦ بالبلد المنسوب اليه الواقع بصحراء بسكرة على نحو اربعين ميلا من هذه المدينة وكان الفضل في ذلك لشيخ العرب والزيبان القائد الجليل ابي النجدة السيد بوعزيز بن كانة زعيم هاتيك الديار ومن اشرق بها فضله اشراق الاقمار وظهر ظهور الشمس في رابعة النهار والضريح

قاعدتها على حجارة كثيرة من النوع المتحدث عنه مما كان العرب ياتون بـه من خرائب سبيطلة لبناء الجامع المذكور الذي لم ينسبه احد لغير عقبة رحمه الله ورضي عنه

ومن المحتمل القريب ان تلك الكنيسة على تقدير ثبوتها تناولهـا التلاشي في جملة الكنائس الكثيرة التي فشلت حركتها بافريقية بعـد ان انخضدت شوكة البربر واعرضوا عن التنصر باستقرارهم في الاسلام بفضل انتشار الـروح الاسلامية ورسوخ سلطانها بافريقية لا سيما في عهد عبد المؤمن بن علي فقد كان يحمل بيمناه مصحفا وبيسراه سيفا ولسان حاله يقول اما الى جنة واما الى نار وذلك العصر يوافق تضاءل الديانة المسيحية بتونس والامر الذي لا شبهة فيه هو ان جهة هذا الجامع وما حواليها ظهر بهـا في المائة السادسة قصور بني خراسان من صنهاجة الثـوار على ءال باديس ومنها القصر المنسوب له هذا الجامع بناه احمد بن عبدالعزيز بن خراسان على ما حكاه ابن عذارى في البيان المغـرب وابن خلدون في كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر وكانوا ينعتونه بالقصر الاعلى يعني قصر الامـارة تمييزا له عن بقية قصورهم الواقعة هنالك

قال في الرحلة المسماة « عشر سنوات حـول العـالم » للرحالة الكبير ابي الثناء محمود خير الدين الحلبي الذي زار تونس في اواخر سنـة ١٣٥٠ ضمن كلامه على دولة بني خراسان ومؤسس بيتهم عبـد الحق بن عبد العزيز بن خراسان : وخلف من بعده ذرية صالحة منهم احمـد وكان مقداما تخلق باخـلاق الملوك فاصبح الناس يقصدونه من اقصى الجهات الى ان قال وفي هذه المحلة يقوم الجامع الكبير الذي انشاه بنوخراسان على انقاض كنيسة رومية اه ويلوح ان ابنية الوكالات ودار الباطان والبيـوت المعتلية عليها الموجودة لهذا الزمـان ربما كانت بقية من ديـار ودواوين بني خراسان وان القصر الاعلى الذي هـو قصر الولاية هـو سراية القائد السامي للجيوش الفرنسوية في هذا الزمان وذلك بعد ان تناوله التهذيب والتنسيق في الازمنة

المشار اليه يحيط بـه الجلال في اكمل معانيه يحمل زائره على التاثر العميق باعتبار ان عقبة بن نافع رضي الله عنه هـو الـذي نشر الاسلام بافريقية وتوجـد على باب الضريح عبارة بسيطة نصها « هذا ضريح عقبة بن نافـع رحمه الله » مكتوبة بالخط الكوفي قبل تهذيبه

المتاخرة ولا سيما في عهد الوزير حسين المنسوبة له تلك الدار (١) وعلى مقربة من الجامع والابنية المتحدث عنها مقابر ينسبها التواتر لبني خراسان والجامع نفسه به قبور قديمة تلاشى بعضها وبقي منها قبر بصحن الجامع منقوش عليه هذه العبارة : كل نفس ذائقة الموت هذا قبر يعقوب بن يوسف بن سعيد إبن الحسين بن يوسف رحمه الله توفى عام سبعة وعشرين وستمائة عفا الله عنه اهكما توجد قبور اخرى ببعض البيوت الملحقة بالجامع مما لاسبيل لذكرها هنا خوف الخروج عن الموضوع والمقصد الاهم من هذه المقدمات هو دفع شبهة اغتصاب المسلمين للكنيسة المزعومة لجعلها جامعا إسلاميا لان

---

(١) كان يسكنها الوزير اسماعيل كاهية من رجال دولة علي باي الثاني بن المولى حسين بن علي تركي في اواخر القرن الثاني عشر وكانوا يسمونها في اواخر القرن الماضي دار العشرة نسبة للعشرة الاعيان الذين تكونت منهم لاول مرة هيأة المجلس البلدي بتونس عند احدائه في سنة ١٢٧٥ واما حسين المضافة لاسمه هذه الدار في الزمن الحاضر فهو اول رئيس للمجلس البلدي المذكور اصله من الجراكسة جيء به صغيرا التونس وانخرط في سلك مماليك المشير احمد باي ونشا ببلاطه وتعلم العربية مع بعض اللغات الاروباوية بمدرسة الحرب ببارد و ونبغ في الكتابة بفضل امتزاجه ببعض اهل العلم والادب من معاصريه وفي السياسة بفضل المامورياتوالرحلات التي قام بها باروبا وبالاستانة وتدرج في الوظائف العالية الى ان بلغ خطة مستشار للمعارف ثم تقدم وزيرا للاستشارة ولكن الاقدار عاكسته في اخر حياته فجردته الدولة عن وظائفه كلها وعن نياشينه من اجل الخسارة التي لحقتها بسبب عدم قيامه على ما يرضيها بالمامورية التي اسندتها اليه للمناضلة عن حقوقها فيما لها من الدعاوي الثابتة المنشورة يومئذ لدى محاكم ايطاليا ضد القائد نسيم شمامة قابض ماليتها الاسبق الذي التحق ببلاد القرنة ولم يقدم حساباته لسمو الباي عن مقبوضه ومدفوعه وهذه القضية حفت بسببها السنة الاقلام ونشفت المحابر ومن متفرعاتها مسالة نبذ نسيم المذكور للجنسية التونسية الامر الذي لم يجزه الشرع الاسلامي الى غير ذلك مما ليس هنا محله . وفي مستهل هذا القرن خصصت الدولة الدار المتحدث عنها لنصب دواوين القائد الاعلى للجيوش الفرنسوية الذي هو نفسه وزير الحرب بالدولة التونسية وهي ذات طبقات علوية وسفلية فالعلوية معدة لسكنى سعادة القائد الاعلى والسفلية خاصة بدواوين وزارته وتحتوي على صحن فسيح موشى الجدران بتخاريم النقش حديدة البديعة التي لم ينسج بعدها على منوالها وبوسط هذا الصحن مدفع تاريخي كاسد رابض

جميع التواريخ التونسية لم تتعرض لذلك رغم بسطها لحوادث الفتح الاسلامي وما حصل يومئذ من الكفاح بين الروم نزلاء تونس وبين المسلمين الفاتحين لها . يؤيد ذلك كون الشريعة الاسلامية وتعاليمها جاءت ناطقة بالتسامح الواسع نحو أهل الاديان الاخرى وأنت تعلم ما أوصى به الخليفة الاول سيدنا الصديق عساكره من عدم التعرض بسوء لاولئك الرهبان المتعبدين بالصوامع إذ قال لهم في جملة ما أوصاهم به « دعوهم وما انقطعوا اليه » ومهمى كان الحال فجدار الجامع المحتمل انه بقية من كنيسة مسيحية يكون على تقدير صحة ذلك مما شهد عبادة الله في النصرانية والاسلام والشيء الذي أثبته التاريخ هو ان جامع القصر كان موجودا في المائة السابعة وما قبلها بعنوان مسجد للصلوات تقام به الشعائر على قواعد المذهب المالكي قال في كتاب مناقب الاولياء وبيان تربتهم ومزاراتهم للشيخ أبي الحسن علي الهواري من فضلاء القرن السادس وأدرك القرن السابع واجتمع بالشيخ سيدي أبي سعيد الباجي المتوفى سنة ٦٢٨ : ومن جبلي جامع القصر بداخل مدينة تونس قبر الشيخ الصالح العابد أبو صلاح اه وقال في تاريخ الدولتين للفقيه الزركشي وفي سنة ٧٣٣ توفى الشيخ الفقيه العالم أبو أسحق بن عبد الرفيع قاضي الجماعة بتونس من بيوتات التونسيين ودفن بدار أعدها لدفنه قرب جامع القصر الاعلى اه قلت هذه الدار وما احتوت عليه من الضريح ما زالت موجودة لهذا الزمان وهي واقعة بين جامع القصر وبين دار المرحوم قاضي الجماعة الشيخ محمود بن محمود ويؤيد عندي وجود جامع القصر في المائة السادسة كونهم اتخذوه علامة في المائة السابعة يحيلون عليها الحوادث التي يريدون تسجيلها كما تقدم ذكره في التعريف بقبر الشيخ ابي صلاح ولانه لا يعقل ان قصر الولاية في ايام بني خراسان (من اواخر المائة الخامسة الى اواسط المائة السادسة) لم يكن بجواره مسجد لاقامة الصلوات الخمس دون الخطبة لان المذهب السائد بتونس في ذلك الزمان هو المذهب المالكي الذي لا يرى تعدد الجمعة في المصر الواحد فكان جامع الزيتونة اذ ذاك هو جامع الخطبة الوحيد بالمدينة وما وقع احداثه من جوامع الخطبة في تونس قبل الفتح العثماني كانت مواقعها بالارباض التي يعتبرها اهل المذهب المالكي مدنا مستقلة بذاتها عدا جامع القصبة الذي هو من متممات مركز الامارة في الدولة الحفصية ناهيك إن العامة كانوا لا يأتونه لاداء صلواتهم

لوقوعه داخل القصبة التي هي دار الحكومة قال الشيخ محمد بيرم الرابع في رسالة التراجم المهمة للخطباء والايمة : كان جامع القصبة جامع دار الملك لايتجشم الوصول اليه كل أحد احتشاما للابهة ورعيا لحمى الملك أن يدنس بكثرة التطرق اه فلما ثبتت من الدولة العثمانية قواعدها بتونس باستقرار أربعة ءالاف من العساكر الانكشارية وجميعهم من أهل المذهب الحنفي لزم بحكم الضرورة إيجاد جامع حنفي تقام به الجمعة على قواعد المذهب النعماني وربما تطاولت الاعناق يومئذ لتحويل خطبة جامع الزيتونة لمذهب أبي حنيفة وكثر الاخذ والرد بين فقهاء المذهبين وبالاخرة استقر راي الجميع على إبقاء جامع الزيتونة للمالكية مراعاة لكبره وكثرتهم كما تقدم خبره عند الكلام على الجامع الاعظم أدام الله عمرانه واختير أن يكون جامع القصر جامع خطبة للحنفية وتم ذلك في أواخر المائة العاشرة قال الشيخ محمد بيرم الرابع وبالجملة فامامة الحنفية تقريبا كانت على راس الالف أو قبلها بيسير اه ومنه يستفاد أن جامع القصر كان جامع خطبة حنفية في اوائل القرن الحادي عشر ولقد أطلعني بعض الشيوخ على ما يفيد وان تحويله لجامع خطبة حنفية كان في حدود سنة ١٠٣٢ وهذه الرواية ربما أيدتها صومعة هذا الجامع حيث أنشأها أمير حنفي وهو الداي محمد لاز على مقربة من ذلك التاريخ وقد جاء بناؤها بطريقة شاذة لا قاعدة لها في فن هندسة البناء لانهم بنوها فوق سطح بيت الصلاة لا أساس لها وأنما هي قائمة على جدار البيت الذي يبلغ سمكه لنحو خمسة أذرع وعبارة التاريخ المنقوشة على واجهتها هي هذه :

بسم الله الرحمن الرحيم ـ انما يعمر مساجد الله من ءامن بالله واليوم الآخر واقام الصلوة وءاتى الزكوة ولم يخش الا الله اولئك ان يكونوا من المهتدين . وبعد فقد جرى بناء هذه الصومعة على يدي الحاج الناسك المقدس محمد داي حفظه الله تعلى سنة سبع وخمسين بعد الالف اه . ويستفاد من كتاب المونس ان هذا الداي كان يسكن جوار جامع القصر على مقربة من مقبرة بني خراسان

ومن جميع ما تقدم ذكره ومما الحقته بهذه النبذة بعد انتهاء تحريرها يتضح ان خطبة جامع القصر هي العاشرة في سلسلة عموم جوامع الخطبة بتونس والثانية في سلك خطب الجوامع الحنفية وقد رايت بخط الشيخ الوالد ان من ايمته في المائة الثامنة الشيخ عبد العزيز بن معطي العالم المشهور وكان الناس يتزاحمون لسماع درسه

ومات ابن معطي سنة ٨٣٧ ورايت بهامش (١) بعض الكتب المخطوطة ان العارف بالله الشيخ محمد البشيري الزواوي كان يقري تفسير ابن الفرس بجامع القصر في اوائل القرن الماضي وكان العارف بالله الشيخ محمد بن ملوكه ياتي من بعيد لحضور صلاة الجماعة بهذا الجامع ويقول ان نفسه ترغب في الصلاة به لفضيلة عتقه واول من تولى امامته من الجماعة الحنفية الشيخ محمد بن احمد افندي الشهير بالقصري ترجم له في كتاب بشائر اهل الايمان وقال انه كان يحسن التركية والفارسية جميل الخط بعدة اقلام يعني من نسخي وكوفي وثلث واعجمي وتعليق وغير ذلك من الخطوط تولى قضاء الجماعة ثم ارتحل الى الاستانة وتقدم هنالك للخطابة وخطب بها بمحضر السلطان ابراهيم خان قالوا انه اذا خطب اوتي مزمارا من مزامير ءال داوود ثم عاد لتونس وباشر الخطابة بجامع القصر وتوفي سنة ١٠٩٣ ودفن بهذا الجامع ويستفاد من رسالة الايمة والخطباء للشيخ محمد بيرم الرابع ان الامامة والخطابة بجوامع تونس كانتا خطتين مستقلتين عن بعضهما بعضا وقل ان يجمع بينهما لشخص واحد. قلت ان الجمع بينهما صار قاعدة مطردة من عهد دولة المشير محمد الصادق باي الى هذا الزمان لان تبدل الاوقات بارتفاع اسعار المعاشات وتماديها على النمو بطريقة متبعة اضطر الدولة لمراعاة تلك الحال باعتبار عدم كفاية الجرايات الموقوفة على كل واحدة من الخطتين للقيام بضروريات متوليها فاضافت مدخول هذه لهذه وجمعت بين الخطتين في الولاية وبالتالي زيد في مرتبات ايمة الجوامع على نسبة مختلفة من فواضل عموم الاوقاف مراعاة للزمان والمكان وبديهي ان كان الحظ الاوفر في تلك المرتبات لايمة جامع الزيتونة لانه الكعبة المقصودة والضالة المنشودة. وقد ترجم الشيخ محمد بيرم لجماعة من ايمة جامع القصر منهم قاضي الجماعة الشيخ ابو العباس احمد بن مصطفى الطرودي وهو اول من تولى خطيبا بجامع باردو بامر المولى حسين بن علي تركي مؤسس الجامع المذكور ومنهم الفقيه المشهور الشيخ ابو عبد الله محمد الشهير بحمودة باكير وكان يجيد نظم الشعر الرقيق كانت له اشعار كالابكار منها لما غزر شيبه

وقائلة ما لي ارى منك لحية علاها بياض كيف زال سوادها

---

(١) سال بعضهم الشيخ ابا بكر الخوارزمي ساعة احتضاره اي شيء كان يروق له في حياته ولا احسن منه في نظره فاجاب : النظر في هوامش الكتب

فقلت لها طار اللهيب من الحشا فاحرقها غما وهذا رمادها

توفي في ذي الحجة سنة ١٢٣٠ ودفن بمقبرة الزلاج وحضر جنازته المولى حمودة باشا وتبرك بحمل نعشه

ومنهم العلامة الاديب ابو الثناء الشيخ محمود باكير ابن الفاضل المتقدم وكان كابيه يحسن نظم الشعر الفائق من ذلك قوله مشيرا لبعض معاكسات الزمان

لعل زماني بعدما جار انصفا ورام وصالا بعد ان كان قد جفا
وكدر لي عيشي سنين تطاولت واحسبه بعد التكدر لي صفا
وكل فتى وافى له السعد كاملا وسعدي اتى من عكس دهري منصفا
ولي موعد في نيل ما رمت صادق لمن لا يرى في وعده قط اخلفا

تولى القضاء والفتيا وتوفى سنة ١٢٦٧

وتولى خطابة جامع القصر من العترة البيرمية الشيخ محمد بيرم الرابع وهو من اشهر الشيوخ الحنفية بتونس في القرن الماضي جمع بين السيادة العلمية وبين الدرجة العلية في الاوساط الدولية لما كان له من القرابة والحظوة بالبلاط الحسيني فكان اول العلماء تداخلا في احوال الدولة بالمشاركة الفعلية في ادارة المهمات والشئون وكان الفقهاء قبله في صف والدولة في صف ءاخر لا يشاركونها في سياستها الا بقدر ما تدعو اليه الضرورة فاوجبت تطورات الزمان تشريك اهل العلم بالنظر في الاحوال العامة ونسمي ذلك الزمان بعصر التجديد لان جميع التطورات التي حدثت بعده كان لاهل العلم يد فيها لا سيما في مدة المشير محمد الصادق باي على عهد وزارة الاصلاح الخيرية (١)

ثم انتقلت امامة هذا الجامع وخطابته لبيوت اخرى من فقهاء الحنفية منهم ءال برناز (٢) وءال برتقيز وءال الستاري والابي وغيرهم ودخلت واستقرت من نحو حيلين في البيت الخوجي رحم الله السلف وبارك في الخلف

---

(١) احتوت مكتبتنا على وثائق كثيرة قديمة وحديثة في خصوص علاقة اهل العلم باهل الدولة قبل الحماية وبعدها وربما عدنا فيما يستقبل من اليوم لجمعها وترتيبها ونشرها في رساله لا تخلو من فائدة في هذا المقام

(٢) قال في رسالة تراجم الخطباء والايمة ان معنى برناز كبير الانف في

هـذا وينعقد ختم الحديث بجامع القصر في اليوم الرابع والعشرين من شهر رمضان وقـد جرت العادة في البيت الحسيني من اواسط القرن الماضي ان متولي كرسي الملك منهم لا يحضر ختم الحديث بهذا الجامع قالوا ان سبب ذلك هو ان المرحوم الباشا حسين باي الثاني كبا به فرسه عند باب الجامع وهو قادم بنية حضور ختم الحديث به فتشاءم من ذلك ونسج اخلافه من بعده على منواله الى هـذا الزمان هكذا سمعت من بعض الشيوخ الماضين والعهدة عليه

بعد الفراغ من تحرير هذه النبذة وقفت على ما يفيـد وان جامع القصر صار جامع خطبة في سنة ١٠٠٨ قال في كناش للعلامة القاضي الشيخ عمر المحجوب مانصه :

مما وجد مقيدا برسالة مسماة بالاقتداء بالمخالف لبعض الفضلاء :

الحمد لله في سنة ثمان بعد الالف من الهجرة النبوية وقع بتونس تكلـم في ان إقتداء الحنفية بالامام المالكي مبطل لصلاتهم وخاض الترك في ذلك خوضا كبيرا لزعم بعض فقهائهم ذلك وطمعوا في أن يكون إمام جامع الزيتونة حنفيا وكان إمامه الشيخ الفقيه الامام سيدي أبا عبد الله محمد البكري إبن الشيخ الصالح البركة سيدي أبي بكر العثماني حفظهما الله تعالى وأدام بركتهما للمسلمين ونفع بهما وبأسلافهما الى يوم الدين وذلك في ولاية الباشا المعظم الارفع أبي العز خضر (١) أيده الله ونصره ولم يوافق على مـا

التركية قلت من عادة الاتراك انهم ينعتون الاشخاص بالشيء الذي انفردوا بـه كما في قولهم طوبان يعني اعرج وهو لفظ فارسي دخل في الاستعمال بتونس على طريق الترك وفي تونس ينعتون الرجل البرناز بلفظ خشمون وكان احد الامراء الحفصيين خشمونا ومن معاصريه بعض العلماء المشهورين بالتنكيت فكان اذا دخل على الامير يقول له السلام عليكما يعني الامير وانفـه ويموه على صاحبه بانـه حياه تحية مثناة اجلالا لقدره تعود منهـا تحية اليه بصفته رجلا من المسلمين والاخرى بصفته اميرا للبلاد وما هي الا خدعة عادت بالوبال على صاحبها عند حلول ساعته وفي المثل سلامة الانسان في حفظ اللسان

(١) هذا الباشا لا وجود لذكره بكتب التاريخ المعروفة ولكنه ورد ذكره في بعض كتب المالكية كفتاوى الشيخ عظوم ويلوح ان حكمه بتونس كان على اثر الفتح العثماني بحيث يكون معاصرا لرمضان باي الذي هو اول من تلقب بالباي في تونس واما السنة ١٠٠٨ فانها توافق بداية مدة عثمان داي الذي تقدم لخطة الـداي

طمعوا فيه وأشار لهم ببناء جامع القصر قرب باب المنارة لتؤسس به خطبة لهم ويصلون فيه واستفتي في المسالة بعض فقهاء العصر فأجاب كل بصحة الاقتداء بأيمة المذاهب الاربعة وأتوا بنصوص السادة المالكية رضى الله تعلى عنهم في كتبهم المعلومة فقال الشيخ سيدي أبوبكر حفظه الله وددت أن لو كان جوابا يتضمن نصوص أيمة المذاهب الاربعة في المسألة ليكون حجة على القائلين بالبطلان من مذهبهم وأمر سيدي محمد البكري حفظه الله بكتب سؤال ليكون الجواب فيه بما ود فكتب سؤالا نصه ثم ذكر السؤال والجواب وقد اقتصرنا هنا على ما به الفائدة التاريخية ومن التعبير ببناء فيما تقدم يتبين أن جامع القصر كان يومئذ خربا فجدد الاتراك عمارته اه

ثم بعد هذا الملحق وقفت على دفتر مختوم بالشهادة العادلة « في ضبط احباس جامع القصر عن اذن الديوان المنصور بواسطة داي بلق باشي محفوظ اليوم بخزانة المكاتيب العامة بالدولة التونسية تضمن الكثير من تحابيس الدولة المرادية على جم غفير من بيوت العبادة والمدارس والمكاتب والزوايا بتونس واعمالها فاذا به مضمون مشهود فيه بالمطابقة لاصله احتوى على جميع الموقوفات الموجودة في سنة مائة والف على جامع القصر من ذلك دار حبستها على امام الجامع الحرة قمر بنت عبد الله التركي مستولدة المنعم يوسف داي من المرحوم مصطفى التركي من عساكر تونس وقد استغرقت هذه الموقوفات نحو العشرين صفحة في القالب النسخي الكبير اكثرها من تحابيس اهل الجالية التركية ذكورا واناثا وفيها جاء وصف هذا الجامع بنعت الاعظم مما يدل وان الجماعة الحنفية لما حولوه من مسجد لجامع خطبة اعتنوا به اعتناء كبيرا وقد تقدم فيما اسلفنا الاشارة لكون الاتراك كانوا اصحاب عقيدة صميمة وتسابق للخيرات رحم الله السلف ووفق الخلف

في العام قبله وكانت البلاد يومئذ في هرج ومرج والدايات يتقاتلون فيما بينهم للانفراد بالسلطة وكانوا اربعين دايا قال تعلى : لو كان فيهما ءالهة الا الله لفسدتا . فما بالك باربعين حاكما في بلد واحد

٣

جامع يوسف داي

خطبته هي الحادية عشرة في سلسلة جوامع الخطبة بتونس وامامه في هذا الزمان الاستاذ الشيخ الطيب بيرم المفتي الحنفي

هذا الجامع يسميه بعضهم جامع البشامقية (١) اسسه الامير الصالح يوسف داي في سنة ١٠٢١ فهو اول جامع حنفي بني بتونس بعد الفتح العثماني قال في بشائر اهل الايمان للمؤرخ حسين خوجه ان الداي المذكور اشترط في وقفية جامعه ان يكون خطيبه مفتي الوقت وبذلك قال الشيخ محمد بيرم الثاني في شرح رسالة المفتيين ونص عبارته « ويؤيد هذا القول دوران الخطبة في الجامع المذكور مع الفتوى وجودا وعدما اه » قلت وهذه القاعدة جرى عليها عمل ملوك الدولة الحسينية وشذ تخلفها لعذر مراعاة لرسوخ قدم بعض بيوت العلم بمحراب هذا الجامع ومن مشاهير ايمته الشيخ مصطفى بن عبد الكريم كان يقري به الجامع الصحيح للامام البخاري دراية بشرح العيني ويترجم الدرس باللغة التركية لمن لا يحسن العربية من تلامذته ومثله المدرس الشيخ حموده بن الخوجه وهو ممن انتهى اليهم العلم في زمنه كان يقري بهذا الجامع الفقه الحنفي ويترجم درسه بالتركية في ءان واحد مع اقرائه بالعربية مما يدل على ان اللغة التركية كانت بتونس كثيرة الرواج في زمن الشيخين وعلى أنه لا حرج في ترجمة ما كان يعرض لهما في الدرس من الآيات والاحاديث وبهذا قال علماء هذا العصر ومنهم الاستاذ الاكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الازهر فقد أفتى بجواز ترجمة القرآن للغات الاعجمية (٢) لاشهار محاسن الاسلام

---

(١) جمع بشامقي وهو صانع البشمق وهذا اللفظ محرف عن بشماق في التركية وهو حذاء المرأة في البيت عندهم وعندنا بشكله المعروف هو الحذاء الذي يلبسه الفقهاء اتخذوه في جملة الازياء الخاصة بأهل العلم على عهد حكم الاتراك ثم أضافوا له الريحية وهي من أوضاع العرب ومن لبوس أهل العلم في المائة الثامنة وما بعدها

(٢) يوجد بمكتبتنا مصحف جليل وثمين مخطوط باليد بخط ثلثي بديع في القالب الكبير مترجم للفارسية سطرا بسطر وعبارة الترجمة مكتوبة بخط أعجمي

بين الشعوب والاقوام ووافق بعض الشيوخ المالكية بتونس على هذه النظرية وحبذوا كلام شيخ الازهر ولكنهم لم يكتبوا في ذلك اما المذهب الحنفي فقد قال علماؤه منذ أزمان بجواز ترجمة القرآن للغات الاعجمية واذا جازت الترجمة باللسان جازت أيضا بالقلم والحديث قياس

وجامع يوسف داي كان ينعقد به ختم الحديث في اليوم السادس والعشرين من شهر رمضان قبل صلاة العصر وكان الملوك الحسينيون فى الازمان المتاخرة يكتفون بحضور صلاة العصر بهذا الجامع ثم يخرجون منها لحضور مجلس ختم الحديث بعد العصر بجامع الزيتونة لانه جرت العادة في البيت الحسيني ان لا يتخلفوا عن ختم الحديث بجامع الزيتونة الا لعذر فلما ءالت الدولة للمولى محمد الناصر باي التمس منه الشيخ احمد بيرم امام الجامع اليوسفي ان يشرف بحضوره مجلسه لسماع ختم الحديث بالجامع المذكور واسعفه الباي بذلك وتقرر من يومئذ العادة بحضور المولى الامير ختم هذا الجامع ومجالس الاختام تستدعي احيانا وقتا طويلا يقضيه صاحب الختم في اقراء ما دونه من الابحاث وفي الجواب عما يرد اليه من الردود من بعض مجالسيه من اهل العلم ولما كان وقت الختم بجامع سيدي يوسف محدودا بخروج وقت الظهر ودخول وقت العصر افتى الشيخ احمد بيرم المولى محمد الحبيب باي بجواز تحويل ميعاد هذا الختم من يومه المسنون ليوم ءاخر من رمضان فكانت هذه فاتحة التغييرات التي تناولت بالتالي جملة من مواعيد الاختام ومن يومئذ تغير يوم الختم بالجامع اليوسفي وهو في هذا الوقت ينعقد به في اليوم الثالث والعشرين من شهر رمضان. ولنرجع للكلام على هذا الجامع وبه قبر صاحبه رحمه الله والاسواق التي حوله من مؤسساته ففي بداية هذا القرن تناول صومعته الخراب فامر المولى علي باي بتجديد عمارتها كما كانت عليه يعني مثمنة على اسلوب الصوامع الشرقية لا مربعة على اسلوب الصوامع الغربية لان بعضهم اشار على الجمعية بتجديدها على الشكل المربع اقتصادا بالمصروف فتم تجديدها على قواعدها الاصلية ثم اعيد تجديد جامورها مرة اخرى في عامنا الحاضر وفي سنة ١٣٤٥ فتح هذا الجامع للتعليم بعنوان فرع لجامع الزيتونة سموه

بالمداد الاحمر وتاريخ نسخه سنة ١١٤١ وتجليده بصنع صيني غريب وهذا المصحف الكريم اشتريته من رجل أرمني يتجر في التحف الشرقية بباريس

الفرع اليوسفي نسبة لصاحب الجامع وعلقوا بجداره الظهير الملوكي الصادر في ذلك (١) والمطرز بالاسباب الداعية لهذا التاسيس وكانت ولم تزل امامته بالبيت البيرمي يتوارثونها خلفا عن سلف منضمة لخطة الفتوى وهم اهلها وساعدها الاقوى

وبعد الفراغ من تحرير ما تقدم عثرت على نصوص تحابيس كثيرة جدا تبرع بها أهل الخير والمعروف من جالية الاتراك على هذا الجامع يستفاد من صريح عبارتها أنه كان في البداية مسجدا للخمس لا للخطبة ثم إن مؤسسه يوسف داي حوله جامع خطبة في سنة ١٠٤١ وألحق به مكتبا لتعليم أولاد المسلمين القرآن ومدرسة لتعليم العلوم الشرعية وميضاة للوضوء ورتب به إماما وراويا لصحيح البخاري وراويا آخر لرواية المحمدية وقراء السبع فيه مع ختمة ذات ثلاثين سفرا أعدها للقراءة يوم الجمعة وعين تسعة من قراء القرآن من العرب (كذا) يكون شيخهم أحدهم يقرأون كل يوم بعد صلاة الصبح حزبين من القرآن عند المحراب واشترط أن كل واحد من الراويين يروي ما نسب له روايته في رجب وشعبان ورمضان ورتب قارئا لسورة الملك بعد صلاة الظهر كل يوم وآخر يقرا سورة عم يتساءلون بعد صلاة العصر كما رتب خمسة مؤذنين من الترك (كذا) واثني عشر مؤذنا من العرب (كذا) ومعرفا بالمحفل عند صعود الامام للمنبر يوم الجمعة وقدر لجميعهم أرزاقا جارية من النواصر في كل يوم بشهادة الخطيب الامام المفتي الشيخ أبي يحيى الرصاع والفقيه المفتي الشيخ أبي القاسم البرشكي بتاريخ أواخر محرم فاتح شهور عام ١٠٤١ اهـ

٤

جامع حمودة باشا

خطبة هذا الجامع هي الثالثة عشرة في سلسلة جوامع الخطبة بتونس وامامه الاول في هذا الزمان صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمد بن يوسف شيخ الاسلام الحنفي

---

(١) احتوى الظهير المذكور على عبارات بليغة تضمنت تسجيل حسنة هذا التاسيس في صحيفة المولى محمد الحبيب باي بمساعدة الوزير م.لوسيان سان المقيم العام للدولة العظمى الجمهورية الفرنساوية بتونس وقد اثبتنا نصه بالنبذة المتعلقة بتدريس العلوم بجامع الزيتونة وفروعه فليرجع اليه

هذا الجامع بناه الباي محمد ويدعى حموده باشا بن مراد باي الاول وهو نفسه مؤسس ضريح الصحابي سيدنا ابي زمعة البلوي بالقيروان وكم له غير ذلك من المآثر الحسان بتونس وبغيرها من البلدان وجامعه هـذا ملاصق لزاويـة ولي الله الشيخ احمد بن عروس (١) قال في رسالة الخطباء والايمة الحنفية للشيخ محمد بيرم الرابع ان اول جمعة اقيمت بهذا الجامع كانت في شهر رمضان سنة ١٠٦٦ (٢) وكان اول خطيب به المفتي الشيخ محمد الازهري وهذا الجامع من الابنية الزاهية الناطقة بحسن النية ولاخلاف في كون مؤسسه هو مفخرة الدولة المراديـة بشهادة التاريخ وهو محط افراح اهل تونس لانهم يتبركون بعقد انكحتهم فيه ولانه يكثر به عدد المصلين لكونه مركزا وسطا بين اسواق المدينة ولـو اتيح لعرصاته النطق لافادتنا بانها شاهدت اغلب عقود اهـل تونس وابقت النـرز اليسير منها لعموم الـزوايا والجوامع الاخرى بالحاضرة وقد اشتمل صحن هذا الجامع على تربة صاحبه وبهـا جوار قبره قبر حفيده الباشا محمد بن مراد باي الثاني مؤسس جامع سيدي محرز وهذه المقبرة ذات القبة الخضراء الجميلة والواجهة المرمرية البديعة معتبرة في جملـة الابنية التاريخية في برنامج الاثار العربية بادارة الانطـكخانة وقد امتاز هذا الجامع عن بقية الجوامع الحنفية باماميـن اول وثان ولايتهما بالامر العلي وفقا لنص الواقف وامامـه الثاني لهذا الزمان هو العلامة الفهامة المدرس الشيخ الشاذلي بن القاضي ورث الخطة عن اسلافه الاعلام ايمة الجامع من قبله وهذا الجامع ينعقد به ختم الحديث في ١٧ رمضان وهو من الاختام الثمانية التي يحضرها المولى الامير اطال الله عمره

---

(١) الزاوية العروسية من حسنات السلطان محمد المنتصر الحفصي وكانت وفاة الولي سيدي احمد بن عروس في سنـة ٨٦٨ عن نحو تسعين سنة وكان من اجمـل خلق الله ومن اكابر الصالحين جاب البلاد في الطول والعرض دخل لبـلاد المغرب والتحق بمدينة سبته مسقط راس عياض وفيه يقول في جملة شعر ملحون له :

جميـع الـبلاد شـولت حـتى لسبته الحصينة
انا مثل بنزرت ما رايت الواد في وسط المدينة

(٢) يستفاد من بعض الوثائق التاريخية المحفوظة بالخزنة العامة بالدولة التونسية ان التحابيس التي وقفها حمودة باشا على جامعه صدرت منه في موفى جمادى الاولى عام ١٠٦٨ بشهادة الفقيهين الشيخ ابي العباس احمد لفلوف والشيخ ابي عبد الله محمد الانصاري شهر الرصاع

٥

جامع محمد باي المرادي

خطبته هي الرابعة عشرة في سلسلة جوامع الخطبة بتونس وامامه في هذا الزمان الاستاذ الشيخ محمد بن الخوجه المفتي الحنفي

هذا الجامع اسمه المشهور بين الناس في هذا الزمان هو جامع سيدي محرز لوقوعه تجاه الزاوية المحرزية وكانوا يسمونه بالجامع الجديد كما وقفت عليه برسم حبسيته وقل من يعرف نسبته لمؤسسه الباشا محمد باي بن مراد باي الثاني ومحمد هذا ينطق اسمه بفتح اوله لان الترك ومن انتسب اليهم كانوا لا يسمون باسم محمد مطلقا احتراما للمقام النبوي صلى الله عليه وسلم فيسمون محمدا بفتح الميم كما هو موجود بكثرة في تونس ثم اقتبسوا من هذا الاسم المفتتح بالفتح اسما مصغرا وهو لفظ ممي فمعنى الممي عند الاتراك يقابله لفظ محيمد في العربية وفي المؤنث ممية اي محيمدة وقد بنى محمد باي المرادي جامعه المتحدث عنه على قواعد شبيهة بجامع السلطان احمد الثالث باسلانبول وشرع في بنائه سنة ١١٠٤ ومات قبل تمامه في سنة ١١٠٨ فاتم بقيته اخوه رمضان باي عدا صومعته التي سياتي وصفها وهذا الجامع هو اكبر الجوامع الحنفية وافخم جوامع الخطبة بتونس على الاطلاق ورايت بتقييد لبعض الافاضل ان تاريخ بنائه يوافق بحساب الجمل عبارة « بني على خمس » اشارة لقواعد الاسلام الخمس وهذه العبارة جملتها توافق سنة ١١٠٣ بحساب الابجدية لا سنة ١١٠٤ كما ذكره المؤرخون - واعلم ان الصومعة الموجودة لهذا الزمان بصحن الجامع ليست في اصلها من ابنية الجامع كما سياتي تفصيله لذلك لم تكن على الذوق الشرقي الذي بنيت على مقتضاه اروقة الجامع وبيت الصلاة وقبابه الفخمة ومنبره الجميل الجليل وسبب ذلك والله اعلم ان محمد باي واخاه رمضان باي توفيا قبل اتمام صومعة الجامع الاصلية وكانت بزاوية الصحن الكبير بين الجوف والغرب اقيمت على قاعدة صخرية عظيمة بلغ ارتفاع ما تم من بنائها بالشكل المثمن الى نحو عشرة اذرع وتعطل اتمام بنائها تشاؤما بموت محمد باي المرادي ثم بقتل اخيه رمضان باي قبل

التمام. يدلك على صحة هذه النظرية ما وقفت عليه ببعض كناشات السلف من ان المشير احمد باي لما حضر ذات مرة بختم الشيخ الجد راى عند دخوله لصحن الجامع وجود خراب ببعضه فاستحضر وكيل الوقف وسأله عن سبب ذلك فاجاب بعدم توفية الدخل بالخرج فلم يقنعه هذا الجواب وامر بعزله وولى مكانه الشيخ محمد معاوية اختيار عساكر الحنفية فاجرى الاصلاح اللازم واراد اتمام عمارة صحن الجامع ببناء الباب الذي بناه المؤسس جوار الصومعة ولم يتمه مثلها وتشاور في ذلك مع امام الجامع فقال له « راي حسن ولكن سعادة الباي ربما يتشاءم من ذلك » فاخذ الوكيل على عهدته مراجعة المشير احمد باي في النازلة ولما بسطها لديه قال له « لو فعلت ذلك لامرت بقطع راسك فاياك ان تعيد لي هذا الطلب »

فلاجل عقيدة التشاءم الذي قررناه لم يقدم احد بعد موت محمد باي وقتل اخيه رمضان باي على اتمام صومعة الجامع التي كانت بدعا في بابها فبقيت على تلك الحال اكثر من قرنين كاملين الى ان قامت جمعية الاوقاف في سنة ١٣٠٧ وتداركتها ... بالهدم عوض البناء وجعلت مكان قاعدتها حوانيت للتجارة بنية الانتفاع بريعها وبقي بمحفوظي ان فؤس العاملين على تقويضها كانت لا تعمل فيها رغم الجهود الجبارة فاضطروا للاجهاز عليها بالالغام وما لبثت حتى عفت رسومها وامست اثرا بعد عين واما الصومعة المربعة الموجودة لهذا الزمان بالجامع فانها من الملحقات المولدة بالنسبة للجامع كانت تابعة للمسجد السفلي المعتلى عليه بعض الجامع المرادي ويعرف بمسجد الفلاري نسبة لمؤسسه الفقيه الشيخ ابراهيم الفلاري صاحب الضريح الواقع تحت صحن الجامع وهو من رجال القرن الحادي عشر توفي سنة ١٠٣٩ ويلوح ان الحاق هذه الصومعة بالجامع كان في عهد الباي ابراهيم الشريف لانك تجد على واجهة المنبر البسملة وكلمة التوحيد متبوعة برقم ١١١٦ مما يدل وان توشية المنبر وانتهاء ترصيعه بالمرمر الملون وتهذيبه وتزويقه كان في عام ١١١٦ فمن المحتمل القريب ان التحاق الفرع بالاصل كان في تلك المدة كما يحتمل ايضا وقوعه قبل ذلك ولا يعلم الغيب الا الله. واول مدرس اقيم لرواية الحديث بالجامع هو العلامة الشيخ محمد قويسم صاحب كتاب سمط اللآل وقد احتوت ربعة الختمة (١) الموجودة بالجامع على صفائح من نحاس

(١) المصحف العتيق الثمين الذي كان بهذه الربعة من زمن التاسيس وهو من

غريبة الصنع طرزتها يد حكيمة بنقوش جميلة تضمنت كتابة طويلة نظما ونثرا من ذلك قوله :

معالم للتنزيل في صحف تقرا تذكر بالتقوى لم طلب الذكرا

ومنها قوله بالوجه المقابل لكرسي القاري والبيت من البسيط

واختم بتسع والف بعدها مائة واجعله ... التاريخ ....

وهذا البيت ناطق بأن الربعة المتحدث عنها نصبت بمكانها في سنة ١١٠٩ كما تضمنت بقية الكتابة إسم مؤسس الجامع محمد باي هذا ويوجد بجدار محراب الجامع لهذا الزمان جملة من المعلقات بعضها قديم وبعضها حديث ولا يهمنا منها هنا الا القديم لما له من العلاقة بالتاريخ فالقديم من تلك المعلقات اثنتان واحدة مفتتحة بالبسملة وبكلمة الشهادة وبوسطها دائرة تضمنت الشمائل النبوية وحولها أسماء الله الحسنى وبذيلها بالقلم الغليظ قوله :

لولاك لولاك لما خلقت الافلاك

وما أرسلناك الا رحمة العالمين — حرره الحقير عمر إبن هاشم الاستانبولي غفر (الله له ولوا) لديه عفى عنه اه وهذه المعلقة سطا عليها كر الايام فمحا بعض كتابتها لانها ليست محاطة بأطار ولا مغطاة بلوح من الزجاج لحفظها من التلاشي وهي جميلة الخط حسنة الترتيب لذلك أخذت على نفسي إنتشالها من حالة إحتضارها بوضعها داخل أطار مناسب لها مغطى بزجاجة لحفظ ما بقي منها ليتبرك برؤيتها أهل الاجيال المقبلة

تحايس امراة من اهل الخير اسمها سمونة سرقته يد اثيمة في سنة ١٣٥٢ ولم تتمكن جمعية الاوقاف من الكشف عنه الى هذا اليوم وسرقة المصاحف والكتب ليست بالشيء الجديد تحت القبة الزرقاء انما الكلام في طريقة السرقة فبعضهم يسرق الكتب خلسة كسرقة هذا المصحف المفقود وبعضهم يسرقها جهرة على معنى استعارتها منك بنية عدم ارجاعها اليك والمآل واحد ولما كان الشيء بالشيء يذكر فقد اتفق لهذا العبد انه سرق الي لنحو ثلاثين سنة ماضية مصحف على الرق احتوى على السبعة احزاب الاولى من القرءان الكريم كنت اشتريته من سوق الكتبية بالمزاد العمومي باربعين فرنكا وقد وجدته بعينه ذات يوم بطريق الصدفة معروضا للبيع بمائتي فرنك بدار احد الوراقين المستشرقين بباريس وتوصلت لمعرفة سارقه وكتمت امره وهو الان ممن التحقوا بالدار الاخرة رحمه الله وغفر له

وأما المعلقة الثانية فانك إذا نظرتها من حيث تراكيب عبارتها المحرفة تجدها من سقط المتاع ولكن لها رغم ذلك قيمة تاريخية لانها تضمنت سنة كتابتها واسم كاتبها ونص عبارتها بحروفها :

يا داخل الجامع الله يرعاك أبشر بما ترج من فضل مولاك

ثم في سطر ثان بكتابة معكوسة يعني من اليسار الى اليمين

يا ناظر الجامع كيف تصوره فادعو لمن بناه بالمغفرة

وفيما بين الجملتين صورة أطار مكتوب به العبارة الاتية

سوده الفقير الى محتاج رحمة ربه مجيد محمد خورشيد غفر ذنوبه وستر عيوبه امين ولمن نظر هذا الكتب قرأ الفاتحة سنة ١٢١٥ اه بحروفه

وهذه الكتابة تدل على ان صاحبها بضاعته مزجاة في العربية وانه ربما كان من الاعاجم يؤيد ذلك كون اسم كاتبها خو رشيد وهو من الالفاظ الاعجمية ومعناه شمس في اللغة الفارسية

وممن تولى بهذا الجامع خطة باش خوجه بالامر السلطاني الفقيه المنلا الشيخ الحاج علي خوجه افندي وهذا هو جدي الاعلى رحمه الله (١) كما تولى الخطبة والامامة

---

(١) جده من رجال الفتح العثماني قدم بعنوان اختيار في الجيش الذي جاء به الوزير سنان باشا لتونس في سنة ٩٨١ وكان له ابن نشا في سلك السفطات بتكايا الصالحين بالاستانة ثم عاد هذا المجاهد بعد تمام الفتح لبلاد الترك بنية جلب عائلته والاستقرار بتونس فادركه اجله بالاستانة وهو على اهبة السفر وكان بصحبته حفيده المنلا حاجي علي خوجه ونسميه الجد الاعلى لانه هو الذي نعرف خبره بالتحقيق المستفاد من رواية الخلف عن السلف وهذا الحاج علي خوجه كانت له مشاركة في الفقه وفد على تونس مع امه في عهد الامير ابراهيم الشريف باشا باي داي (كان جامعا في ذاته للالقاب الثلاثة) وادرك الدولة الحسينية ولقد اتفق له ذات ليلة ان ارتابه الباشا علي باي وهو امير المحلة وظن انه كان بصدد تدبير مؤامرة ضده لانه وجده في ظلام الليل والعساكر ملتفون حوله ولما ساله في ذلك اجاب بانه كان يلقنهم فرائض الوضوء ويعلمهم شروط الجمعة فاستحضر الباشا امام المحلة ليختبر امره واذ فاتحه الامام بقوله نريد سؤالك عن صلاة الجمعة قال الشيخ الجد في نفسه خذ اللص قبل ان ياخذك وعكس عليه السؤال بقوله : هل هي رخصة ام عزيمة فاختار الامام

به حفيده العلامة الشيخ حمودة بن الخوجة وهاتان الخطتان تولاهما في سنة ١٢١١ ابنه العلامة قاضي الجماعة الشيخ احمد بن الخوجة الاول وبقيتا في عقبه بتواصل الى هذا الزمان

وأعلم أن هذا الجامع المرادي هو افخم جوامع تونس كما سبق التعريف بذلك ولكن موقوفاته قليلة في هذا الزمان ويلوح ان سبب ذلك هو تلاشي بعض ما حبسه عليه مؤسسه لانه مات قبل اتمام بقية بنائه. بل ولاسباب اخرى ايضا اثارتها الفتنة التي حصلت بين رمضان باي وحفيده مراد باي الثالث فقد رايت في بعض الاخبار ان الجامع المتحدث عنه بقي في مدة ذلك الهرج معطلا لا تقام به الشعائر

وختم الحديث بهذا الجامع ينعقد في الثاني والعشرين من شهر رمضان وكان الباي حمودة باشا لا يتخلف عن ختم امامه القاضي الشيخ احمد بن الخوجة الاول وهذا الفقيه هو الذي احيى مشروع الاختام دراية بجوامع تونس كما سترى خبره

في الجواب وفهم الباشا حيرته وقصوره فامر بترقية الشيخ الحاج علي خوجه لخطة باش خوجه وكان للحاج علي المذكور ابن اسمه محمد بفتح اوله انقطع لقراءة العلم بجامع الزيتونة وهو الذي غلب عليه لقب ابن الخوجة بالتعريف لان اباه الحاج علي خوجه تولى خطة الباش خوجه كما سلف ذكره فميزوه باضافة اداة التعريف لاسمه بعد ان كان نكره والله يوتي فضله من يشاء وكانت امه امراة شريفة اصلها من الحجاز ومات محمد المذكور في مقتبل العمر تاركا بعده ابنه الشيخ حموده بن الخوجة وهذا الفقيه هو اول من اشتهر بين اهل العلم من سلفي نور الله مراقدهم نوه بقدره تلميذه العلامة الشيخ محمد بن سعيد الملقب بالنجم في الفلك المشحون وكان اذا ذكر اسم شيخه عنده يقول فيه

هو الزاخر البحر الذي لا يعيبه سوى انه بين البحور عميق

ولما توفى الشيخ حموده المذكور في سنة ١١٩٣ رثاه تلميذه النجم المشار اليه بقصيدة عصماء تضمنت قوله

قمر الدروس ومن اذا وقف الورى في مشكل لم يعيه تاويله

قال بعض اهل العلم من معاصريه ويكفيه فخرا ان كان النجم ابن سعيد من تلاميذه والخلاصة ان لبيتنا بهذه الديار التونسية المباركة نحو عشرة اجيال وكان من فضل الله ان اكثر سلفي نشأوا في خدمة العلم ونشر مذهب ابي حنيفة بهذه الارض المختارة

بالخاتمة. كان يجلس لدرس ختمه بعد صلاة العصر ويقوم منه عند قيام الاذان لصلاة المغرب حكى لي الشيخ الوالد بسماعه من والده ان اباه الشيخ احمد المذكور طلب مرة من الباي عند نهاية الختم ان ياذن له بالاستراحة بقية ايام رمضان وايام العيد لقضائها بجبل المنار والوقت قيض فلم يسعفه الباي الا بالثلاثة الايام التابعة ليوم الفطر قائلا له : وكيف يمكن امناحك اكثر من ذلك وانت قاضي الحضرة فهل نلزم الخصوم بالرحيل لجبل المنار لرفع دعاويهم لديك اه قلت رحم الله هذا الامير العادل الذي حكم على قاضيه بملازمة محكمته كي لا يتحمل الخصوم اتعابا واكلافا في سبيل الالتحاق بقاضيهم. وكان المشير احمد باي الاول لا يتخلف ايضا عن ختم الشيخ الجد ابي عبد الله محمد بن الخوجة (١) واتفق لهذا الباي سن قانون للعساكر قضى به في

---

(١) كان يقوم بختم الحديث في هذا الجامع من حياة ابيه صاحب الرواية كما يستفاد ذلك من عبارة تقريظ لختمه في سنة ١٢٤٠ من قلم شيخه العلامة الشيخ محمد بيرم الثالث ونص عبارته :

طالعت هذه التعليقة الانيقة التي هي بالاذعان حقيقة للبدر الزاهر الهمام الماهر ابي عبد الله محمد بن شيخ الاسلام عمدة الانام خاتمة المحققين كمال العلماء المتاخرين شيخنا ابي العباس احمد بن الخوجة فرايت ما يبتهج به الناظر ويعول عليه المجادل والمناظر من نقول تصحبها متانة وجزالة ونقود يمتزج بها بلاغة وجلالة وحسن انسجام الذ من الوجدان بعد الاعدام الى غير ذلك مما تزكيه الالباب ولا يحيط به نطاق الاستيعاب فحمدت الله سبحانه على التيسير في مثل هذا الزمن العسير وابتهلت اليه جل جلاله ان يكثر من امثاله ويسهل لهم النسج على منواله انه الفعال لما يريد المالك لازمة التيسير والتسديد وحين رتع الذهن الكليل في ذلك البستان وتملك ناظره من بديع هاتيك الحسان صار اللسان على قدم الشكر يحول وحمله الوجد المادح على ان يقول

لا تنكروا ولهي وفرط غرامي ... ومزيد اشواقي لها وهيامي
هاذي الذي سمح الزمان بوصلها ... من بعد تسويفي وطول منامي
نسخت بطلعتها ونور جمالها ... ليل الشكوك وحيرة الاوهام
لا تعجبوا منها فان مقيلها ... بيت العلوم وقبلة الاعلام
بيت اذا حل العويص بسائل ... وافاه ملتمسا لنيل مرام
لا زال محروس الجناب موفقا ... متعطر الارجا بحسن ختام

سنة ١٢٦٧ على حياة عدة انفار من عساكر البحرية قبل التروي في نازلتهم وهي تهمة الاعتداء على كبيرهم فكان موضوع الختم يحوم حول هذه الحادثة مع بيان وخامة التعجيل بالحكم قبل التبين مما يدل على كون حرية الفكر والجهر به كانت مباحة للعلماء في ذلك الزمان وانهم لا يخشون فيما يرونه الحق لومة لائم، واختام الشيخ الجد كثيرة جمع الشيخ الوالد بعضها في سفر خاص وهو من ذخائر مكتبتنا معظوظ عليه بالنواجذ وكان ابن هذا الشيخ الجد العلامة الشيخ احمد بن الخوجة الثاني يتشرف مجلسه بحضور المشير محمد الصادق باي يوم انعقاد ختم الحديث بهذا الجامع وكان مجلس ختمه مظهرا لآيات التحقيق والفهم بين اهل العلم وهذا الشيخ العم اكثر من كتب من سلفنا في السابق واللاحق وقد امتاز بين خطباء عصره بارتجال خطبه الجمعية مع الايجاز احتفاظا بالوقت لاداء فريضة الجمعة على اصح الاقوال الواردة في تعدد الخطبة في المصر الواحد. وبعد انتهاء تحرير ما تقدم في حق هذا الجامع المرادي افادني بعض فضلاء الاساتذة بالحكاية اللطيفة الآتي ذكرها قال والعهدة عليه : يقال ان محمد باي المرادي بعد ان اتم بناء جامعه رأى في النوم كأن الجامع هدم والناس يتسابقون الى اخذ انقاضه وهو في جملتهم فقص رؤياه على بعض علماء التعبير فتأولها بان للباني نصيبا في هذا الجامع والباقي لجماعة المسلمين فقال له الباي كان في المال الذي بنيت منه الجامع نصيب ورثته من والدتي والباقي من اموال الرعية اه

هذا وفي ما بينما كنت ابحث عن احوال بقية الجوامع الحنفية في الدولة المرادية عثرت بخزنة المكاتيب العامة على دفتر قديم مختوم بالشهادة العادلة تضمن نسخة من رسم تحبيس مشتمل على رباعات كثيرة تبلغ لثمانية وثلاثين عقارا بين دور وحوانيت ومخازن وحمامات وافران وكوشات ومطاحن وقفها المحبس على جامعه وعلى تربتين (١) اعتبر بناءهما بصحني الجامع شرقا وغربا اولاهما ليقبر بها مع

(١) مات المحبس قبل بناء التربتين واتمام مشروعه الجليل فكانه كان ينظر للمستقبل بمرآة الغيب لانه اعتبر ذلك اثناء بيانه لكيفية توزيع ارباع تحابيسة على الجامع كما ذكرناه مفصلا بمحله وبديهي ان خلفه بكرسي الامارة وهو اخوه رمضان لم يتهيا له ايضا اتمام ما اوصى به اخوه لان مدته كانت قصيرة موسومة بالهرج الذي اثاره في وجهه حفيده مراد باي الثالث ناهيك انه قتله وحرقه ونسف رماده في اليم

اعقابه الذكور والثانية لاقبار ذريته من النساء ومن لم يبلغ الحلم من عقبه الذكور واشترط ان يكون دخول الجنائز للصلاة عليها بالجامع من الباب الغربي وخروجها من الباب الشرقي (١) عدا جنائز من يقبر بالتربتين المذكورتين فلا شرط فيها ونص الواقف على كيفية توزيع ارباع تلك الموقوفات ننقلها هنا على وجه البركة وحسب قال : يبدا من غلة ريع ما ذكر ما يحتاج اليه الريع المحبس المذكور من رم وبناء حتى يبقى قائما على اصوله ينتفع به ثم بما يحتاج اليه الجامع والتربتان المذكورتان والميضاة التي تكون للجامع من رم وبناء حتى يكون جميع ذلك قائما على اصوله منتفعا به وباصلاح المسجد الشرقي الباب (مسجد الفلاري) المعتلى عليه طرف من الصحن الشرقي من الجهة القبلية من الجامع المذكور ان ضاق حبس المسجد المذكور وخشي من عدم ذلك الضرر على الصحن المذكور ثم بما يحتاج اليه الجامع المذكور والتربتان والميضاة المذكورات من تجصيص وتحصير واستصباح وايقاد شمع كل يوم وليلة على العادة الجارية في ذلك بجوامع الحنفية قرب المحراب ولقراءة المصحف على الكرسي ويوم ختم البخاري وغير ذلك من ضروریاته ثم يعطى لمن يكون اماما راتبا فى الصلوات الخمس بالجامع المذكور من الحنفية ستة ناصرية كل يوم ولمن يكون خطيبا به من الحنفية ايضا خمسة ناصرية كل يوم ولخمس مؤذنين حنفية احدى عشر ناصرية كل يوم من ذلك لرئيسهم ثلاثة ناصرية ولمن يكون معرفا يوم الجمعة ناصريان كل يوم ولقارئين يقرآن القرءان العظيم على الكرسي من المصحف قبل صلاة الصبح والظهر والعصر يتناوبان القراءة بينهما ناصريان لكل واحد منهما ولقاريء سورة يس بعد صلاة صبح كل يوم ناصريان في كل يوم ومثل ذلك لقاريء سورة الملك بعد صلاة الظهر كل يوم ومثل ذلك لقاريء سورة عم يتساءلون بعد صلاة عصر كل يوم ولوكيل الجامع المذكور خمسة ناصرية كل يوم

قرمضان هذا وهو صاحب الدار والبطحاء المعروفة المنسوبة لاسمه في تونس ليس له قبر هكذا نبه عليه صاحب الخلاصة النقية وغيره

(١) لم يكن هذا القيد عبثا لان دخول هذا الجامع لحامل عبء ثقيل يكون ايسر من بابه الغربي لقلة درجه على عكس بابه الشرقي فانه ايسر للنزول والخروج بالجنازة لكثرة درجه

ولاثني عشر مؤذنا مالكية ربع ريال كل يوم لشيخهم من ذلك ناصريان كل يوم ولاربعة وقادة للجامع وللتربتين اثنا عشر ناصرية كل يوم ولمن يقرا القرءان العظيم في الاسفار بعد صلاة كل جمعة بالجامع المذكور ثمانية ناصرية كل جمعة منها لمفرق الاسفار ثلاثة ناصرية ولقاريء السفر نصف ناصري ومثل ذلك لمن يقرا بالاسفار في التربة الاولى (تربة الذكور) من التربتين المذكورتين ولقيم الميضاة ثلاثة ناصرية كل يوم ولمن يقرا الحديث الشريف بعد صلاة الصبح بالجامع كل يوم ثمانية ناصرية وللراوي عليه ثلاثة ناصرية كل يوم ولمن يكون مدرسا بالجامع بعد العصر من الحنفية ثمانية ناصرية كل يوم وعشرة ريالات في كل شهر لعشرة طلبة من الحنفية يقراون على الشيخ المذكور ريال لكل طالب في كل شهر ولمن يكون مدرسا بالجامع المذكور من المالكية بعد الفراغ من قراءة الحديث ثمانية ناصريه كل يوم ولعشرة طلبة مالكية يقراون عليه عشرة ريالات في الشهر لكل واحد منهم ريال ولمن يجود عليه القرءان بالجامع من المالكية ثلاثة ناصريه كل يوم وما فضل من غلة الحبس المذكور بعد صرف ماذكر كيف فسر وسطر يشترى به ربع يلحق بالحبس المذكور على مقتضى نصه المذكور هذا حيث لم يعق المحبس المذكور عن اكمال بناء جميع ماذكر عائق فان عاقه عن ذلك عائق فيكون المبدأ به من غلة الحبس المذكور اكمال ما يجب من اكماله من الجامع بصومعته وميضاته والصومعة المذكورة تكون على صفة صومعة جامع جده للاب (اي صومعة جامع حموده باشا) حتى يبقى جميع ذلك قائما على اصوله كما ينبغي فاذا كمل بناء جميع ذلك على الوجه المذكور تصرف حينئذ غلة الحبس المذكور في المصاريف المذكورة كيف فسر وسطر الخ اهـ. صدر منه ذلك في اواخر شعبان عام ١١٠٥ ونبه شاهداه بانهما وقفا بطرة رسم هذا التحبيس على حكم شرعي من قاضي الحضرة بصحبة هذا الحبس بعد الترافع لديه والشهادة عليه بذلك يليه فتاوى المشائخ المفتين بالموافقة ثم اضاف محمد باي صاحب الجامع لتلك التحابيس تسعة رباعات اخرى بينه بنعوتها وحدودها ومواقعها كالرباعات السابقة واصدر فيها التحبيس الاتي نصه :

اشهد المحبس المذكور انه حبس ووقف جميع الربع المذكور على ان يبدا من غلته بما يحتاج اليه المكتب المتصل بتربة الشيخ سيدي محرز من رم وبناء وتحصير وتبييض حتى يبقى قائما على اصوله منتفعا به ثم بسنة ناصرية بتقديم السين

على المثناة كل يوم لمن يكون مؤدبا بالمكتب المذكور بشرط ان لا ياخذ من المتعلمين عليه به اجرا وما فضل من ذلك اي بعد اخراج ما ذكر يلحق بمصاريف حبس الجامع المذكور على مقتضى نصه بتاريخ اواسط محرم ١١٠٨ اهـ وفيما بين هذين التحبيسين حبس ابو العباس الحاج احمد بن عثمان داي على هذا الجامع املاكه المنجرة له بالهبة من الامير محمد باي مؤسس الجامع في سنة ١١٠٣ وهي موضع زيتون بالبرج خارج مدينة تونس وموضع زيتون كائن بالرمادات وموضع زيتون كائن باقرج وموضع زيتون كائن بمنوبة صدر منه هذا التحبيس في اواخر شعبان عام ١١٠٦ وحبس محمد باي المذكور على ابنته تركية دارا بالقشاشين والدار المعروفة بدار القائد جعفر على ابنته خديجة وجعل مرجعهما بعد انقراض ذريتهما لجامعه المذكور وقبل ان يلتحق بالدار الآخرة عزز هذه الحسنات بتحبيس جملة من الكتب على جامعه في كرتين كرة اولى بتاريخ اواخر حجة الحرام عام ١١٠٧ اشتملت على اربعة وخمسين مجلدا في علوم التفسير والحديث والتوحيد والفقه واللغة والنحو والاصول وغير ذلك اعتبر فيها بعض تآليف في فقه مذهب الامام مالك مراعاة لمن عسى ان يقرا بالجامع من طلبة المذهب المالكي مشترطا ان تكون المطالعة في تلك الكتب بالجامع لا خارجه واستثنى من ذلك المدرس وراوي الصحيح بالجامع على ان يكون لهما الحق في اخراج كتاب واحد واذا احتاج احدهما لاخراج كتاب اخر فلا يمكن منه الا بعد ارجاع الكتاب الاول واشتملت الكرة الثانية على واحد وثمانين مجلدا اكثرها في التفسير والحديث والفقه الحنفي منها تفسير ابن عادل وتفسير الثعلبي وتفسير القرءان بالحديث للسيوطي والكشاف والعيني على البخاري والنووي على مسلم وصدر الشريعة وغير ذلك تقدم منه هذا التحبيس في اخر حياته وتأخر كتبه لاواخر جمادى الاخرة عام ١١٠٩ بعد مماته

الى هنا انتهى بنا الحديث عن جامع محمد باي المرادي المشهور بجامع سيدي محرز وشهرة هذا الولي تدعوني لاضافة حديثه للجامع المنسوب اليه لا سيما اذا راعيت حق الجوار لاني وسلفي طيلة عشرة احيال ولدنا ونشانا في جوار الزاوية المحرزية وكان ابي رحمه الله لا يتخلف عن زيارة مقام الشيخ رضي الله عنه بكرة كل يوم سبت وقد جمع من اخباره ومناقبه جزءا لطيفا كتبه بخط يده وعنه اخذت بعض ما سياتي ذكره

التعريف بالشيخ سيدي محرز بن خلف

رضي الله عنه

هو الشيخ المربي الصالح الفقيه العابد محرز بن خلف بن رزين بن يربوع ابن حنظلة بن اسماعيل بن عبد الرحمن بن سيدنا ابي بكر الصديق رضي الله عنه توفى سنة ٤١٣ عن نحو ٧٣ سنة ودفن بداره التي هي زاويته المعروفة وبها كان يقري الصبيان بعد ان جلس لتعليم القرءان باريانة والمرسى (١) ومنه يفهم ان هذين البلدين كانا موجودين في المائة الرابعة وكان الشيخ محرز صاحب مناقب مذكورة وكرامات مشهورة له مواقف حفظها له التاريخ مع المعز بن باديس من امراء صنهاجة ترجم له القاضي عياض في كتاب المدارك وخصه الشيخ ابو الطاهر محمد بن الحسن الفارسي بكتاب استوعب فيه ذكر فضائله وادعيته وسيرته واحواله واخباره. كان معاصرا لجماعة من اهل العلم والصلاح منهم قريبه الشيخ ابو محمد عبد الله بن ابي زيد صاحب الرسالة والشيخ ابو الحسن القابسي وهبة الله بن عقبة وغيرهم من رجال المائة الرابعة. قال في المونس : ان الاسبانيول لما غزوا تونس دخلوا بخيولهم لجامع الزيتونة ومزقوا ما به من الكتب ثم نبشوا قبر الشيخ سيدي محرز بن خلف فلم يجدوا به غير التراب اه

واما زاويته الموجودة وبسقيفها مقابر جماعة من سلاطين الدولة الحفصية وءالهم فقد تناولها التجديد مرارا في القرون الماضية ففي المائة التاسعة جدد بناءها السلطان محمد المنتصر بن المنصور بن ابي فارس الحفصي ولما دخل الاتراك لتونس واطردوا منها الاسبانيول الذين عاثوا فيها بالفساد اعاد وابناء ضريح الشيخ الذي نبشه اولئك الحيوانات

---

(١) كانوا يسمونها في القديم مرسى ابن عبدون ثم غلب عليها في الدولة الحفصية اسم مرسى جراح وجراح هذا من رجال المائة السابعة واسمه جراح العربي كان من الصالحين الاخيار ومن معاصري الشيخ عبد العزيز المهدوي صاحب الضريح المعروف ونسبت المرسى لاسم الشيخ جراح لانه كان يرابط بها للاحتراس عليها من مراكب العدو وزمنه يوافق عصر الحروب الصليبية

العجم. وفي صدر الدولة الحسينية بنى المولى حسين بن علي قباب الزاوية وآخر تجديد لعمارتها كان في عهد المشير محمد الصادق باي وكان المباشر لهندسة بنائها والناظر على اشغالها الامير الاي حسونة بن مصطفى من ضباط الدولة التونسية الذين زاولوا العلوم الرياضية بمكتب الحرب بباردو وقد تم سقيفها وبابها في سنة ١٢٧٩ وتمت عمارة الضريح وقبته وملحقاته في سنة ١٢٨٥ وفي ذلك يقول شاعر تونس الشريف المفتي الشيخ ابو الثناء محمود قبادو

ذا مقام للمحرز الصديقي محرز الخصل والكمال الحقيقي
قف به سائلا واعظم وايقن ببلوغ المنى وفسح المضيق

وقد تضمن ديوان الكاتب الاديب المؤرخ الشيخ الباجي المسعودي قصيدة فاخرة ضمنها تاريخ بناء باب الزاوية المحرزية مطلعها

هذا مقام عظيم القدر فاسع وطف ولذ بابوابه واسال هناك وقف

وبيت التاريخ

وذي كرامته لاحت بشائرها وجاء تاريخها اكرم محرز ابن خلف

١٢٧٩

ومما اشتملت عليه هذه العمارة تجديد تابوت القبر وجعلوه في طبقتين مع تحويطه بقفص من الفولاذ حوله سياج من جهاته الاربع وقد اعجب الناس بهذا التابوت وسار خبره في البلدان لاسيما بين المنتسبين لاهل الطريق ومنهم تلاميذ الطريقة التجانية فصنعوا تابوتا مثله بتونس على يد المعلم احمد الغربي النجار واهدوه لضريح الشيخ سيدي احمد التجاني بفاس وقد اتيح لي رؤيته هنالك عند زيارتي لزاوية الشيخ التجاني والتيمن ببركته في صائفة عام ١٣١٧ ويتضح مما تقدم ان تجديد عمارة الزاوية المحرزية في اواخر القرن الماضي كتبت يد الاقدار حسنتها في صحيفة المشير محمد الصادق باي ولا عجب في ذلك فان هذا الامير طاب ثراه كان صميم العقيدة والانتماء للشيخ محرز الصديقي ناهيك انه اوصى بدفنه جوار قبر هذا الولي وان لم تسعف الاقدار بانجاز ذلك بعد وفاته مراعاة للقاعدة المسنونة من دفن الملوك الحسينيين بالمقبرة الملكية الخاصة بهم خلفا عن سلف وكان هذا الباي لا يتخلف عن زيارة ضريح الشيخ في المواسم وعند الازمات ومن اسمه اقتبس اسم الطابق

العلوي المسمى بالمحرزية في سراية القصر السعيد واليه ترجع مزية تحبيس ذلك المصحف الكريم الموقوف على الزاوية وهذا المصحف نسخه الشيخ حمودة قميحه اشهر الخطاطين بتونس في زمنه . هذا وقد كان ولم يزل للزاوية المحرزية بين اهل تونس منزلة محفوفة بالاجلال والاحترام ناهيك انهم يسمون الشيخ محرز بسلطان المدينة وكان المضطرون يلتجأون لمنيع حماه وعلى قياسهم اصحاب الجرائم والمثقلة ظهورهم بالديون فيجدون هنالك مامنا ومهربا من الحكام (١)

---

(١) سئل الشيخ الجد من طرف المشير احمد باي هل يجوز غصب الاثيم الملتجي لزاوية سيدي محرز بن خلف على الخروج للحضور بين يدي القضاء فاجاب بان النصوص الفقهية تقتضي ذلك ولكنه لا يفتي به في زمنه لان من يلتجيء لدار احد القناصل يكون في منعة من الحكم واذا كان ذلك كذلك فبالاحرى والاحق مراعاة حرمة الزاوية المحرزية اه وبالتالي تنوسي التجاء الجناة للاحتماء بحرم الزاوية بسبب انتشار سلطان العدالة بين الخاصة والعامة ورسوخ قدم القانون وبسط جناحه على كافة السكان بحيث ان الالتجاء لاضرحة الصالحين صار غير معروف عند ابناء الجيل الحاضر وبقي بمحفوظي ان آخر جريمة لاذ صاحبها بضريح سيدي محرز بن خلف حدثت في حدود سنة ١٣١٦ اثر تاسيس المجالس العدلية تولى الوزير الشيخ محمد العزيز بوعتور فصل نازلتها باخراج الرجل المجرم من الزاوية المحرزية ودفعه لمجلس الحكم فكانت هي آخر عهد بالتجاء المجرمين لزوايا الصالحين بتونس

وتلك الزوايا هي زاوية سيدي محرز بن خلف والزاوية القادرية بالديوان والزاوية البكرية وزاوية سيدي احمد بن عروس وزاوية سيدي ابراهيم الرياحي وزاوية سيدي منصور بن جردان وزاوية السيدة المنوبية . واسمها عائشة بنت ابي موسى عمران ابن الحاج سليمان المنوبي وامها فاطمة بنت عبد السميع ومولدها بمنوبة . وزاوية سيدي فتح الله العجمي والمقام الشاذلي وزاوية سيدي علي بن زياد . يلتحق بها الاستشفاع بنعش صاحب كرسي تونس وكانوا يعتقون عليه عبيدة يوم مماته ويكتبون لكل منهم براءة في عتقه من الرقية فيجعلها في راس قصبة ويحملها في يده وهكذا يمشون في مقدمة جنازة سيدهم الى مواراته . قالوا ان ابا الثناء المولى محمود باي عند وفاته في سنة ١٢٣٩ عتق عليه ابنه المولى حسين باي الثاني مائة من العبيد الزنوج بين ذكور واناث ادركت واحدة منهم في ارذل العمر اطلت على ما وراء المائة وسمعت منها ما يؤكد ذلك بزيادة انها احتفظت بصك عتقها واوصت بدفنه معها لتكون عتيقة في الدنيا والاخرة (والاعمال بالنيات)

وكان الشيخ محرز بن خلف ممن انتهى اليهم علم الفقه ناهيك انه نظر في مسائل الخلاف بين اصحاب الامام مالك وكان من اهل الرحلة في طلب العلم. نقل الفقيه ابو بكر الصقلي ان الشيخ رضي الله عنه لما وصل الى مصر اراد اخذ علم القراءات على الشيخ ابن الاذفر اعلم علماء ذلك الفن في زمنه فلما اتاه واستفتح في القراءة جعل ابن الاذفر يتحدث مع رجل كان لجانبه فسكت الشيخ محرز فقال له معلمه اقرأ فاجابه بقوله وحي الله والحديث لا يجتمعان قال له شيخه قد صدقت وقطع الحديث. وقال ابو القاسم النحوي ما رايت ابا محفوظ (محرز بن خلف) لحن في شيء من كلامه قط فلا يتكلم الا كلام العرب. وكان مشهوراً بالفقه والعبادة وكان في شبيبته يعلم القرءان باريانه ثم انتقل لسكنى المرسى وبعد ذلك اشترى دارا بناحية باب السواقين وهي زاويته اليوم وصار يقري بها القرءان والفقه والحديث اه. وقال امام السنة الشيخ ابو بكر الباقلاني وقد ذكر عنده يوما ببغداد لو ادرك محرز السلف لكان خامس الاربعة يعني الخلفاء الراشدين اه. هكذا وقفت عليه بخط بعض الافاضل ويلوح ان الاولى تفسير اولئك الاربعة بايمة مذاهب السنة ابي حنيفة ومالك والشافعي وابن حنبل لا الخلفاء الراشدين الذين يتلوهم في مقدمة الصف اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل اوليائه واصفيائه

هذا وقد حفظ التاريخ مواقف مشهورة للشيخ محرز بن خلف مع الامير الصنهاجي باديس وابنه المعز وسياتي الكلام على ذلك. وممن ترجم له القاضي عياض في المدارك وخصه الشيخ ابو الطاهر محمد بن الحسن الفارسي بكتاب استوعب فيه ذكر فضائله وسيرته واخباره واحواله ومما ينقل عنه من الكلام الحكمي قوله : المؤمن ياكل ما حضر ويلبس ما ستر وياخذ ما صفي ويترك ما كدر. وكان يجيد نظم الشعر من ذلك قصيدته عبرة العبر التي قالها في رثاء مدينة قرطجنة نقل بعضها صاحبنا العلامة الفقيه الشيخ محمد النيفر في كتابه عنوان الاريب قال من مخمس مطلعه :

مررت بربع بالسراب تلفعا وطود جبال بالخطوب تصدعا

فقلت وقد اجرت جفوني ادمعا خليلي مرا بالمدينة واسمعا

مدينة قرطجنة ثم ودعا

وهي طويلة استغرقت نحو الخمسين بيتا في التخميس ومما ينسب اليه النظم المعروف بحرز الاقسام في التوسل طالعه

بدأت ببسم الله في اول السطر فاسماؤه حصن منيع من الضر

ولكن بعض العلماء نسب هذا النظم لغير الشيخ محرز بن خلف كما يستفاد ذلك من المجموع عدد ٣٧٥٩ المحفوظ بخزانة جامع الزيتونة حيث قال : يقول تقي الدين السبكي في آخر كتابه الدعوات لما كتبت هذه الادعية المنظومة تذكرت حرزا منظوما وضعه الشيخ الزاهد ابوعمران موسى الفاسي رحمه الله وسماه صاحب النظم المبارك حرز الاقسام لجميع العلل والاسقام اه وذكر مطلعه بنصه المنسوب للشيخ محرز بن خلف واذا اعتبرنا ان الشيخ ابا عمران موسى الفاسي (ترجم له في معالم الايمان) كان معاصرا للشيخ محرز بن خلف وكان في زمنه من اقطاب العلم والحديث بمدينة القيروان وعلمنا من جهة اخرى ان الشيخ محرز كانت له علاقة بتلك المدينة حيث ينزل قريبه الشيخ عبد الله بن ابي زيد صاحب الرسالة صار مما ليس بالميسور معرفة اي الشيخين كان هو الناظم لحرز الاقسام على ان النساخين على خلاف في عدد ابياته فبعضهم حصرها فيما دون الثمانين بيتا وبعضهم جمعها في ١٢٩ بيتا كالنسخة التي اشتمل عليها المجموع عدد ٣٤٤٦ المحفوظ بخزانة جامع الزيتونة وآخرون جعلوها في ٢٢٠ بيتا وعلى هذا العدد احتوت النسخة الموجودة بمكتبتنا وهي من مخلفات الشيخ الوالد وكان له المام واسع باخبار الشيخ محرز بن خلف واليه نسب حرز الاقسام وتوجد نسخة اخرى خطية من هذا الطلسم تجاوز عدد ابياتها الاربعمائة وهنالك نسخة اخرى تحتوي على نحو ٢٥٠ بيتا طبعت بتونس لعهد قريب وقد لاح لي أن اشدد البحث والتنقيب للكشف عن حقيقة امر هذا النظم بمراجعة الفهارس المطولة عساني اعثر على شيء مفيد في حق حرز الاقسام فلم تقف على اثر لذلك سوى ذكر اسمه «حرز الاقسام» بكشف الظنون بدون اي تعريف ثم وجدت ذكره بزيادة ايضاح في فهرس الكتب العربية الموجودة بالمكتبة الامبراطورية في مدينة صان بطرسبورج حيث نقل البيت الاول منه بنصه المعروف وقال ان عدد ابياته ٨٧ بيتا وزاد على ذلك قوله : انه ينسب لرجل يسمونه محرز بن خلف وانه توجد منه نسخة اخرى بخزانة الكتب العربية في مدينة برلين مرسمة تحت عدد

٩٤٦ اهـ ولم نجد له ذكرا ببقية الفهارس الاخرى التي بين ايدينا على كثرتها منها فهارس الاستانة ودمشق واسبانيا والجزائر وفاس وفهرس مكتبة راغب باشا وفهرس مكتبة المستشرق شفار وغير ذلك مما يطول ذكره ولكنني وجدت حروزا اخرى بفهرس مكتبة باريس الملية نذكرها هنا لان بعضها غير معروف بتونس : حرز البحري قال انه دعاء للحفظ عند السفر بالبحر قلت لعله هو حزب البحر المنسوب للامام الشاذلي وحرز الاماني ووجه التهاني قلت هو متن الشاطبية ومعه شرحه المسمى كنز المعاني وحرز التاجر نسبه للصحابي انس بن مالك رضي الله عنه وحرز الغاسلة لم يذكر اسم مؤلفه وانما قال ان صاحبه وضعه للحب وانه وجد برقبة امة من اماء هارون الرشيد كان الخليفة يحبها حبا جما فاختلسته غاسلتها عند موتها وعلقته بطوقها فاستهوت بذلك الخليفة وحرز الوزير لم يذكر اسم واضعه ايضا وقال انه موجود ضمن مجموع ادعية اسمه الجوشن (الجوشن في اللغة هو الصدر والورع والجوشن من الليل وسطه ويجمع على جواشن) وحرز الوقاية للحفظ نسبة للشيخ الاكبر محيي الدين بن العربي

ومن شعر سيدي محرز بن خلف في وصف الظلم والظالم بنقلنا عن كتاب المنتخبات التونسية

اذا ظالم قد عاهد الظلم مذهبا ... وجار غدوا في علو اكتسابه
فكله الى ريب الزمان وجوره ... سيبدي له ما لم يكن في حسابه
فكم ذا راينا ظالما متجبرا ... يرى النجم تيها تحت ظل ركابه
فلما تمادى واستطال بجوره ... اناخت صروف الحادثات ببابه
وعوقب بالذنب الذي كان يجتني ... وصب عليه الله سوط عذابه
فلا فضة تحميه عند انفضاضه ... ولا ذهب يثنيه عند ذهابه

ومن شعره في وصف الدنيا وتقلباتها

ابدت لنا الدنيا زخارف حسنها ... مكرا بنا وخديعة ما فترت
وهي التي لم تحل قط لذائق ... الا تكدر طعمها فتمررت
خداعة بجمالها ان اقبلت ... فجاعة بزوالها ان ادبرت
رهابة سلابة لهباتها ... طلابة لخراب ما قد عمرت

فاذا بنت امرا وتم بناؤها نصبت مجانقها عليه فدمرت
ماذا من الامم السوالف اهلكت لو انها نطقت بذاك لاخبرت
طلابها في غفلة من حبها علقت بها البابهم فتحيرت

اما مناقب الشيخ محرز وكراماته فحدث عن البحر ولا حرج ومن الاسف ان اخباره بقيت حتى اليوم مشتتة بالدواوين والمجاميع والكناشات ولم تبرز لعالم الظهور في كتاب مستقل لاشهار فضائله الدينية وحسناته الاجتماعية بين كافة الطبقات لانه كان من الرجال الصالحين ومن كبار المصلحين الذين كانت لهم يد عاملة في شئون العمران بتونس ناهيك ان من حسناته في مقام المشاريع الانسانية حماية اهل الذمة بما جوزته الشريعة المطهرة قالوا انه هو الذي رخص لليهود بالسكنى في كنف رعايته قريبا من داره بالحارة الاسرائيلية التي تحولت لقصور في هذا الزمان وكان اليهود في ذلك العهد لا يدخلون مدينة تونس الا في النهار واما مبيتهم ومساكنهم فانها كانت بالملاسين . وفي الخلاصة النقية ان وفدا من اليهود دخلوا لافريقية في اواسط المائة الرابعة . مما يدل وان بني جلدتهم كانوا في عيش هنيء يومئذ بتونس الامر الذي مكن اخوانهم من يهود البلاد الخارجية ان يلتحقوا بيهود الديار التونسية ومهاجرة اليهود من البلاد الاجنبية للبلاد التونسية تكررت مرارا في بحر القرون الوسطى وفي القرون المتاخرة وكانت وفود اليهود القادمين من اسبانيا لتونس متعاقبة فيما بين القرن الثامن والقرن الحادي عشر كلها قدم وفد من مسلمي الاندلس لشمال افريقية اعقبهم وفد من اليهود الاسبانيين . واخر وفد من اليهود جاءوا لتونس هم يهود نابلي من اعمال ايطاليا حيث كانوا يسومونهم سوء العذاب في القرن السابع عشر للميلاد وهاهم اليوم من جديد بحالة اضطهاد في اروبا الوسطى وفي ايطاليا فقد صادروهم في املاكهم وحرموا عليهم الالتحاق بابناء البلاد

هذا وقد اثبت التاريخ ان الشيخ محرز بن خلف كانت له شهرة عالمية ومما رايت له في ذلك ان امراة جاءته مستغيثة بجاهه ليخلص ابنا لها سقط في اسر الروم فقال لها الشيخ اني لا اعرفهم فالحت عليه في الطلب فقال بسم الله وكتب مكتوبا لامبراطور القسطنطينية العظمى في طلب تسريح ذلك الاسير فلما وصل المكتوب للامبراطور اطلق ذلك الاسير واحسن اليه . وكان سلاطين ءال عثمان يصدرون

الفرامانات لولاة تونس في الوصاية خيرا بآل الشيخ محرز بن خلف ويامرونهم باعفائهم واتباعهم من الضرائب والمجابي وهذه المراسيم السلطانية تقدمها صدور ظواهير كثيرة بمعناها من الامراء الحفصيين ومن امراء صنهاجة منها ظهير اصدره المعز بن باديس في رعاية الشيخ واحترام جانبه وتحرير اهله واتباعه ومنسوبيه من الضرائب الدولية وستاتي عبارة هذا الظهير الذي نعززه بمكتوب صدر من الشيخ محرز بن خلف للامير باديس والد المعز المشار اليه فقد ورد على الشيخ احد تلاميذه من طلبة العلم مستجيرا به من مظلمة اصابته من باديس فقال الشيخ الله المستعان واخذ قرطاسا وكتب :

من محرز بن خلف الى باديس بن المعز حقق الله الحق في قلوب المؤمنين من عباده ونقل المذنبين الى ما افترض عليهم من طاعته انا رجل عرف كثير من الناس اسمي وهذا من البلاء وانا اسال الله ان يتغمدني برحمته وفضله وربما اتى المضطر يسال الحاجة فان تاخرت خفت وان سارعت فهذا اشد وقد ورد علي رجل يزعم انه طلب في دراهم ظلما وليست عنده فاعمل على رضاء ما لا بد لك من لقائه واستحي ممن بنعمته وجدت لذاذة العيش ولا يغرك توالي زخارف الدنيا عليك ولا تعادي من انت محتاج اليه وحاذر بطانة السوء فانهم ياكلون دراهمك ويقربون من النار لحمك ودمك وشاور في امرك من يتق الله فهو حسبه ان الله بالغ امره قد جعل الله لكل شيء قدرا خف من لا يحتاج الى عون عليك بل لو شاء اتلافك اخرجك عن نفسك حتى يكون هلاكك على يدك سالم تسلم انت على رحيل فخذ في الزاد والسلام اه فلما وصل الكتاب الى باديس قال هذا كتاب صديق الله وامر بكتب سجل في تحرير كافة طلبة العلم ورفع المظالم عنهم نقل ذلك القاضي عياض في المدارك. اما الظهير الذي اصدره الامير المعز بن باديس في رعاية الشيخ وتكريمه وذريته وكل من انتسب اليه فهذه عبارته :

هذا ظهير كريم من القائم الناصر لدين الله المعز بن باديس للشيخ الصالح الكبير القدر محرز بن خلف قصد به وجه الله العظيم ورجاء ثوابه الجزيل العميم وما امر به السلف المتقدم من اكرام اهل العلم والدين واليقين لان من تبع طريقتهم خلص من الشك واقتدى واخرج من الضلالة الى الهدى وانقذ من الجهالة والردى

فان القصد يئول الى معرفته واثبات وحدانيته وتحقيق حقائق ربوبيته ويحافظ على اوليائه وقد ذكر الله العظيم في كتابه وتنزيله الكريم الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقال تعلى فاسالوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون فقد اعلى درجتهم ورفع منزلتهم واسبغ عليهم نعمه وضاعف لهم مواهبه ووعدهم برحمته فقال عز من قائل يؤتي الحكمة من يشاء ومن اوتي الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا فانتم افضل اوليائه ومعدن اصفيائه واتقيائه لان الله تعلى جعل من عرف وتبصر وفتح على باطنه وقلبه بخصوصيتكم فقد افلح وانجح فالله تعلى يمن على من يشاء من عباده ويختص من يشاء بخصوصيته وقد جعلكم من اهل خاصته بالعلم والعبادة والورع والزهادة ولحظكم بجميل ملاحظته فانتم اغصان بسقت وفروع شجرتها التي غرست في اطيب تربة ثم سقيت باعذب الماء وعذارها الهواء من الارض الى السماء ثم نقلت الى الحضرة السعيدة فاقتضى النظر بهذا الظهير لجماعتكم وحفظكم ورعايتكم وحمايتكم واجمال عشيرتكم وحسن معاملتكم وتحذير الايدي الممتدة الى اساءتكم واهلكم واموالكم ورباعكم بحاضرة تونس وباديتها وشركائكم واتباعكم ومن عرف بكم وانتسب الى نسبتكم وءاوى الى جنابكم وترفع الايدي عن زرعكم في قرية او سانية وقرية الفول والخضراء ومنزل خارجه وقرية الحمام وما اضيف لتونس وحرم دياركم وسويقتكم ورفع الايدي عن الاعتراض عليكم في دخول النساء الى حمامكم ومحلكم وحوانيتكم وتسريح اعشاركم على فرط رسمكم وجري عادتكم طائعين لجميع ذلك لما تضمنه هذا الظهير فلا يغيره مغير عليكم ولا يدركه مدرك لديكم ولا يخيل عليكم فيه مخيل ولا يطاول فيه متطاول فمن وقف عليه من العمال وسائر الولاة فليعمل على ذلك الامر القائم لله والناصر لدينه وليعمل به ممتثلا لشروطه وامره ان شاء الله تعالى واقفا عند حدوده وزواجره غير عاجل لنفسه بالعقوبة لمخالفته او مخالفة شيء منه ان شاء الله عز وجل والسلام والرحمة والبركة من راقمه في اشرف الربيعين سنة ٤١٠ اه

واعلم ان لاهل تونس عقيدة صميمة في الشيخ محرز بن خلف سواء في ذلك الرجال والنساء ويكثرون التردد على مقامه للزيارة والدعاء والدعاء جائز شرعا في مظنات الاجابة التي منها مقامات الصالحين ومن شواهد تبرك اهل تونس بالشيخ

محرز بن خلف ان الكثير من اهل البيوت الكبيرة اذا عقدوا لبناتهم يتوجهون بالعروسة لزيارة مقام الشيخ قبل دخول زوجها عليها وبمثل ذلك جرت عادتهم عند ختن الصبيان فانهم يتوجهون بالصبي المراد ختنه ويسقونه غرفة ماء ويغسلون وجهه من بير الزاوية وقد تضمن التاريخ التونسي حديثا لهذه البير في واقعة تعرف بواقعة جماعة البقال حدثت في دولة المرحوم الباشا مصطفى باي وصورتها على ما نقله المؤرخ الوزير الشيخ احمد بن ابي الضياف ان بعض اهل تونس لم يرضوا اذ ذاك باحداث النظام العسكري الذي ابتداه المرحوم حسين باي في اواخر دولته (١٢٤٧) واستمر اخوه مصطفى باي من بعده على اتمامه فتوجهوا لزاوية سيدي محرز بن خلف وتعاهدوا على مناصرة بعضهم بعضا وكل من انضم لهم يقدم مثلهم للزاوية المذكورة ويشرب من البقال المملوء من بيرها كناية عن موافقته ودخوله في الاعتصاب وتمت النازلة بتشتيت اولئك الجماعة مع تكسير البقال ولله في خلقه شئون

وقد جرت العادة من قديم اقامة شيخ للزاوية المحرزية ولا يكون الا من حفدة سيدي محرز بن خلف ومن اشهر من تولى هذه الخطة في الزمان الماضي الشيخ عبد الواحد المحرزي وهو الجد الجامع لطبقات الذرية الموجودين لهذا الزمان توفي في سنة ١٠٢٢ وخلفه ابنه الشيخ محمد في مشيخة الزاوية بالفرمان السلطاني (١) هذا ومعلوم ان للزاوية المحرزية اوقافا وارزاقا جارية فهذه الاوقاف تديرها في هذا

---

(١) نص تعريب هذا الفرمان المصدر بطغراء السلطان الغازي احمد خان الاول :

حكم هذا الفرمان العالي الشان السامي المكان السلطاني والطغراء الغراء لفاتح الافاق الملوكاني المنصور بالعون الرباني هو انه لسبب وفاة عبد الواحد المتصرف بطريق الاولوية على زاوية السيد محرز ابن خلف الواقعة بتونس وانحلال مقامه اعطيت تصدقا هذه البراءة المسعودة الايات لمن هو من اكبر الاولاد ومستحق من جميع الجهات قدوة الصلحاء السالكين وعمدة الاتقياء الواصلين رافع التوقيع الملوكاني وناقل الرسم البليغ السلطاني الشيخ محمد زيد تقواه وامرت ان يكون الشيخ محمد الموما اليه متصرفا بعد اليوم على الزاوية المزبورة مراعيا لقوانين تصرفها المرعية من القديم لئلا يكون فرد من الافراد مانع او دافع او رافع او منازع او مبدل رسم عليه طغراء ال عثمان الشريفة . تحريرا في اواسط شهر ذي الحجة الحرام سنة الاثنين وعشرين والف من الهجرة النبوية اهـ.

الزمان جمعية الاوقاف صونا لحقوق ذرية الشيخ تقسم بينهم على نسبة مناب للعزب ومنابين للمتزوج ومن حقوقهم ايضا التمتع بفتوحات الزاوية وهي في الزمن الحاضر قليل من كثير بالنسبة لما كانت عليه في الزمن الماضي وهذه الفتوحات التي لها نظائر كثيرة ببقية الزوايا التونسية طالما اثارت الشقاق والتنازع بين من يدعي استحقاقها وبين من لا حق لهم فيها ولقد وقفت في هذا المقام على فتوى شرعية لعمنا شيخ الاسلام ابي الثناء الشيخ محمود بن الخوجه ننقلها هنا من كناشه قال رحمه الله :

سئلت عن الفتوحات التي للزوايا ما حكمها فاجبت مستعينا بالله :

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على من فتحت بمعراجه الشريف ابواب السماوات وعلى اله واصحابه سادات الايمة وايمة السادات وبعد فالجواب عن المسألة هو ان هذه الفتوحات يحكم فيها العرف والعادة فاذا جرت العوائد باختصاص الشيخ المتولي بها فلا يزاحمه غيره فيها واذا كانت العادة جارية بخلافه كان صرفها لكل من ثبت اتصاله شرعا بصاحب الزاوية فيعمل بذلك وسند هذا الفقه ما في البحث الثاني من القاعدة السادسة من الاشباه ونصه : ومنها ما في وقف القنية بعث شمعا في رمضان الى المسجد فاحترق وبقي منه ثلثه او دونه ليس للامام او المؤذن ان ياخذه من غير صريح الاذن من الدافع ولو العرف في ذلك الموضع ان الامام او المؤذن ياخذه من غير صريح الاذن في ذلك فله ذلك ونقل العلامة ابن عابدين هذا الفرع في غير ما موضع من كتابه وسلمه واستنبط منه احكاما وهو الفيصل في المسألة ان شاء الله تعلى قاله وافتى به محمود بن الخوجه في ليلة معراجه صلى الله عليه وسلم عام ١٣٠٥ اهـ. وهذا الفقه يوافق ما ورد في السنة فقد نقل الشيخ محمد قويسم في كتابه سمط اللآل (١) (جزء ٤ صفحة ٢٥) ما ياتي : لما دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم مفتاح الكعبة المشرفة الى عثمان بن ابي طلحة بن ابي شيبه يوم فتح مكة قال له خذها خالدة تالدة لا ينزعها منكم الا ظالم يا عثمان ان الله

---

(١) هو كتاب جليل مخطوط احتوى على عشرة اجزاء في القالب الكبير لا توجد منه الا النسخة الوحيدة المحفوظة بخزانة جامع الزيتونة وهذا الكتاب هو اكبر موسوعة معروفة لمؤلف تونسي في السابق واللاحق

استأمنكم على بيته فكلوا مما يصل اليكم من هذا البيت بالمعروف اهـ. فقد علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الناس تهادي بني شيبة لذلك قال لهم كلوا وعلى قياسه الفتوحات لصاحب الزاوية فانه ياكل منها اذا كان بالمعروف اهـ. بلفظه

٦

الجامع الجديد

خطبته هي الخامسة عشرة في سلسلة جوامع الخطبة بتونس وامامه في هذا الزمان الشيخ احمد بن مراد المفتي الحنفي الشرفي

هذا الجامع (١) بناه المقدس المبرور المولى حسين باي بن علي تركي جد البيت الحسيني الرفيع الشان الراسخ الاركان وكان تمام بنائه في سنة ١١٣٩ قال

---

(١) لم نتعرض اثناء هذا التأليف عند الكلام على بيوت العبادة الموجودة لهذا الزمان بمدينة تونس للتعريف بغير جوامع الخطبة التي جاء ذكرها في هذا الباب الثاني من الكتاب وفي الباب الاول منه ولكن المبرة الجليلة والحسنة الخالدة التي قام بها فرع مؤسس البيت الحسيني صاحب الجامع الجديد المذكور اعلاه ولي النعم سيدنا ومولانا احمد باشا باي الثاني من احياء جامع الخطبة بالمرسى تحملني على توسيع المجال في هذا المحل لضم اسمه الشريف وصنيعه المنيف لصنيع جده الاعلى المولى حسين بن علي قدس سره فقد انفق حفيده السعيد اطال الله حياته الف الف من حر ماله في تجديد عمارة جامع مرسى جراح الذي احياه بعد اندراسه والده المقدس المبرور المولى علي باي الثالث في سنة ١٣٠٧ وهذا الجامع من بقايا الدولة الحفصية احدثه السلطان ابوعبد الله محمد بن الحسن في اوائل المائة العاشرة على مقربة من قصور العبدلية الموجودة بقيتها قائمة الذات لهذا العهد في جملة الاثار العربية المحتفظة بها ادارة الاثار القديمة والفنون المستظرفة. وقد تولى سيدنا ومولانا احمد باشا باي نضر الله وجهه فتح هذا الجامع عند تمام عمارته في موكب مشهود عقده يوم الاحد في ٢١ رجب ١٣٥٦ بحضور عال بيته ووزرائه واهل بلاطه وشيوخ المجلس الشرعي واهل العلم بالمذهبين والايمة والاشراف فجلس ابقاه الله بمحراب الجامع وحوله اولئك الذوات وافتتح المجلس بترتيل آيات الذكر الحكيم قام بذلك جماعة القراء ثم تولى امام الجامع الفقيه الابر الشيخ الحاج احمد البناني قراءة قصة المولد الشريف للامام البرزنجي وختمها بخطاب نفيس من انشائه تضمن تاريخ نشأة هذا الجامع ثم

المؤرخ الشيخ احمد بن ابي الضياف : ومن مآثر هذا الباي جامعه المعروف بالجامع الجديد ومدرسته وتربة جواره واول صلاة أقيمت به ظهر يوم الاحد الرابع عشر من شعبان سنة ١١٣٩ وحضر الجماعة بنفسه واول خطيب به العالم الفقيه ابو العباس احمد بن مصطفى النميشي الحنفي ورتب به دروسا اربعة واول مدرس به العلامة الفاضل ابو العباس احمد بن محمد بن احمد الشريف امام جامع دار الباشا واوقف على ذلك اوقافا نافعة اه بلفظه ولكن بالوقوف على رسم الموقوفات التي وقفها المولى حسين بن علي على جامعه هذا رايت انه رتب به مدرسا حنفيا واشترط ان يكون الطلبة من الحنفية ورتب بمدرسة هذا الجامع مدرسا مالكيا واشترط ان يكون طلبتها من المالكية ورتب للجامع ارزاقا واشترط ان يكون امام الجامع هو خطيبه وان يكون من الحنفية صدر منه ذلك في اواسط حجة سنة ١١٤٢ وهذا لا ينافي بناء

رطب لسانه بالدعاء للمولى الامير والحاضرون يؤمنون على دعائه وبعد ان تلقى سموه ابقاه الله في محراب الجامع مراسم التهاني والادعية الصالحة من شيوخ المجلس الشرعي عقد ابقاه الله موكبا جليلا بسرايته لقبول التهاني من اهل الدولة ثم من مشائخ التدريس بجامع الزيتونة يتقدمهم فضيلة شيخ الجامع ثم بقية من حضر الافتتاح من الخاصة والعامة ولقد تسابق العلماء لنظم القصائد الفاخرة فى تحبيذ هذا الصنيع المشكور مما قامت بنشره صحف تلك الايام من ذلك قصيدة فريدة رسمت بالنقش فوق باب الجامع من درر منظوم العلامة الاستاذ الشيخ الصادق المحرزي الحنفي ونصها :

لله هذا المسجد الاسنى الذي ... قامت على تقوى الآله دعائمه
قد كان بيتا للعبادة من بني ... حفص ثوت ءاثاره ومعالمه
احياه سيدنا علي الباشا الذي ... قد خلدت بين الملوك مكارمه
فأقيمت الصلوات فيه اعصرا ... وبدت عليه من القبول علائمه
وتضايقت بالقانتين رحابه ... واشتد في وقت الصلاة تزاحمه
فاستيقظ الملك المعظم احمد ... وقوت على الفعل الجميل عزائمه
خير الملوك ديانة وثقافة ... ومن الذي في المكرمات يزاحمه
فأشاد من بنيانه ما قد ترى ... وتضاعفت ساحاته ومراسمه
ناهيك من عمل لربه خالص ... لا تنقضي حسناته ومراحمه
عنوان فضله جاء في تاريخه ... قامت على تقوى الآله دعائمه

الجامع قبل ذلك بثلاثة اعوام ورايت ايضا بدفتر موقوفات الجامع المتحدث عنه ان المولى محمد الرشيد باي بن مؤسس هذا الجامع اضاف لاحباس والده تحابيس اخرى لفائدة هذا البيت المبارك صدر منه ذلك في عام ١١٧١ ومما لا خلاف فيه ان المولى حسين بن علي بنى هذا الجامع من حر ماله لا من صندوق بيت مال المسلمين وصرف في تنميقه وتزويقه اموالا طائلة حتى انه تكلف بجلب الزليج البديع الصنع واللون من بلاد الترك لكسو جدرانه ولقد تطولت يد اثيمة في اوائل هذا القرن لسرقة الكثير من ذلك الكسو الجميل بالقلع والبيع لبعض ملتقطي الاثار العربية من الاجانب وهذا السلوك الممقوت يدلك على صحة قول عمر رضي الله عنه « ان الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرءان » لان الوازع الديني وحده لا يمنع المسلم الفاسق من ارتكاب الفواحش ما ظهر منها وما بطن - ونتذكر ان بعض اوباش المسلمين كان سرق نعشا من مسجد وصنع من خشبه قباقيب للاتجار فيها واختلف في الثمن مع بعض المبتاعين ونشات بينهما خصومة افضت للكشف عن مصدر خشب القبقاب المتنازع فيه وءال الحال لسجن سارق نعوش الاموات - وختم الحديث بهذا الجامع ينعقد في اليوم الثالث والعشرين من شهر رمضان

٧

جامع صاحب الطابع

خطبته هي السادسة عشرة في سلسلة جوامع الخطبة بتونس وامامه في هذا الزمان المدرس الشيخ الحاج علي بن الخوجه

وهو سابع الجوامع الحنفية وآخرها عهدا اسسه الوزير صاحب الخيرات ابو المحاسن يوسف صاحب الطابع(١) في سنة ١٢٢٩ واول صلاة اقيمت به فريضة الجمعة الموافقة

---

(١) اصله من صقالبة البغدان اشتراه احد التجار في البن بالاستانة فابتاعه منه القائد بكار الجلولي عامل صفاقس واهداه للباي حموده باشا يوم بيعته في حياة ابيه فقربه منه نجيا وعهد له بمباشرة طبع المراسيم الملكية لذلك لقبوه بصاحب الطابع وكان من اهل البر والمعروف ملك قلوب الرجال بالاحسان والوفاء بالعهد رسخت قدمه بدولة متبوعه المولى حمودة باشا فكان هو لسانه وساعده الايمن الامر الذي نشات عنه

ليوم المولد الشريف من ذلك العام حضرها متبوعه الباي المولى حموده باشا واهل دولته وشيوخ العلم ورجال الشريعة واول خطيب به الشيخ محمد بيرم الثالث (١) . ومن مدرسيه اذذاك الشيخ محمد الفاسي اقرا به تفسير القاضي البيضاوي والشيخ ابراهيم الرياحي اقرا به شرح القسطلاني على صحيح البخاري والشيخ الجد اقرا به تذكرة القرطبي في الحديث والشيخ احمد العوادي كان يقري به الفقه المالكي والشيخ صالح السنان كان يقري به علم التجويد وكان بـه اربع خزائن مشحونة بنفائس الكتب المخطوطة باليد ذات قيمة لا تدرك وبالجملة فان يوسف خوجة لما احدث جامعه اقام به هيـاة علمية لتدريس علوم الدين كانت هي البذر العلمي الاول بحاضرة تونس في القـرن الفائت ولك ان تقول مقدمة النهضة العلمية الواسعـة التي خلـدت الذكر الجميل للمشير احمـد باي الاول بجامـع الزيتونة كما سبق بيـانه فلما قتل يوسف خوجة غدرا في ثاني عشر صفر ١٢٣٠ ومثل به بمكيدة دبرها منافسه الوزير ابو عبـد الله محمـد زروق حاول هـذا الوزير اطفـاء ذكره

حزازات في صدور منافسيه فدسوا له عقارب السعايات وكان اقواهم حركة في ذلك السبيل الوزير محمد العربي زروق وهو الذي دبر مكيدة الفتك به في عهد المولى محمود بـاي وقد تضمن كتاب مراسلات بايـات تونس مع ملـوك فرنسا للمـؤرخ بلانطي احاديث ووقائع كثيرة بخصوص سياسة يوسف خوجه وسلوكه نحو الاروباويين لم يتعرض لها المؤرخ الشيخ احمد بن ابي الضياف ولا غيره من المؤرخين التونسيين ومن اكثر من كتب في حقه من الفرنسويين المـؤرخ روصو فنصل فرنسا بتونس فقد حكى تاريخ حياته مع تفاصيل مقتله واسبـابه ولعهود متاخرة نشر البحاثة منشيكور المراقب المدني كان بتونس كتابا جامعا في احوال الدولة الحسينية تضمن شتى الاخبار المتعلقة بهذا الوزير ولكن يستفاد من بعض نقول المؤرخين الاروباويين ان يوسف خوجه كان يعمل لمصالحه وتنمية ارزاقه الواسعة وربما كان في نيته قلب نظام الدولة لفائدته الشخصية

(١) قال الوزير ابن ابي الضياف ان الشيخ محمد بيرم الثاني لما ورد عليه الظهير الملوكي الصادر في ولاية ابنه الشيخ الثالث امامة هذا الجامع قال لمن جاءه بالظهير الله اكبر ! ابن الشيخ صالح الكواش يصرف عن خطة الاشهاد وابن محمد بيرم الذي لم يتجاوز اسمه هذه الحفرة (اي حفرة تونس) يولى الامامة فكان هذا التوجع الادبي سببا لعطف الحكومة يومئذ على ابن الشيخ الكواش ورد امر الاشهاد اليه اه

بابطال تلك الدروس التي اسسها المرحوم يوسف خوجة بجامعه ونقل الكتب الموقوفة على الجامع معتلا بان بعد هذا الجامع عن مدارس الطلبة يقضي بنقل تلك الدروس وتلك الكتب لجامع الزيتونة وجمع لذلك اهل العلم وشاورهم فيه فعارضه الشيخ ابراهيم الرياحي بقوله « أي فائدة شرعية في هذه النقلة وان اردتم اطفاء ذكر الرجل فلك ذلك بمقتضى المنافسة والاولى ان المنافسة تنتهي بالموت هذا ما يليق بشرفك ايها الوزير اه فاحجم الوزير زروق عن الكلام واعرض عن مطلبه

ولقد احتوت مكتبتنا على زمام اشتمل على جميع الرباع والعقارات التي وقفها يوسف خوجه على هذا الجامع استغرقت اكثر من خمسين صفحة في بيان تلك الموقوفات بتونس واعمالها واكثرها بالجهات الزراعية المشهورة بالخصب منها بحائر وادي مجردة ومما تضمنه هذا الزمام بيان ما خصصه المحبس من الجرايات لمن يناط بهم القيام بالشعائر به في زمنه فكان مناب الامام ثلاثة ارباع الريال في اليوم بزيادة ربع ريال في مقابلة درس يقوم به في الفقه الحنفي وللخطيب في يوم الجمعة والعيدين ست خرارب ولامام صلاة التراويح عشرين ريالا عن كامل شهر رمضان وللباش خوجه ربع ريال في اليوم وللقاري على الختمة خروبتان في اليوم وللمؤذن مثله ولكل واحد من الوقادين ثمانية نواصر في اليوم ولشيخ درس التفسير ست خرارب في اليوم ومثله مدرس الحديث ولمدرس علوم الشريعة ربع ريال في اليوم كما اشترط في عقد التحبيس اجراء جرايات يومية لطلبة المدرستين اللتين احدثهما جوار الجامع وجعل لوكيل الاوقاف ريال في اليوم ومثل ذلك لكل من شيخي المدرستين واعتبر كون اكثر الطلبة من المذهب المالكي فأسس لهم درس فقه على مذهبهم واشترط ان يكون من مختصر خليل او من مختصر ابن الحاجب او من كتاب التهذيب للبراذعي واسس زيادة على ذلك احزابا دورية حول العام مع احزاب اخرى بمناسبة المواسم الشرعية صدر منه هذا التحبيس في ١٣ شعبان ١٢٢٨ ومما تقدم يسهل علينا فهم اشتهار جامع صاحب الطابع بالثراء لكثرة الاحباس الموقوفة عليه وهذه الموقوفات عززها المولى حسين باي باحباس معتبرة الحقها باحباس الوزير يوسف خوجة من ذلك « جميع السانية المشجرة زيتونا الكائنة بالهنشير المعروف بالاحمر جوار وادي مليان وتعرف بسانية المرساوي حبسها على يد الشريف ابي

الحسن علي مهاود شيخ ربض باب السويقة واشترط اقتسام ارباعها اثلاثا ثلث للقاري على الختمة وثلث لخوجات الجامع وثلث للمؤذنين به » الى ان قال « وقف على جميع ذلك كله شهيداه حضر الآن شهيداه لدي سيدنا ومولانا السلطان المقرر على ملكه المذكور واشهدهما بانه حبس وابد ووقف جميع السانية المقررة على ملكه المحدودة المذكورة اعلاه بجميع ما لها من الحقوق والمنافع على القاري الذي يقرأ في الختمة الموضوعة فوق الكرسي الموضوع داخل الجامع الجديد الذي انشأه خديمه وتابعه المرحوم برحمة الحي القيوم السيد ابو المحاسن يوسف خوجة » ولقد تضمن رسم هذا التحبيس امرا غريبا وهو ان ذلك التحبيس صدر من المولى حسين باي المذكور في الرابع من حجة عام ١٢٣٠ مصدرا بقوله « الحمد لله بعد ان استقر على ملك سيدنا ومولانا الملك المظفر والهمام الاظهر كهف الانام وملاذ الخاص والعام وحامي بيضة الاسلام من عم عدله الدنيا على تباعد اقطارها وشمل نداه رعيته على اختلاف السنتها وتنائي امصارها وديارها وسبحت في بحار السعادة سفن خيراته وطلعت في الخافقين شموس فضله ومبراته حتى عم نواله النازح والداني وجلل حلمه البائس الجاني سيدنا ابي عبد الله حسين باي لا زالت عين الله به محيطة مؤيدا بالنصر على جميع البسيطة ورايات (١) عزه خافقة منشورة وراية عدوه كئيبة مهزومة مدحورة ءامين جميع السانية المشجرة زيتونا الخ » فهذا التحبيس صدر منه كما تقدم ذكره في شهر ذي الحجة ١٢٣٠ بعبارة يفهم منها بدون التباس انه كان في ذلك الزمان ملكا على تونس والحال انه لم يكن كذلك لان امير ذلك العصر هو والده المقدس المولى محمود باي الذي دام جالسا على اريكة الملك من تاسع محرم سنة ١٢٣٠ الى ٢٨ رجب ١٢٣٩ ولم نر وجها في ذلك سوى ما اشتهر بين الناس في تلك الايام واثبته التاريخ من ان الباشا محمود باي الذي تولى الملك بعد ان بلغ الستين كان يستعين باكبر بنيه على مباشرة احوال الدولة ويكتفي بما يجريه هذا الابن النشيط من الاعمال في امور الرعية وما يقوم به من التدابير في المهمات والشئون العامة حتى صار الناس ينسبون له جميع ما يصدره من الاوامر والنواهي باسم والده المولى محمود باي ناهيك انه تنازل له عن الحكم ءاخر حياته واطلق يده بالولاية والعزل

(١) الراية التونسية الحمراء الموجودة لهذا الزمان من مخترعات هذا الباي رحمه الله

ولنرجع بك لحديث الجامع بالذات فنقول ان هـذا الجامع لما تم بناؤه انهـل ودق الادبـاء بتواريخه وتهنئة صاحبه من ذلك قصيدة لعـالم العصر وبركة المصر الشيخ ابراهيم الرياحي اثبتها حفيده بكتاب تعطير النواحي ومطلعها :

ذكر جميل يوسف قد جدده ... وذخيرة في الصالحات مخلـده
ذا الجامع الحسن الذي هو جنة ... لولا رسوم الدين فيه مردده

ومنها قوله

بيت على التقوى تاسس والرضى ... فابو المحاسن بالرضى ما اسعده

وبيت التاريـخ

فاشكر له واسال وقل متعجبا ... ومؤرخـا لله مـا قد شيـده

١٢٢٩

ومما قـال شيخ الاسلام الشيخ محمد بيرم الـثاني في تهنئة الوزير يوسف خوجه بجامعه

هنيئا لادراك المنى والرغـائب ... ونيل الذي املتـه من مطالب
باتمام هذا الجامع المفرد الذي ... بـدا كسماء زينت بالكواكب
فجاد على ما قدر الفكر هيكلا ... عظيما يرى اعجوبة في العجائب

ويلوح ان الشيخ محمد بيرم الثاني قدس سره كان عليما باحوال زمانه اذ هو لم يغفل عن تهنئة المولى حموده باشا بمناسبة بناء هذا الجامع الذي تم في عصره السعيد فقد كتب له في ذلك مكتوبا بديعا نثرا ونظما اشار له الوزير الشيخ احمد ابي الضياف في تاريخه ولم ينقل عبارته ونحن نثبتها هنا بالنقل عن احد كناشات سلفنا رحم الله الجميع ونص المكتوب :

ادام الله سبحانه المجلس العالي مبلغ الاماني متوالي التهاني صادرا عنه من المآثر الحسان ما هو غرة في وجـه الزمان يتناقل حديثه الركبان لاقاصي البلدان بعـد اهداء ما يليق من سلام وانهاء ما يناسب من اجـلال واعظام فليهن مولانا ببلـوغ الامل من تمام العمل في هذه المكرمة التي ابداها مجده واطلعها سعده ويسرها انعامه وسهلها اهتمامه ءاية دالة على عظم دولته وكبر همته اذ هي في الحقيقة له منسوبة وفي حسناته محسوبة لا زالت دولته الغراء تبدي غرر المآثر مصداقا لمثل كم ترك الاول

للاخر ولما علم النظم ما يحصل لهذا النثر باصغاء مولانا اليه من شرف الاقبال اراد ان يضرب معه في ذلك بسهم فقال :

اهني بهذا الجامع الشامخ القدر ... جمال العلا حمودة النافذ الامر
امير اذا عد الملوك رايتهم ... نجوما وكان البدر في وسط الشهر
ولا عجب ان فاقهم وهو منهم ... فان الليالي بعضها ليلة القدر (١)
له المآثرات الغر والهمة التي ... غدت في التعالي دونها قمة النسر
وقد أنبأت ءاثاره عن علوها ... ومن تلك هذا المعبد الواضح الفخر
تعلقت الامال منه بوضعه ... مباشرة من رام تنفيذ ذا الامر
وما كان يعزى في الامور لتابع ... فذلك للمتبوع حقا بلا نكر
فحق هنا المولى بمكرمة اتى ... بها مجده تبقى الى ءاخر الدهر
وحق عليه منه لما توضحت ... جلالتها قسط عظيم من الشكر
اطال إله العرش في العز عمره ... ووفقه للخير في السر والجهر
بحرمة خير المرسلين ومن له ... صفا حالة مع ربه من اولي السر
وما غاب عني ان سعيي واجب ... لهذا الهنا لكنني بين العذر

والله تعلى يطيل بقاء هذه الدولة الغراء ويجمع لصاحبها بين خيري الدنيا والاخرى ومعاد السلام من الداعي لها بذلك محمد بيرم هداه الله تعلى لاوضح المسالك اه

قال في تاريخ الشيخ ابن ابي الضياف ان يوسف خوجه لما اتم جامعه اوقف به اربعة خزائن من الكتب ودفع ناضا لوكيل اوقاف الجامع ما يلزم الجامع من المصروف عن مدة عامين وكان هذا الجامع سببا لاصلاح غيره من الجوامع وكان المباشر لهندسة بنائه العريف الحاج ساسي بن فريجه وطلب له من الاجر قبرا بسقيف الجامع عند حضور اجله والاعمال بالنيات

ومن نكايا الايام ان يوسف خوجة قتل قبل اتمام صومعة جامعه لذلك تراها حتى اليوم جذعاء كجسد بلا راس ولم يقدم احد من الملوك على الامر باتمامها نظرا

(١) كانه اقتبس هذا المعنى اللطيف من قول الشاعر

وان تفق الانام وانت منهم ... فان المسك بعض دم الغزال

لما جرت عليه العادة في تونس من ان البناء الذي لم يتم في حياة صاحبه يتشاءم الاحياء باتمامه لكونه قطع في نظرهم خط السير بمؤسسه وهي عقيدة سخيفة لا تحتاج سخافتها لاقامة دليل ومما لا شك فيه ان الله تعلى تقبل سعي صاحب هذا الجامع لان جامعه كان ولا زال من اعمر بيوت الله بالعبادات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات

ومن افخر مآثر يوسف خوجة بهذا الجامع المصحف الكريم في القالب الكبير الموجود بربعة الختمة وهو مصحف ثمين لا يقدر بمال كتب بالخط الثلث تضمن بآخره اسم ناسخه وهو الشيخ مصطفى رفقي الايوبي من تلاميذ الحاج مصطفى افندي ببغداد تم نسخه اوائل المحرم سنة ١٢٣٠

هذا ومن الوفاء للتاريخ بما له على مدونيه من الحقوق لا بد لي من الاشارة لكون هذا الجامع شارك في بنائه جملة من العملة الاروباويين فان زمن تاسيسه وافق وجود اسارى كثيرين بدهاليز ابراج غار الملح ومعامل ترسخانة حلق الوادي وسجون تونس ولقد وقع بيدي قائمة في اسماء سبعة وعشرين اسيرا نعتهم فيها كاتبها بلفظ ابليطان اذن الباي حمودة باشا بجعلهم في تصرف وزيره يوسف خوجة لاستخدامهم في بناء جامعه بالحلفاوين ولفظ نابليطان نسبة لمدينة نابلي من اعمال ايطاليا كانوا يطلقونه في ذلك الزمان على جنس النصارى الذين يقعون في اسر قرصان تونس وان لم يكونوا من اصيلي نابلي لان اكثرهم كان اصيل جزائر البحر المتوسط ولا سيما جزيرة سان بيرة التابعة لسردانيا والاغلاط التاريخية والجغرافية كثيرة في تحارير كتاب الديار التونسية السابقين واللاحقين

اما رخام الجامع وسواريه فقد جيء بها من مقاطع الرخام بايطاليا على يد القبطان حسونة بن يوسف المورالي الذي كافاه يوسف صاحب الطابع عند استتمامه لنقل ذلك الرخام باعطائه المركب الذي حمل فيه ذلك فاتخذه لمعاشه ومما سمعته من احد الشيوخ السابقين بروايته عن بعض ايمة الجامع في القرن الماضي ان مورد الرخام المتحدث عنه هو الذي تبرع برخام قبر يوسف عند سماعه بموته وهذا القبر غريب الصنع وهو مصنوع كله في قطعة واحدة يشخص في ءان واحد العبرة والعظمة وموقعه بسقيف الجامع

اما الزخرفة والتنميق والترصيع والنقش حديدة الموشاة بها اقواس وسقوف جامع صاحب الطابع فانها من صنع عملة المسلمين . وختم الحديث ينعقد بهذا الجامع في العشرين من شهر رمضان وهو من الاختام الثمانية التي تزدان بحضور المولى الامير .

ذيـــل

في ذكر احوال خاصة بجوامع الحنفية وبخطبة الجمعة والعيدين بها

لما استقر ءال عثمـان بتونس كما سبقت الاشارة لذلك بمحله من هذا الكتاب كان عدد عساكرهم بها اربعة ءالاف من الانكشارية لذلك اعتبروا فى جملة انظمتهم ترتيب القيام بالشعائر الدينية على نحو ما هو موجود ببلادهم كاتخاذهم لمحافل يصعد لها الحفاظ عند حضور وقت الصلاة لترتيل ءايات الذكر الحكيم يسمونهم في اصطلاحهم خوجات (١) يكون على راسهم كبير لهم يلقبونه بالباش خوجه وهـؤلاء الخوجات لهم تراتيب ضابطة لصناعتهم بطريقة لا تنافيهـا احـكام الشريعة ومن احسن ما كتب في ذلك رسالة لطيفة لاحد المناخرين من الخوجات وهو الحافظ الشيخ الكيلاني بن الطاهر اسماها « قانون الخوجات بالجوامع الحنفية » ضمنها كل تـالد وطريف من احوال هذه الصناعة وان هي اخذت في التراجع بسبب زوال صلة الوصل الروحية بين تونس ودار الخـلافة بانقراض دولة ءال عثمان وسقوط الخليفـة ومما احتوى عليه القانون المشار اليه كـيفية اعمال الخوجات عند اقامة الصلـوات الخمس وعند حضور صلاة الجمعة وهذه الصلاة الجامعة يتقدمها الاهاب (٢) بصومعة الجامع وهو مجموع عبـارات يقوم بانشادها الخوجات بصومعة الجامع قبيـل الزوال منها قولهم « عجلوا للصلاة قبل الفوت وبادروا بالتوبة قبل الموت . نضر من الله وفتح قريب . وبشر المؤمنين يـا محمد » ثم يستغيثون جميعا بالنبي صلى الله عليه وسلم وينادونه يا رسول الله ويختمون عملهم بالاذان ثم ينزلون قاصدين المحفل لاقامة الصلاة وهذه يتقدمها تلاوة القرءان من المصاحف في المحافل باصوات رخيمة يتلوها الدعاء للسلطان

---

(١) مفرده خوجه ومعناه في اللغة التركية قاري وعـالم وكاتب وشبه ذلك

(٢) من تاهب للشيء قبل وقوعه

العثماني مع ذكر اسمه وللباشا امير الديار التونسية بدون ذكر اسمه وقبل ابتدائهم في التلاوة يقرا الباش خوجه عبارة استهلال باللغة التركية نصها : « حصول مرادات حق ده اول وءاخر صلي صلواتنا صري فاتح اوق ين لرن ءاخر عاقبتي خير اولى » ثم يستفتحون القراءة من المصاحف واذا جاءت ءاية سجدة نبه عليها الباش خوجة باللسان التركي بقوله « سجدة ءايات قلدي يا حاضر الن عزيزا » وعند ختام القراءة يتلو الباش خوجة قوله تعلى « ما كان محمد ابا احد من رجالكم الآية » ويختمها بمشاركة الخوجات في طبع رصد الذيل ثم يقف ويقرأ من محفوظه تعريف يوم الجمعة وهذه عبارته بما اشتملت عليه من الالفاظ العربية والتركية والفارسية بالنقل عن قانون الشيخ الكيلاني بن الطاهر رحمه الله

بارك الله لي ولكم بالقرءان العظيم . ونفعني واياكم بالآيات والذكر الحكيم . استغفر الله العظيم الكريم لي ولكم اجمعين . انه هو التواب الرحيم . سبحان من انزل القرءان على قلب سيدنا محمد بلسان عربي مبين . وعلمه علم الاولين والاخرين . والحمد لله رب العالمين . وباسط هزران هزاي . صلي صلوات . تحف تحيات زكيات . ايثار صدر كائنات . وايثار فخر موجودات . سيد الانبياء والمرسلين . وسند الاصفياء والمتقين بلبل بستان حقيقت . اندل بلستان شريعت . شاه صدر صفاء صفا . وماه بدر قباء وفا . معلى مزكى مجتبى مرتضى . رسول كبرياء وسرور انبياء حبيب خداي . اصفى الصفا . اعني حضرة محمد المصطفى . صلى الله عليه وسلم واصل ومتواصل كردان . ودرود بي نهايه . وثناء بي غايه . كبر ءال اولاد اتباع اشياع خصوصي جهاريان ڤزين باك جوهر بلي بلبل بستان عرعر . شراغو مسجد محراب منبر . ابوبكر عمر عثمان حيدر . رضوان الله تعلى عليهم اجمعين . وايد اللهم بالنصر والتمكين . حامي حمى حرمك الامين . حضرة باد شاه عالم . فرمان بني ءادم . مولى ملوك العرب والعجم . باسط الامن والامان . ءافتاب دولة ءال عثمان . سلطان البرين وخاقان البحرين . مصر والشام والروم والعراقين . خديم الحرمين الشريفين(١) . المعتمد على فضل

(١) كانوا ينعتون الملك الكامل ناصر الدين على رؤوس المنابر بمصر في المائة السادسة بقولهم : سلطان مكة وعبيدها واليمن وزبيدها ومصر وصعيدها والشام وصناديدها والجزيرة ووليدها سلطان القبلتين ورب العلامتين وخادم الحرمين الشريفين اهـ من جريدة الزمان

مولانا الكريم المنان. الا وهو السلطان. ابن نسل سلطان. مولانا السلطان محمد رشاد الدين خان (١) خلد الله سلطنته . وابد بالعدل مملكته وخلافته الى انقضاء الدوران بحق انا فتحنا لك فتحا مبينا. وينصرك الله نصرا عزيزا . اباء اجداد . اوباد. فان الجنة هي المأوى وميسر كردان امين يا معين . يا مجيب السائلين يا رب العالمين . ومفخر الامراء والاكابر . ورئيس الزعماء والعساكر . المختص بمزيد عناية الملك القادر . وزير بنظير . ومشير تدبير . مهر ءال عثمان وراثت . وماه بدر قباء جلالت . اعني حضرة باشا . يسر اللهم له من الخير ما يريد وما يشا . وباقي علماء عظام . ومشايخ كرام . وفضلاء ايام . وكافي انام . ثدرم جامع شريف . ومحفل لطيف . قوي ضعيف . شهري غريب . بنداء ازاد . ضمكيندن شاد . امن امانره . ورفاهية جميع بلاد مسلما نانره . اس شرق عالم . تاب غرب ءادام . ارواح ثزستيان كافي اهل ايمانره وبروح مرحوم صاحب الخيرات والحسناتره . ومبارك وقت شريف جمعائره . صري سبع مثاني بخنم عزيزا . اه

وعند انتهاء الباش خوجة من قراءة هذا التعريف يدخل الامام الخطيب متطيلس الراس وامامه الباش وقاد قاصدا به المنبر وعندئذ ينادي الخوجات بالصلاة فيتنفل الامام بركعتين ثم يصعد للمنبر وهي ساعة مظنة استجابة الدعاء فيبسط المصلون اكف الضراعة لخالق السماء والارض ثم يجلس الامام على المنبر فيؤذن احد الخوجات ثم يشرع الخطيب في قراءة خطبته الاولى فالثانية وهذه يضمنها عبارات الدعاء لامير البلاد ولعامة المسلمين وبعد ذلك ينزل من المنبر مرتبا خطواته على حساب عبارات إقامة الصلاة بحيث يكون وصوله لآخر درجة من درج المنبر موافقا لعبارة التشهد بمحمد رسول الله ومابقي من

---

(١) كان هو الجالس على عرش الخلافة في زمن المؤلف . ولقد حضرت ليلة بجامع بنزرت لسماع ختم القرءان في رمضان سنة ١٣٥١ ختمت حفلتها بقراءة الدعاء المعروف بصوت رخيم قراه القاري من كتاب مسطور اشتمل على الدعاء بالنصر والتاييد لهذا السلطان (محمد رشاد) بينما هو التحق بالدار الاخرة قبل ذلك بخمس عشرة سنة ولما راجعت القاري في ذلك بعد التمام حلف انه لم يزد ولم ينقص شيئا مما كان مسطرا بالسفر الذي بين يديه ! ! فشكرته عن ايجاده في الترتيل بصوته الرخيم وطويت بساط الحديث معه فيما يخص النقطة التاريخية التي لم ينتبه اليها

عبارات الحيعلتين يقضيه فيما بين المنبر والمحراب واذذاك تقام صلاة الجمعة على قواعد المذهب الحنفي الزكي وبعد الفراغ منها يقرا الخوجات ءاية الكرسي والتسبيحات ويختمونها بالدعاء سرا بمشاركة الامام والمصلين ثم ينزلون من المحفل ويتوجهون للتبرك والسلام على الامام بالمحراب

وفي رمضان عند اقامة صلاة التراويح ينبه لها الباش خوجه بالعربية ويختمها بالتركية وهو ان يقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم - سيد كائنات صلوات صلاة تراويح نيت اي لين اي امام عزيزا وبين الركعتين والركعتين يقول بالتركية « فخر عالم بشيرا صلوات » ويكون التنبيه لصلاة الوتر بهذه العبارة التركية

سيدك اينات صلوات صلاة وترنيت اي لين اين امام عزيزا

وفي يوم عيد الفطر يكون عمل الخوجات حسب التفصيل الاتي ننقله بلفظه من قانون الشيخ الكيلاني بن الطاهر قال رحمه الله : ثم بعد التكبير يستفتح الباش خوجة القراءة بتلاوة ءاخر سورة المائدة من قوله تعلى واذ اوحيت الى الحواريين الى ان يستوفي السورة فيرفع الخوجات عليه عند تمامها ثم بعد ذلك يديرون هذه الصلاة المباركة بينهم وكيفية ذلك ان يقول الباش خوجة بطبع النيرز : اللهم صل على سر نكتة دائرة الوجود. ويسكت فيقول كاهيته : وسر نكتة الله في كل موجود . ويسكت فيقول الخوجة الثالث : صاحب التاج واللواء المعقود. ويسكت فيقول الخوجة الرابع. والشفاعة العظمى والمقام المحمود. ويسكت ثم يكملها الباش خوجة فيقول : وعلى ءاله واصحابه وهنا يتحول الى طبع رصد الذيل فيرفع الجميع بقولهم : ما تقرب الى الله بالركوع والسجود. ويسكتون فيقول الخوجة الثاني : سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين . وباثر ذلك يقوم الباش خوجة لقراءة تعريف يوم العيد وعبارته : بارك الله فيكم احسن الله اليكم طيب الله روائح انفاسكم ورضي الله تعلى عنكم وعن استاذيكم وعن كافة المسلمين اجمعين شاه صدر صفاء صفا ومن هنا الى آخر تعريف يوم الجمعة نصا سواء بيد انه يقول في آخره . ومبارك وقت شريف عيدره مكان جمعايره. وبعد ختم التعريف المذكور يقف جميع الخوجات ويستديرون كالحلقة ويبدا باش خوجة الاهاب الخاص بصلاة العيد فيقول : الصلاة.

ويسكت فيرفع الجميع بقولهم : الله . ثم يسكتون فيقول الباش خوجة : اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لاولنا وءاخرنا وءاية منك وارزقنا وانت خير الرازقين . فيرفع الخوجات ويقولون : الله يا مولاي . ويسكتون ثم يقول الخوجة الثاني : يا مولاي ليس العيد لمن نصب الخيام انما العيد لمن تقبل منه الصيام . ويسكت فيرفع الجميع بقولهم . الله يا مولاي . ويسكتون فيقول الخوجة الثالث : يا مولاي ليس العيد لمن لبس الجديد انما العيد لمن فاز يوم الوعيد . ويسكت فيرفعون عليه كسابقه فيقول الخوجة الرابع : يا مولاي ليس العيد لمن بخر بالعود انما العيد لمن تاب ولم يعد . ويسكت فيرفع الجميع بقولهم : الله الصلاة . ويسكتون فيقول الخوجة الخامس : الصلاة والسلام عليك يا نور عرش الله . فيرفع الجميع بقولهم : عرش الله يا رسول الله ويسكتون فيقول الباش خوجة : وصل وسلم على اشرف جميع الانبياء والمرسلين والحمد لله . ويسكت فيرفع الجميع بقولهم : رب العالمين يا كريم الله جل وعلا الفاتحة ويقرؤونها سرا ثم يستقبل الباش خوجة القبلة وينبه على صلاة العيد باللغة التركية وهذه عبارة التنبيه : ايا عزيز لاربيرم نماز ايكي ركعات سكيس تكبير نية اي لين اي امام عزيزا . ثم يقيمون الصلاة جميعا ويشرع الامام في صلاة العيد وبعد تمامها يرتقي الامام المنبر لقراءة خطبتي العيد وعند انتهائه يقرأ الباش خوجة ءاية الكرسي ثم يختم التلاوة بقوله : اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين اه

وعمل الخوجات في صلاة عيد الاضحى كعملهم في عيد الفطر لا فرق بينهما الا في التلاوة فان الخوجات يقرؤون من القرآن الآيات المناسبة لها منها قوله تعلى : واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت الى قوله وبشر المحسنين وبعد الاهاب يقرا الباش خوجة الحج اشهر معلومات الى قوله واتقون يا اولي الالباب ويتلو كاهيته بقوله : ليس العيد لمن صعد الغرفات انما العيد لمن وقف بعرفات وبعده يقول الخوجة الثالث ليس العيد لمن تعب وعنى انما العيد لمن اصبح بمنى . ويقول الخوجة الرابع : ليس العيد لمن ركب المطايا انما العيد لمن تقبلت منه الضحايا . ويقول الخوجة الخامس : ليس العيد لمن حلق ونحر انما العيد لمن حج واعتمر ثم يختمون عملهم على نحو ما سبق بيانه بعيد الفطر اه

هذا ومن المعلوم ان الخطبة كانت تقع باسم السلطان العثماني وفقا للفرمانات

السلطانية التي كانت ترد بتقليد الولاية للبايات في الدولة المرادية وفي الدولة الحسينية فان كل فرمان منها كانوا يشترطون فيه ضرب السكة والخطبة باسم السلطان من ءال عثمان ومراعاة لهذه القاعدة كان ملوك تونس عند وفاة سلطان وقيام سلطان يعلمون بذلك ايمة الجوامع ليخطبوا باسم السلطان الجديد واليك مثال (١) من ذلك بمناسبة انتقال الخلافة من السلطان عبد المجيد خان لاخيه السلطان عبد العزيز خان ونصه :

الهمام النحرير محبنا الشيخ سي محمد بيرم شيخ الاسلام حرسه الله السلام عليكم ورحمة الله فان المعظم مولانا السلطان عبد المجيد (خان) انتقل الى جوار ربه سبحانه تغمده الله برحمته واسكنه فسيح جنته وقام بالسلطنة بعده اخوه السلطان عبد العزيز (خان) فالعمل ان تنبه على المشائخ الحنفية الخطباء بالحاضرة بان يدعوا في الخطبة الثانية لهذا المتولي عوض اخيه المنعم على العادة والله يجعل سلطنته باقية وللملة الاسلامية واقية والسلام من الفقير الى ربه عبده المشير محمد الصادق باي وفقه الله وكتب في ٢٠ محرم الحرام سنة ١٢٧٨

ولما سقطت الخلافة العثمانية بقي امر الخطب الجمعية فوضى بين الايمة مدة طويلة فبعضهم الغى من الخطبة اسم الخليفة لفقدانه وبعضهم بقي مسترسلا في الدعاء لسلطان ءال عثمان ولقد وقع يومئذ لفت انظار المولى محمد الحبيب باي في مدة وزارة المرحوم ابي النخبة مصطفى دنقزلي لتدارك تلك الحالة بجعل نموذج وحيد للادعية المحتوية عليها الخطبة الثانية حيث كانت هي التي تناولها الاضطراب ثم مد السكوت جناحه على هذه القضية وبقي امرها مهملا الى ان اقتدى الايمة ببعضهم بعضا في اغفال اسم الخليفة بكافة جوامع الخطبة بالمملكة التونسية واكتفوا بالدعاء لسمو الباي المعظم ولامراء المسلمين . ويلوح ان الخطب الجمعية جديرة امرها باهتمام اهل العلم من اصحاب التفكير والراي المصيب لان بعض الخطباء من ذوي البضاعة المزجاة في العلم خرج بها عما وضعت لاجله لا سيما بجوامع بعض بلدان الافاق واذا جاز للخطيب تنبيه المصلين لما ينفعهم في دنياهم فلا يصح ان يكون ذلك الا

---

(١) منقول عن نصه الاصلي المحفوظ بمكتبة معهد ابن خلدون وهو بخط الشيخ الوالد رحمه الله

غرضا في الخطب الجمعية التي درج عليها السلف والا فالخروج بها عن صبغتها الدينية بجعلها قاصرة على المصالح الدنياوية من زراعة وتجارة وصناعة وبيع وشراء وغير ذلك من احوال معترك الحياة حتى ضرب الامثال المترجمة من اللغات الاجنبية كقولهم « تونس مطمورة رومة » (١) فان امثال هذه الخطب شبهها الخليفة الثاني سيدنا عمر بن الخطاب بالضلالات واني لانكر على بعض المتفقهين ترقيع دينهم بدنياهم فقد سمعت خطيبا ءاخر يدعو للمولى الامير وهذا واجبه شرعا وعقلا ولكنه تخلص اثر ذلك داعيا لبعض كبار اهل الدولة ثم تجاوز الحد بالاشارة لبعض اهل الحاشية والحواشي ليست كالمتون وكان عليه الاكتفاء بالدعاء للامير ولعامة المسلمين كما كان يفعل السلف الصالح والا فان خطب الصلاة تصير من قبيل الخطب الاجتماعية القابلة للاخذ والرد على ان اهل هذا الفريق من الخطباء الذين يحبون الخطابة في اعراض الدنيا او في مصالح انفسهم لهم مجال فسيح لترضية ضمائرهم في غير ساعة الوقوف بين يدي الله الذي يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

الباب الثالث

في مساجد الصلوات الخمس

اعلم ان بيوت العبادة سواء كانت معدة لاقامة الصلوات وخطبة الجمعة والعيدين او لاقامة الخمس فقط كلها مساجد والمساجد لله قال تعلى « وان المساجد لله فلا تدعو مع الله احدا » غير انه وقع الاصطلاح في تونس على جعل تمييز بين الجامع الذي تقام به الخطبة وبين الذي لا خطبة له فخصصوا لفظ الجامع في المدن بالمسجد الجامع الذي تقام به الصلوات مع خطبة الجمعة والعيدين واطلقوا لفظ المسجد على مصلى الخمس دون الجمعة والعيدين واقدم مسجد بتونس من هذا القبيل هو المسجد الذي به ضريح الشيخ علي بن زياد صاحب امام دار الهجرة مالك بن انس وناشر مذهبه بتونس وتوفى الشيخ ابن زياد سنة ١٨٣ وقد استوفينا فيما تقدم بالبابين الاول

(١) سمعت ذلك باذني في خطبة الجمعة باحدى بلاد الافاق

والثاني حديث جوامع الخطبة المقامة بها الشعائر لهذا العهد بالحاضرة التونسية على قواعد المذهبين المالكي والحنفي وجعلنا هذا الباب الثالث خاصا بالتعريف بالمساجد التي لا خطبة بها وجملتها لهذا الزمان (١٣٥٨) بالعدد الصحيح ٢٥٦ مسجدا ويستفاد من كتاب عقد الفرائد للشيخ الباجي المسعودي ان عدد المساجد كان اكثر من ذلك في اوائل القرن الماضي على عهد المرحوم محمود باي فقد امر باحصائها في سنة ١٢٣٥ فكانت ٢٩٤ يعني بزيادة ٣٨ مسجدا على عددها في الزمن الحاضر وهذه المساجد الموجودة اليوم تتركب من قسمين قسم شامل للمساجد التي تقام بها الصلوات وعددها ١٦٤ مسجدا وقسم شامل للبقية وعددها ٩٢ مسجدا وهي المعطلة التي سبقت الاشارة اليها في المقدمة ولم نراع في نقل اسماء ما سنذكره من مساجد القسم الغير المعطل اسبقية لقديم على حديث لان ضبط ذلك يستدعي زمنا طويلا زيادة على عدم توفر الدواعي المعينة على ذلك ولاجله اكتفيت بتنبيهات وجيزة في حق البعض من هذه المساجد اقتباسا مما هو عالق بذهني او نقلا لما اشتهر في حقها بين الثقاة او اشتملت عليه بعض المصنفات

عدد ترتيبي	اسماء المساجد	مواقعها	تنبيهات وحواشي
١	مسجد الافراح	نهج عبا	ابتدأنا به تفاؤلا بالخير بقطع النظر عن تاريخ بنائه
٢	مسجد الشيخ بوجبرة	نهج المبزع	
٣	مسجد بوحجلة	نهج المطيهرة	
٤	مسجد سيدي بوحديد	نهج الباشا	ينعقد به ختم الحديث في ١٤ رمضان وسيدي بوحديد هذا غير سيدي بوحديد الآخر واسمه محمد الكائن ضريحه بحومة اليهود على مقربة من باب قرطجنة وهو من رجال القرن الثاني عشر وسميه صاحب المسجد متقدم عليه بمئين كثيرة وموقعه بنهج الباشا

عدد ترتيبي	اسماء المساجد	مواقعها	تنبيهات حواشي
			ونهج الباشا مقتبس اسمه من دار الباشا التي كانت به في عهد حكم الاتراك وكانت بها خزينة المال ومنها يقبض شيوخ الحنفية جراياتهم ولما احدث الوزير مصطفى بن اسماعيل داره على اطلال دار الباشا القديمة في سنة ١٢٩٦ حاولوا تسمية ذلك الشارع باسم نهج المصطفية الا ان هذه التسمية لم ترسخ في اذهان الناس وذهبت ادراج الرياح ودار مصطفى بن اسماعيل هي التي اقيم مكانها بعد هدمها مدرسة البنات المسلمات في عام ١٩٠٠ للميلاد
٥	مسجد بوذبانة	نهج سيدي صابر	يسمى في هذا الزمان المسجد الحبيبي حيث جدد عمارته المولى محمد الحبيب باي في سنة ١٣٤٥
٦	مسجد سيدي بومنديل	نهج سيدي بومنديل	
٧	مسجد سيدي بومنيجل	نهج سيدي قادوس	
٨	مسجد اسطامراد	نهج الحكام	بناه الداي اسطامراد المتوفي سنة ١٠٥٠
٩	مسجد السراجين	نهج السراجين	نسبة للسوق الذي تصنع فيه السروج لركوب الخيل
١	مسجد الاشبيلي	نهج الكنز	
١١	مسجد باب الربع	نهج تربة الباي	باب الربع بضم الراء والباء من قسمة واحد لاربعة كان مستلزم هذا السوق يتقاضى الربع من اثمان الاثاثات التي تباع به والان يسمونه باب الربع بفتحتين كما ينطق به اعراب البادية

عدد ترتيبي	اسماء المساجد	مواقعها	تنبيهات وحواشي
١٣	مسجد بطحاء بن سالم	نهج سيدي زهمول	ابن سالم المذكور هو جد ابي الثناء محمود ابن سالم الذي كان عضوا بجمعية الاوقاف توفى سنة ١٣١٩
١٤	مسجد بطحاء العروسى	نهج بئر الحجار	
١٥	مسجد ابن موسى	نهج السيدة عجولة	
١٦	مسجد ابن الغيوش	نهج سيدي علي عزوز	
١٧	مسجد ترشيش	نهج الكنيسة	لفظ ترشيش محرف عن طرشيش في العبرية وهو من اسماء تونس في الزمن القديم البعيد
١٨	مسجد سيدي التينجي	نهج الصباغين	التينجي نسبة لتينجة محلة مجاورة لقرعة الجبل الاشكل تصدر منها في هذا الزمان كمية وافرة من توت الفراولة ذات تجارة رابحة بيد اصحابها الاروباويين ويصطادون بالقرعة المذكورة الحوت المعروف بالتينجي وهو ليس من السمك المرغوب فيه لانه يعيش في الماء الحلو نصف العام وفي الماء الملح النصف الاخر
١٩	مسجد ثابث	نهج الصباغين	ثابت هو الوزير الحاج علي ثابت المتوفي سنة ١٠٤١ وهذا المسجد هو المعروف في هذا الزمان باسم جامع حرمل وكان يسمى في المائة السابعة جامع القنيطرة تقدم التعريف به مفصلا في باب جوامع المالكية اثناء الكلام على جامع الخطبة بباب الجزيرة

عدد ترتيبي	اسماء المساجد	مواقعها	تنبيهات وحواشي
٢٠	مسجد الجراح	نهج الحكام	
٢١	مسجد سيدي جعفر	نهج التومي	كانوا يسمون جامع التبانين جامع سيدي جعفر فان كان هو نفسه مؤسس هذا المسجد فيكون بناءه من محدثات العصر الحفصي
٢٢	مسجد سيدي حجر	نهج الصباغين	هذا النهج كان يسمى عقبة التراب في القرن الحادي عشر
٢٣	مسجد سيدي حمزة	نهج الجبل	
٢٤	مسجد الحفصية	نهج عاشور	كانت الحفصية في زمن السلاطين الحفصيين وفي الدولتين المرادية والحسينية معملا لصنع البارود والمدافع والذخائر الحربية وفي مدة الباشا علي باي الاول جعلوا بعضها درأ للضرب ودام الحال كذلك الى ان احدث المشير احمد باشا دار السكة بباردو ثم في عهد المشير محمد باي نصبوا بالحفصية المطبعة الرسمية التونسية واستجلبوا لها حروفا عربية من باريس على يد المستشرق منصور كرليتي الفرنساوي وفي هذا الزمان جعلت بها ادارة غابة الزيتونة ولا ندري ماذا ستكون غدا
٢٥	مسجد الحفصية ايضا	نهج ابن نجمة	
٢٦	مسجد حومة سيدي يوسف	نهج سيدي بوخريصان	سيدي يوسف هذا هو يوسف داي المتوفى سنة ١٠٤٧ وكانوا ينعتونه بالسيادة لانه كان من اهل الخير والرشاد قال الشيخ ابن ابي الضياف ان قبره يزار
٢٧	مسجد خلوة سيدي ابي سعيد	نهج تربة الباي	هذه الخلوة منسوبة للشيخ سيدي ابي سعيد الباجي دفين جبل المنار

عدد ترتيبي	اسماء المساجد	مواقعها	تنبيهات وحواشي
٢٨	مسجد خلوة سيدي بلحسن	نهج الصباغين	هذه الخلوة منسوبة للامام الشاذلي رضي الله عنه
٢٩	مسجد خلوة سيدي محرز	نهج الاندلس	هذه الخلوة منسوبة للعارف بالله سيدي محرز بن خلف رضي الله عنه وله خلوة اخرى سياتي ذكرها تحت عدد ١٦٢ مع سبع خلوات ضمن المساجد المعطلة بجهات مختلفة من الحاضرة ولا غرابة في ذلك فانه كان من الصالحين الاخيار معتقدا ومهابا ومحبوبا من عموم السكان والعامة يسمونه سلطان المدينة رحمه الله ورضي عنه
٣٠	مسجد دار الباشا	نهج الباشا	كان امامه الشيخ احمد الشريف المشهور بامام مسجد دار الباشا
٣١	مسجد الدباغين	نهج سيدي قادوس	
٣٢	مسجد دريبة محمد	نهج الورقلية	
٣٣	مسجد دريبة عبا	نهج عبا	
٣٤	مسجد دريبة غربال	نهج غربال	
٣٥	مسجد دار الاغه	نهج الاغه	نسبة لدار اغه الوجق واخر من سكنها من الاغوات ابو العباس احمد الكبير وهي اليوم دار ابناء المرحوم الشيخ احمد بن الخوجه شيخ الاسلام
٣٦	مسجد الرصاع	نهج الوصفان	احدثه احد ءال بيت الرصاع ويقال ان الشيخ الرصاع شارح حدود الامام ابن عرفه مقبور فيه وممن درس به قاضي الجماعة الشيخ الطيب النيفر
٣٧	مسجد الرمادين	نهج تربة الباي	
٣٨	مسجد سيدي الزبيدي	نهج التربونال	موقعه بجوار سراية الوزير خير الدين الواقعة بنهج التربونال وهذا النهج سمي كذلك لان انتصاب التربونال يعني

عدد ترتيبي	اسماء المساجد	مواقعها	تنبيهات وحواشي
			المحكمة المدنية الفرنساوية كان لاول مرة بتلك السراية عند احداث المحاكم الفرنساوية بتونس سنة ١٨٨٣ وتوجد بصحن هذا المسجد مقبرة عتيقة يستفاد من بعض قبورها انها ترجع للمائة الثامنة وفي ضمنها مقابر بيت الاخوة وبيت ابن سلامه منهم الشيخ الطيب بن سلامه والد المفتي الشيخ محمد بن سلامه وكان الوزير خير الدين اعتنى بهذا المسجد لوقوعه بجوار سرايته وعين به اماما وهو الشيخ احمد المرزوقي قاضي نابل ومن بعده شقيقه الشيخ الطيب المرزوقي الباش مفتي الشرفي بها وكان الوزير خير الدين يصلي به احيانا وله عطية من كيسه ينفح بها الامام ليلة ختم التراويح برمضان واستمرت هذه العطية الى ما بعد انتقاله للاستانة قالوا انه كان يبعث بها لصاحبها على يد وكيله المرحوم محمد بن نيله الى ان ادركته الوفاة سنة ١٣٠٧
٣٩	مسجد زقاق الاندلس	نهج الاندلس	كانوا في القديم يسمون الانهاج ازقة والشارع الكبير محجا
٤٠	مسجد الطراز	نهج سيدي ابن عروس	يسمى ايضا مسجد الطرازين جدد عمارته المولى مصطفى باي في اواسط القرن الماضي واقام به اماما العالم المدرس الشيخ محمد البارودي ومنه انتقلت امامته الى ابنه الشيخ مصطفى الامام الاول بجامع باردو وتوفى سنة ١٣٢٢ فتولى مكانه رجل من ذوي قرابته وتوفى سنة ١٣٣٢

عدد ترتيبي	اسماء المساجد	مواقعها	تنبيهات وحواشي
			فولى امامته المدرس العالم الشيخ الصادق صفر وتوفى سنة ١٣٣٩ فوليها الفقيه الشيخ محمد شلبي ولا تزال الرواية صحيح البخاري به الى الآن والختم به ختم حقيقي اي يستوعب صاحبه قراءة الجامع الصحيح كله وينعقد مجلسه في اليوم الثامن عشر من رمضان
٤١	مسجد لاز	نهج دار الجلد	نسبة للداي محمد لاز المتوفي سنة ١٠٦٣
٤٢	مسجد الكيال	نهج المحرزي	يقال ان مؤسسه كان كيالا برحبة القموح
٤٣	مسجد سيدي مردوم	نهج سيدي مردوم	يستفاد من تاريخ المونس ان ضريح الشيخ سيدي مردوم كان معروفا في المائة الثامنة
٤٤	مسجد مللي	نهج الباشا	بناه الباش حانبه سليمان مللي من رجال دولة الباي حموده باشا اكتفى به في ماموريات هامة باروباوكان من خواص الوزير يوسف خوجه توفى سنة ١٢٣٩
٤٥	مسجد سيدي معاوية	نهج المنستيري	عليه وقف للرواية يقام به ختم الحديث في ١٤ رمضان
٤٦	مسجد المغارة	نهج كتاب الوزير	
٤٧	مسجد المهراس	نهج الكنيسة	بمدخله حجارة بالخط الكوفي تنبي بقدمه ومن ايمته في القرن الماضي العالم الصالح المدرس الشيخ ابو العباس احمد القروي الامام الثالث بجامع الزيتونة والقاري على كرسي الختمة به توفي سنة ١٢٧٢
٤٨	مسجد النخلة	نهج تربة الباى	
٤٩	مسجد النقيري	نهج التطاوني	نسبة للشيخ محمد التطاوني المتوفى سنة ١٣٩٦
٥٠	مسجد الصباغين	نهج الصباغين	نسبة لمعامل الصبغ في القديم وما زالت منها بقية لهذا الزمان

عدد ترتيبي	اسماء المساجد	مواقعها	تنبيهات وحواشي
٥١	مسجد الصرة	نهج عاشور	
٥٢	مسجد الصفار	نهج سيدي الصوردو	كان يتردد عليه المجذوب سيدي محمد بن علي الصوردو المتوفى عام ١٢٩٠
٥٣	مسجد سيدي صابر	نهج ابن رجب	
٥٤	مسجد العريش	نهج سيدي محرز	
٥٥	مسجد سيدي علي ابن زياد	نهج سيدي بن زياد	به ضريح الفقيه الشيخ علي بن زياد صاحب امام دار الهجرة مالك بن انس رضي الله عنه ـ توفي سنة ١٨٣
٥٦	مسجد عنق الجمل	نهج السيدة عجولة	عنق الجمل اسم للنهج المتصل بنهج عجولة كان معروفا بهذا الاسم في المائة الثامة
٥٧	مسجد سيدي العامي	نهج العناب	
٥٨	مسجد سيدي عامر	نهج سيدي علي عزوز	هو مسجد الضريح المنسوب لسيدي عامر البطاش وبه رواية حديث والشيخ عامر هذا هو عامر بن ظافر بن سعيد بن عبد الجبار بن عبد الخالق بن عبد الستار ابن عبد المجيد بن هلال بن نصر الدين ابن محمد بن احمد عرف البطاش اصله من بلد المرسى توفي ليلة الجمعة ٢١ من جمادى الاولى سنة ٩٣٣ وقد اعتنى بعض اهل الفضل بجمع مناقبه في رسالة مخطوطة
٥٩	مسجد الغالبي	نهج سيدي محرز	
٦٠	مسجد الفلاري	مثله	صومعة هذا المسجد هي المجعولة للاذان بجامع محمد باي المرادي لان صاحبه مات قبل بناء صومعته فاتخذوا للاذان

عدد ترتيبي	اسماء المساجد	مواقعها	تنبيهات وحواشي
			به صومعة مسجد الفلاري الواقع تحت صحن الجامع
٦١	مسجد الفال بالعزافين	نهج القصبة	
٦٢	مسجد الفال بالشبارلية	نهج الغرابلية	يقصده بعض المعتقدين لاخذ الفال وينوهون بشانه ـ واما لفظ الشبارلية فانه جمع شبرلة وهو حذاء نسواني كان السيدات يلبسنه عند الخروج للطريق العام قالوا ان لفظ شبرلة من قبيل التركيب المزجي واصله شبرللا ومعنى للا في الاصطلاح التونسي سيدة والشبر معروف
٦٣	مسجد القباقبي	نهج الديوان	
٦٤	مسجد القبة	نهج تربة الباي	سمي كذلك لان بمدخله قبة والعامة حرفوا لفظ مسجد وجعلوه سيد القبة وقد تعرضنا لاصل هذا التحريف في باب المدارس
٦٥	مسجد قدوار	نهج الباشا	
٦٦	مسجد القرسطون	نهج الزياتين	
٦٧	مسجد قاره برني	نهج الاغه	لفظ قاره في التركية معناه اسود والبرني هو الباز
٦٨	مسجد السكاجين	سوق السكاجين	لفظ السكاجين محرف عن الشكازين وهذا اللفظ من متفرعاته الاشكز وهو شيء له علاقة بتهذيب جلود السروج
٦٩	مسجد السهيلي	نهج المقطع	

عدد ترتيبي	اسماء المساجد	مواقعها	تنبيهات وحواشي
٧٠	مسجد سوق النحاس	نهج سوق القراتة	سوق النحاس من الاثار الحفصية
٧١	مسجد سوق الفلقة	مثله	مثله
٧٢	مسجد السيل	نهج محسن	
٧٣	مسجد الشباك	نهج سوق الوزر	
٧٤	مسجد الشرفاء	نهج سيدي ابراهيم	كان الشيخ ابراهيم الرياحي يقري به العلم دخل عليه الشيخ الجدوهو يقري الحديث وجلس حذو غيره بحلقة الدرس فسكت الشيخ ابراهيم مراعاة للشيخ الجد ولكن هذا الشيخ ابى الا الانتفاع بدرس استاذه والتبرك بمجلسه فصمم الشيخ ابراهيم على رايه وانفصل المجلس بتزويد الشيخ الجد بغرفة من الدعاء وبسر الفاتحة
٧٥	مسجد سينون	نهج شلبي	
٧٦	مسجد الوزير	نهج الديوان	اسسه سلف الحافظ الشيخ حسن بن احمد الوزير قالوا انه كان يصلي فيه التراويح بختمة كاملة من القرءان ومن اعقاب هذا الفاضل احفاده وكلاء خزائن الكتب بجامع الزيتونة ومنهم ايضا الشيخ حسونه الوزير رئيس المجلس البلدي بتونس وعميد تجارها وكان لاسلافه قدم السبق في ميدانها ولا تجد في ءال هذا البيت غير حافظ للقرءان الكريم
٧٧	مسجد ويشكة	نهج ابن ابي الضياف	لفظ ويشكة اسباني وعائلة ويشكة اندلسية

عدد ترتيبي	اسماء المساجد	مواقعها	تنبيهات وحواشي
٧٨	مسجد سيدي يعقوب	نهج سيدي يعقوب	
٧٩	مسجد الابراج	نهج الغرس	
٨٠	مسجد سيدي بوحميله	نهج بوحميده	
٨١	مسجد سيدي بلحسن الحلفاوي	نهج حمام الرميمي	نسبة للولي الشيخ بلحسن الحلفاوي المتوفى سنة ١٠٥٠ واما حمام الرميمي فانه كان موجودا في المائة الثامنة
٨٢	مسجد سيدي بوراس	نهج سيدي بو راس	
٨٣	مسجد سيدي بومنيجل	نهج النفافتة	تقدم ذكر مسجد اخر بهذا الاسم تحت عدد ٧ وكلا السيدين غير معروف لدينا وانما نعرف ان بومنيجل هو الواحد من الطير الابابيل
٨٤	مسجد سيدي بوصلاح	نهج الزاوية البكرية	كان يوجد بتونس رجل من اهل الصلاح في المائة السابعة اسمه سيدي بوصلاح
٨٥	مسجد سيدي الانصاري	نهج القعادين	يقام به ميعاد الطريقة القادرية واشتهر بمسجد الانصاري لان به قبر الشيخ الانصاري وهو رجل من آل بيت الرصاع الانصاريين وعلى ضريحه كتابة تشير لذلك
٨٦	مسجد بوسنينة	نهج درب العسال	
٨٧	مسجد بوسعيد	نهج السبالة	
٨٨	مسجد البرادعية	نهج البرادعية	نسبة للبردعة وهي سروج خاصة بالبغال والحمير دون الخيل

عدد ترتيبي	اسماء المساجد	مواقعها	تنبيهات وحواشي
٨٩	مسجد سيدي براك الجمال	نهج باب الخضراء	
٩٠	مسجد براو	نهج سيدي غرس الله	
٩١	مسجد بطحاء الصلي	نهج الصلي	
٩٢	مسجد سيدي البلاغ	مثله	نسبة للشيخ ابي القاسم البلاغ من رجال المائة السابعة كان مشهورا بالصلاح
٩٣	مسجد ابن حميدة	نهج باب سعدون	
٩٤	مسجد باب الخضراء	بطحاء الباب	
٩٥	مسجد سيدي بلحسن الحلفاوي	نهج الغرس	تقدم التعريف بهذا الولي في عدد ٨١
٩٦	مسجد سيدي بازين	نهج سيدي بازين	
٩٨	مسجد ترنجة	نهج ترنجة	ترنجة لفظ محرف عن اترجة وهي الثمرة المعروفة من فصيلة الليمون
٩٨	مسجد التوتة	نهج الطرودي	
٩٩	مسجد التوتة ايضا	نهج سوقي بلخير	
١٠٠	مسجد حمام الرميمي	نهج حمام الرميمي	تقدم التعريف بحمام الرميمي وانه كان موجودا في المائة الثامنة
١٠١	مسجد سيدي الحاري	نهج سيدي الحاري	به ينتصب ميعاد الطريقة العيساوية وزاويته ام الزوايا العيساوية بتونس
١٠٢	مسجد الخضراوي	نهج القنطرة	
١٠٣	مسجد الدباغين	نهج الدباغين	نسبة للحومة التي كان بها في القرن الماضي وما قبله معامل دبغ الجلود انقلبت اليوم لدور وقصور
١٠٤	مسجد درب العسال	نهج العسل	يلوح ان هذا المسجد والثلاثة بعده من بقايا العصر الحفصي لانهم كانوا يسمون

عدد ترتيبي	اسماء المساجد	مواقعها	تنبيهات وحواشي
			بعض الازقة دروبا كدرب ابن عبد السلام حيث المدرسة العصفورية والميضاة الحفصية التي بناها السلطان ابو عمرو عثمان في المائة التاسعة
١٠٥	مسجد درب النيل	نهج الزاوية البكرية	
١٠٦	مسجد درب الشريف	نهج ابن ظريف	
١٠٧	مسجد درب الشوك		
١٠٨	مسجد الدرائب	نهج الدرائب	
١٠٩	مسجد الرصيف	نهج باب سعدون	
١١٠	مسجد الرياضي	نهج الرياضي	
١١١	مسجد سيدي الزيدي	نهج الحفير	تقدم مسجد ءاخر بهذا الاسم في عدد ٣٩ اسمه الاصلي مسجد سيدي شيوشيو ورد ذكره في كتاب ابتسام الغروس وهذا السيد من تلاميذ الشيخ سيدي احمد ابن عروس وفي سنة ١٢٧١ انتصب بهذا المسجد ميعاد الطريقة القادرية فكان اول شيخ لها الشيخ القابسي شيخ الطريقة بالمحمدية على عهد المشير احمد باي
١١٢	مسجد زنقة الكبدة	نهج الكبدة	
١١٣	مسجد السيدة مسيكة	نهج القنطرة	من الصالحات المشهورة بالكرامات
١١٤	مسجد سيدي موسى	نهج حمام الرميمي	
١١٥	مسجد سيدي صالح بوقبرين	نهج سيدي العلوي	يوجد ضريح باسم سيدي صالح بوقبرين بالحد الفاصل بين عملي بنزرت وماطر
١١٦	مسجد سيدي العبيدي	نهج الزاوية البكرية	قال في تاريخ الشيخ ابن ابي الضياف ان هذا المسجد جدد عمارته الوزير يوسف

عدد ترتيبي	اسماء المساجد	مواقعها	تنبيهات وحواشي
			خوجة صاحب الطابع واحدث به ماذنة وحبس عليه وعلى قائمي الليل حبسا نافعا واول امام به الشيخ محمد العذاري
١١٧	مسجد سيدي يغلي	نهج بوكمشة	
١١٨	مسجد العوافي	نهج باب سعدون	
١١٩	مسجد الغاصرون	نهج الغاصرون	كان موجودا في الدولة الحفصية
١٢٠	مسجد الغول	نهج باب سعدون	ثلاثة ليس لهم وجود الغول والعنقاء والودود
١٢١	مسجد الفضالي	نهج الكرار	
١٢٢	مسجد فشار	نهج باب سعدون	
١٢٣	مسجد سيدي القديدي	نهج السواحل	
١٢٤	مسجد الغزلو	نهج سوقي بلخير	
١٢٥	مسجد القمرتي	نهج الدوار	القمرتي نسبة لقمرت دشرة قريبة من مرسى جراح ورايت من كتبها بلفظ قلمرت ولا ادري اي الرسمين اصح
١٢٦	مسجد القعادين	نهج القعادين	
١٢٧	مسجد الغوري	نهج الحدادين	نسبة للفقيه الشيخ ابي يحي بن ابي بكر الغوري الصفاقسي من رجال المائة السابعة تولى قضاء الجماعة بتونس
١٢٨	مسجد قوس الحدادين	نهج الحدادين	
١٢٩	مسجد قوس الشيخ صالح	نهج الشيخ صالح	
١٣٠	مسجد سيدي قويسم	نهج الحفير	نسبة للعلامة الشيخ محمد بن علي قويسم المتوفي سنة ١١١٤ وبه قبره وليس عليه كتابة
١٣١	مسجد سبخة ترنجة	نهج الملاحة	

عدد ترتيبي	اسماء المساجد	مواقعها	تنبيهات وحواشي
١٣٢	مسجد السقا	نهج السقا	لعله منسوب للولي الشيخ احمد السقا المتوفى سنة ٧٤٣
١٣٣	مسجد سيدي بوجعران	نهج بن عصمان	
١٣٤	مسجد سيدي بومطرف	نهج النحال	
١٣٥	مسجد سيدي بوضريسه	نهج راس الدرب	
١٣٦	مسجد سيدي بوفطيره	نهج حومة الكيال	
١٣٧	مسجد بوقريبه	نهج الحجامين	هو جامع الحجامين تقدم التعريف به في الباب الاول
١٣٨	مسجد سيدي البغدادي	نهج بوخريص	من رجال المائة التاسعة كان من اهل العلم والصلاح
١٣٩	مسجد البغدادية	نهج الحقيقة	
١٤٠	مسجد الجيارة	نهج الفلة	نسبة لمصانع الجير في القديم
١٤١	مسجد خلوه سيدي ابي سعيد	خارج باب البحر	تقدم لنا مسجد ءاخر بهذا الاسم في عدد ٢٧ وكلاهما منسوب لسيدي ابي سعيد الباجي المتوفي عام ٦٢٨
١٤٢	مسجد دريبة العبلي	نهج الممر	
١٤٣	مسجد سيدي داود	نهج الخلوة	
١٤٤	مسجد الرويا	نهج الراية	
١٤٥	مسجد الرقراق	نهج الممر	
١٤٦	مسجد الزيتونة	نهج بوسعدية	
١٤٧	مسجد الكرمة	نهج الجنينة	
١٤٨	مسجد المحرزية	نهج سيدي الشواي	
١٤٩	مسجد المطابق	نهج سيد البشير	نسبة لمطابق القبور حيث مكان اختزانها

عدد ترتيبي	اسماء المساجد	مواقعها	تنبيهات وحواشي
١٥٠	مسجد الوقف	مثله	
١٥١	مسجد صاحب الطابع	نهج السبخاء	هو جامع السبخاء تقدم التعريف في الباب الاول بصفته جامع خطبة
١٥٢	مسجد سيدي عبد الحق	نهج سيدي المشرف	
١٥٣	مسجد سيدي عبد الملك	نهج سيدي عبد الملك	
١٥٤	مسجد سيدي غريب	نهج سيدي غريب	
١٥٥	مسجد الفر	نهج الحجامين	
١٥٦	مسجد سيدي فرج	نهج الحقيقة	
١٥٧	مسجد سيدي الفهام	نهج سيدي الزواوي	
١٥٨	مسجد سوق العصر	نهج سوق السلاح	
١٥٩	مسجد السويقة	نهج الفلة	
١٦٠	مسجد سيدي الشريف	بطحاء بقيرة	
١٦١	مسجد عقبة التراب	نهج سيدي العزابي	
١٦٢	مسجد خلوة سيدي محرز	باب الجديد	من المقامات التي يتبرك ملوك تونس بزيارتها ليلة ٢٧ رمضان وليلة المولد الشريف والمعالم الاخرى التي يزورونها في الموسمين المذكورين هي ضريح سيدي احمد بن عروس وضريح سيدي محرز بن خلف وضريح سيدي ابراهيم الرياحي

عدد ترتيبي	اسماء المساجد	مواقعها	تنبيهات وحواشي
			وضريح سيدي علي شيحة وضريح سيدي علي محسن وكان المولى محمد الناصر باي يزور مع ذلك خلوة سيدي عمر بن عيسى
١٦٣	مسجد سيدي التباسي	دربة غرنوطة	نسبة للشيخ سالم التباسي من اصحاب الامام الشاذلي والتباسي نسبة للتبسي والتبسي لفظ تركي فيا ترى كيف وجد ذلك اللفظ بتونس في المائة السابعة اي قبل قدوم الترك اليها بثلاثة قرون
١٦٤	مسجد نوينة		نسبة للشيخ نوبنة كان قاضيا بتونس على رأس الف

هذه جملة المساجد المقامة بها الشعائر عدا الجمعة والعيدين في هذا الزمان (١٣٥٨) بمدينة تونس المحروسة وما بقي من المساجد فهو المعطل الاسباب التي سبق ذكرها في المقدمة وعددها في الجملة اثنان وتسعون والله يرث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

الباب الرابع

في التعريف بالولاية على امامة الصلوات

من احسن ما كتب العلماء في هذا الموضوع الهام الباب التاسع من كتاب الاحكام السلطانية لاقضى القضاة الامام ابي الحسن الماوردي المتوفى سنة ٤٥٠ قال رحمه الله :

الامامة على الصلوات تنقسم ثلاثة اقسام احدها الامامة في الصلوات الخمس الثاني الامامة في صلاة الجمعة والثالث الامامة في صلوات الندب

الامامة في الصلوات الخمس

نصب الامام فيها معتبر بحال المساجد التي تقام فيها الصلوات وهي ضربان مساجد سلطانية ومساجد عامية فأما المساجد السلطانية فهي المساجد والجوامع والمشاهد وما عظم وكثر أهله من المساجد التي يقوم السلطان بمراعاتها فلا يجوز أن ينتدب للامامة فيها الا من ندبه السلطان لها وقلده الامامة فيها لئلا يفتات الرعية عليه فيما هو موكول اليه فاذا قلد السلطان فيها اماما كان أحق بالامامة فيها من غيره وان كان أفضل منه وأعلم وهذه الولاية طريقها طريق الاولى لا طريق اللزوم والوجوب بخلاف ولاية القضاء والنقابة لامرين احدهما انه لو تراضى الناس بامام وصلى بهم أجزأهم وصحت جماعتهم والثاني أن الجماعة في الصلوات الخمس من السنن المختارة والفضائل المستحسنة وليست من الفروض الواجبة في قول جميع الفقهاء الا داود فانه تفرد بايجابها الا من عذر واذا كانت من الندب المؤكد وندب السلطان لهذه المساجد اماما لم يكن لغيره أن يتقدم فيها مع حضوره فان غاب واستناب كان من استنابه فيها أحق بالامامة وان لم يستنب في غيبته استأذن الامام فيمن تقدم فيها ان أمكن وان تعذر استئذانه تراضى أهل البلد فيمن يؤمهم لئلا تتعطل جماعتهم فاذا حضرت صلاة أخرى والامام على غيبته فقد قيل ان المرتضى للصلاة الاولى يتقدم في الثانية وما بعدها الى ان يحضر الامام المولى وقيل بل يختار للصلاة الثانية ثان يرتضى لها غير الاول لئلا يصير هذا الاختيار تقليدا سلطانيا والذي أراه أولى من اطلاق هذين الوجهين أن يراعى حال الجماعة في الصلاة الثانية فان حضرها من حضر في الاولى كان المرتضى من الجماعة الاولى أحق بالامامة في الصلاة الثانية وان حضرها غيرهم كان الاول كاحدهم واستأنفوا اختيار امام يتقدمهم فاذا صلى امام هذا المسجد بجماعة وحضر من لم يدرك تلك الجماعة لم يكن لهم أن يصلوا فيه جماعة وصلوا فيه فرادى لما فيه من اظهار المباينة والتهمة بالمشاقة والمخالفة واذا قلد السلطان لهذا المسجد امامين فان خص كل واحد منهما ببعض الصلوات الخمس جاز وكان كل واحد منهما مقصورا على ما خص به كتقليد أحدهما صلاة النهار وتقليد الآخر صلاة الليل فلا يتجاوز كل واحد منهما ما رده اليه وان قلد الامامة من غير تخصيص كل واحد منهما ببعض الصلوات لكن رد الى كل

تواحد منهما يوما غير يوم صاحبه كان كل واحد منهما في يومه أحق بالامامة فيه من صاحبه فان أطلق تقليدهما من غير تخصيص كانا في الامامة سواء وأيهما سبق اليها كان أحق بها ولم يكن للاخر أن يؤم في تلك الصلاة بقوم آخرين لانه لا يجوز أن يقام في المساجد السلطانية جماعتان في صلاة واحدة واختلف في السبق الذي يستحق به التقدم على وجهين احدهما سبقه بالحضور في المسجد والثاني سبقه بالامامة فيه فان حضر الامامان في حالة واحدة لم يسبق أحدهما صاحبه فان اتفقا على تقديم أحدهما كان أولى بالامامة وان تنازعا ففيه وجهان أحدهما يقرع بينهما ويتقدم من قرع منهما والثاني يرجع الى اختيار أهل المسجد لاحدهما ويدخل في ولاية هذا الامام تقليد المؤذنين ما لم يصرح له بالصرف عنه لان الاذان من سنين الصلوات التي ولى القيام بها فصار داخلا في الولاية وله أن يأخذ المؤذنين بما يؤديه اجتهاده اليه في الوقت والاذان فان كان شافعيا يرى تعجيل الصوات في اول الاوقات وترجيع الاذان وافراد الاقامة اخذ المؤذنين بذلك وان كان رأيهم بخلافه وان كان حنفيا يرى تأخير الصلوات الى آخر الاوقات الا المغرب ويرى ترك الترجيع في الاذان وتثنية الاقامة اخذهم بذلك وان كان رأيهم بخلافه ثم يعمل الامام على رأيه واجتهاده في احكام صلاته فان كان شافعيا يرى الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم والقنوت في الصبح لم يكن للسلطان أن ينهاه عن ذلك ولا للمأمومين ان ينكروه عليه وكذلك ان كان حنفيا يرى ترك القنوت في الصبح وترك الجهر بالبسملة عمل على رأيه ولم يعارض فيه والفرق بين الصلاة والاذان انه يؤدي الصلاة في حق نفسه فلم يجز أن يعارض في اجتهاده والمؤذن يؤذن في حق غيره فجاز أن يعارض في اجتهاده فان أحب المؤذن انه يؤذن لنفسه على اجتهاده أذن بعد الاذان العام أذانا خاصا لنفسه على رأيه يسر به ولا يجهر .

الامامة في صلاة الجمعة

واما الامامة في صلاة الجمعة فقد اختلف الفقهاء في وجوب تقليدها فذهب ابو حنيفة واهل العراق الى انها من الولايات الواجبات وان صلاة الجمعة لا تصح الا بحضور السلطان أو من يستنيبه فيها وذهب الشافعي رضي الله عنه وفقهاء الحجاز الى ان التقليد فيها ندب وأن حضور السلطان ليس بشرط فيها فان أقامها المصلون على

شرائطها انعقدت وصحت ويجوز أن يكون الامام فيها عبدا وان لم تنعقد ولايته وفي جواز امامة الصبي قولان ولايجوز اقامتها الا في وطن مجتمع المنازل يسكنه من تنعقد بهم الجمعة لا يظعنون عنه شتاء ولا صيفا الا ظعن حاجة سواء كان مصر أوقرية وقال أبو حنيفة تختص الجمعة بالامصار ولا يجوز اقامتها في القرى واعتبر المصر بأن يكون فيه سلطان يقيم الحدود وقاض ينفذ الاحكام واختلف في وجوب الجمعة على من كان خارج المصر فأسقطها ابو حنيفة عنهم وأوجبها الشافعي عليهم اذا سمعوا نداءها منه واختلف الفقهاء في العدد الذي تنعقد به الجمعة فذهب الشافعي رضي الله عنه الى انها لا تنعقد الا بأربعين رجلا من أهل الجمعة ليس فيهم امرأة ولا عبد ولا مسافر واختلف اصحابه في امامهم هل يكون زائدا على العدد أو واحدا منهم فذهب بعضهم الى انها لا تصح الا بأربعين سوى الامام وقال أكثرهم يجوز ان يكونوا أربعين مع الامام وقال الزهري ومحمد بن الحسن تنعقد باثني عشر سوى الامام وقال أبو حنيفة والمزني تنعقد باربعة أحدهم الامام وقال الليث وأبو يوسف تنعقد بثلاثة أحدهم الامام وقال أبو ثور تنعقد باثنين كسائر الجماعات وقال مالك لا اعتبار بالعدد في انعقادها وانما الاعتبار أن يكونوا عددا تبنى لهم الاوطان غالبا ولا يجوز أن تقام الجمعة في السفر ولا خارج المصر الا أن يتصل بناؤه واذا كان المصر جامعا لقرى قد اتصل بناؤها حتى اتسع بكثرة أهله كبغداد جاز اقامة الجمعة في مواضعه القديمة ولا يمنع اتصال البنيان من اقامتها في مواضعها وان كان المصر واحدا في موضوع الاصل وجامعه يسع جميع أهله كمكة لم يجز أن تقام الجمعة فيه الا في موضع واحد منه وان كان المصر واحدا متصل الابنية لا يسع جامعه جميع أهله لكثرتهم كالبصرة فقد اختلف اصحاب الشافعي في جواز اقامة الجمعة في موضعين منه للضرورة بكثرة أهله فذهب بعضهم الى جوازها وأباه آخرون وقال ان ضاق بهم اتسعت لهم الطرقات فلم يضطروا الى تفريق الجمعة في مواضع منه وان أقيمت الجمعة في موضعين في مصر قد منع أهله من تفريق الجمعة فيه ففيه قولان أحدهما ان الجمعة لاسبقهما باقامتها وعلى المسبوق أن يعيد الصلاة ظهرا والقول الثاني ان الجمعة للمسجد الاعظم الذي يحضره السلطان سابقا كان أو مسبوقا وعلى من صلى في الاصغر اعادة صلاتهم ظهرا وليس لمن قلد امامة الجمعة ان يؤم في الصلوات الخمس واختلف فيمن قلد امامة الصلوات الخمس هل

يستحق الامامة في صلاة الجمعة فمنعه منها من جعل الجمعة فرضا مبتدأ وجوزها له من جعلها ظهرا مقصورة واذا كان الامام في الجمعة يرى أنها لا تنعقد بأقل من اربعين رجلا وكان المامومون وهم اقل من اربعين رجلا يرون انعقاد الجمعة بهم لم يجز ان يؤمهم ووجب عليه ان يستخلف عليه احدهم ولو كان الامام يرى انها تنعقد باقل من اربعين رجلا والمأمومون لا يرونه وهم اقل لم يلزم الامام ولا المامومين اقامتها لان المامومين لا يرونه والامام لم يجد معه من يصليها واذا أمر السلطان الامام في الجمعة ان لا يصلي باقل من اربعين لم يكن له أن يصليها باقل من اربعين وان كان يراه مذهبا لانه مقصور الولاية على الاربعين ومصروف عما دونها ويجوز أن يستخلف عليهم من يصليها لصرف ولايته عنها واذا أمره السلطان أن يصلي بأقل من اربعين وهو لا يراه ففي ولايته وجهان أحدهما انها باطلة لتعذرها من جهته والثاني انها صحيحة ويستخلف عليها من يراه منهم

الامامة في الصلوات المسنونة

وأما الامامة في الصلوات المسنونة في الجمعة فخمس صلاة العيدين والخسوفين والاستسقاء وتقليد الامامة فيها ندب لجوازها جماعة وفرادى واختلف في حكمها فذهب بعض اصحاب الشافعي الى انها من السنن المؤكدة وذهب آخرون منهم الى انها من فروض الكفاية وليس لمن قلد امامة الصلوات الخمس أو امامة الجمعة حق في اقامتها الا أن يقلد جميع الصلوات فتدخل في غيرها. فأما صلاة العيد فوقتها ما بين طلوع الشمس وزوالها ويختار تعجيل الاضحى وتأخير الفطر ويكبر الناس في ليلتي العيدين من بعد غروب الشمس الى حين أخذهم في صلاة العيد ويختص عيد الاضحى بالتكبير عقيب الصلوات المفروضة من بعد صلاة الظهر من يوم النحر الى بعد صلاة الصبح من آخر أيام التشريق ويصلى العيدين قبل الخطبة والجمعة بعدها اتباعا للسنة فيهما وتختص صلوة العيدين بالتكبيرات الزوائد واختلف الفقهاء في عددها فذهب الشافعي رضي الله عنه الى انه يزيد في الاولى سبعا سوى تكبيرة الاحرام وفي الثانية خمسا سوى تكبيرة القيام قبل القراءة فيهما وقال مالك يزيد في الاولى ستا وفي الثانية خمسا سوى تكبيرة القيام وقال ابو حنيفة يكبر في الاولى ثلاثا قبل القراءة وفي الثانية

اربعا سوى تكبيرة القيام قبل القراءة ويعمل الامام في هذه التكبيرات الزوائد على رأيه واجتهاده وليس لمن ولاه أن يأخذه برأي نفسه بخلاف العدد في صلاة الجمعة لانه يصير بذكر العدد في صلاة الجمعة خاص الولاية ولا يصير بذكر التكبير في صلاة العيد خاص الولاية فافترقا فأما صلاة الخسوفين فيصليهما من ندبه السلطان لهما أو من عمت ولايته فاشتملت عليهما وهي ركعتان في كل ركعة ركوعان وقيامان يطيل القراءة فيهما فيقرأ في القيام الاول من الركعة الاولى سرا بعد الفاتحة بسورة البقرة أو بقدرها من غيرها ويركع مسبحا بقدر مائة اية ثم يرفع منتصبا ويقرأ بعد الفاتحة بسورة ءال عمران أو بقدرها ويركع مسبحا بقدر ثمانين اية يسجد سجدتين كسائر الصلوات ثم يصنع في الركعة الثانية كذلك يقرأ في قيامها ويسبح في ركوعها بثلثي ما قرأ وسبح في الركعة الاولى ثم يخطب بعدها وقال أبو حنيفة يصلي ركعتين كسائر الصلوات ويصلي لخسوف القمر كصلاة كسوف الشمس جهرا لانها من صلاة الليل وقال مالك لا يصلي لخسوف القمر كصلاة كسوف الشمس . فاما صلاة الاستسقاء فمذهوب اليها عند انقطاع المطر وخوف الجدب يتقدم من قلدها بصيام ثلاثة أيام قبلها والكف فيها عن التظالم والتخاصم ويصلح فيها بين المتشاجر والمتخاصم والمهاجر وهي كصلاة العيد في وقتها واذا قلد صلاة العيد في عام جاز مع اطلاق ولايته ان يصليها في كل عام ما لم يصرف واذا قلد صلاة الكسوف والاستسقاء في عام لم يكن له مع اطلاق ولايته ان يصليها في غيره الا ان يقلد لان صلاة العيد راتبة وصلاة الخسوف والاستسقاء عارضة واذا مطروا وهم في صلاة الاستسقاء أتموها وخطب بعدها شكرا ولو مطروا قبل الدخول فيها لم يصلوا وشكروا الله تعالى بغير خطبة وكذلك في الخسوف اذا انجلى ولو اقتصر في الاستقساء على الدعاء بغير صلاة أجزأ وروى أبو مسلم عن أنس بن مالك ان اعرابيا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا رسول الله لقد أتيناك وما لنا بعير ياط ولا صبي يصطبح ثم أنشده (الطويل)

أتيناك والعذراء يدمى لبانها ... وقد شغلت أم الصبي عن الطفل
وألقى بكفيه الصبي استكانة ... من الجوع ضعفا لا يمر ولا يحلى
ولا شيء مما يأكل الناس عندنا ... سوى الحنظل العامي والعلهز الغسل
وليس لنا الا اليك فرارنا ... وأين فرار الناس الا الى الرسل

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يجر رداءه حتى صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال اللهم اسقنا غيثا غدقا مغيثا سحا طبقا غير رائث ينبت به الزرع ويملا به الضرع وتحي به الارض بعد موتها وكذلك تخرجون فما استتم الدعاء حتى ألقت السماء بأرواقها فجاء أهل البطانة يضجون يا رسول الله الغرق فقال حوالينا ولا علينا فانجابت السحابة عن المدينة كالاكليل فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال لله در أبي طالب لو كان حاضرا لقرت عيناه من الذي ينشدنا شعره فقام علي بن أبي طالب فقال كانك يا رسول الله أردت قولا (الطويل)

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للارامل
يلوذ به الهلاك من آل هاشم ... فهم عنده في نعمة وفواضل
كذبتم وبيت الله يبزى محمد ... ولم لا تقاتل دونه وتناضل
ونسلمه حتى نصرع حوله ... ونذهل عن أبنائنا والحلائل

فقام رجل من كنانة فانشد النبي صلى الله عليه وسلم (المتقارب)

لك الحمد والحمد ممن شكر ... سقينا بوجه النبي المطر
دعا الله خالقه دعوة ... وأشخص معها اليه النظر
فلم يك الا كالقى الردا ... وأسرع حتى رأينا الدرر
رقاق الغزال وجم النياق ... أغاث الله عليا مضر
وكان كما قاله عمه ... أبو طالب أبيض ذا غرر
به الله أرسل صوب الغمام ... وهذا العيان وذاك الخبر

فقال صلى الله عليه وسلم ان يكن شاعر يحسن فقد أحسنت ولبس السواد مختص بالائمة في الصلوات التي يقام فيها دعوة السلطان اتباعا لشعاره الآن ويكره مخالفته فيه وان لم يرد به شرع تحرزا من مباينته واذا تغلب من منع من الجماعة كان عذرا في ترك المجاهرة بها واذا أقامها المتغلب مع سوء معتقده اتبع فيها ولا يتبع على بدعة يحدثها

عمل ملوك تونس في ولاية الائمة

- هذا ما ذكره الامام الماوردي في حق الولاية على امامة الصلوات واحكامها واما الطريقة الجاري عليها عمل ملوك تونس لهذا الزمان في تقديم الائمة للصلوات والائمة

هم خطباء الجوامع التي تقام بها الجمعة في هذا العهد وكانوا في القديم لا يجمعون بين الخطتين الا فيما قل فالامام يقع اختياره من بين اهل الفضل والعلم وهذه هي القاعدة المطردة في الماضي والحاضر والفضل في ذلك يرجع باجمعه للملوك الحسينيين لما توفقوا اليه من تنشيط بيوت العلم والمجد لينسج الخلف على منوال السلف وبسبب هذا التنشيط المشروع امكن استقرار امامة بعض الجوامع في بيوت معلومة يتوارثونها عن جدارة لتوفر شروطها فيهم جزاء وفاقا حتى اذا حادوا (لا قدر الله) عن طريقها الاقوم صرفت لغيرهم ممن هو احق منهم بها لان من حرم مستحقا واعطى غير مستحق فقد ظلم مرتين ولقد سئل العلامة عماد الفتوى الشيخ اسماعيل التميمي عن امام مسجد اقيم للامامة مع وجود من هو اصلح منه فاجاب : ان الولايات امانة عند اولي الامر فيجب عليهم اداؤها لاهلها فان اعطوها لغيرهم فقد خانوا الامانة وعصوا الله ورسوله وخانوا المؤمنين ذكر الحافظ ابن حجر في كتاب السياسة الالهية بعد ان قرر سبب نزول قوله تعالى « ان الله يامركم ان تودوا الامانات الى اهلها » هي امانة الولاية على سدانة الكعبة ما نصه فيجب على من ولي الامر ان يولي كل عمل من اعمال المسلمين اصلح من يجده لذلك العمل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم من ولي من امر المسلمين شيئا فولى رجلا وهو يجد من هو اصلح منه للمسلمين فقد خان الله ورسوله والمؤمنين وفي رواية من قلد رجلا على عصابة وهو يجد لتلك العصابة من هو ارضى منه فقد خان الله وخان رسوله وخان المؤمنين رواه الحاكم في صحيحه فالواجب على من اولي امور المسلمين ان يستعمل فيما تحت يده في كل موضع اصلح من يقدر عليه ولا يقدم الرجل لسبب غير الاصلحية فعن عمر رضي الله عنه من ولي من امر المسلمين شيئا فولى رجلا لمودة او قرابة بينهما فقد خان الله ورسوله والمسلمين اهـ. واتفق مرة حصول شذوذ عن هذه القاعدة في اوائل هذا القرن عند ثغور خطة الامامة بجامع باردو فقامت قيامة بعض اهل العلم ونادوا جهرا بوجوب منع تقديم من تعين لتلك الخطة مع وجود من هو اصلح منه لها في زمنه وبسببه نسخت الولاية الشاذة المشار اليها واسندت الخطة لاحد شيوخ العلم من مدرسي جامع الزيتونة واتفق مرة اخرى حدوث عارض دفعي منع ائمة جامع الزيتونة عن المباشرة افضى للاستنابة عنهم فاختار الوزير الشيخ محمد العزيز بوعتور لذلك قاضي الجماعة الشريف الشيخ محمد الطيب النيفر اذ لا يخفى ما

للهاموم على الامام من الحقوق وما للنفوس من الميل للصلاة خلف الائمة التقاة والعلماء الثقاة وهذه سجية نجد اثرها في كل عصر فان العلامة المرحوم الشيخ محمد رضوان قاضي الحنفية لما احس بقرب اجله اوصى بالصلاة عليه للعلامة المفتي الشيخ محمد بن الخوجه لاعتقاده بتقواه وفي الحديث ائمتكم شفعاءكم ومن اراد الاستزادة من الشواهد والنصوص في هذا المقام فعليه بمراجعة الموسوعات الفقهية بالمذهبين وسبحان الله خالق كل حي ومدبر كل شيء لا اله الا هو لا معبود سواه

الباب الخامس

في التعريف بمدارس طلبة العلم

اعلم ان الدول الاسلامية امتازت في كل العصور بانشاء المدارس لنشر العلم ومن اشهر المدارس في القرون الاولى مدارس بغداد بالمشرق واشهرها المدرسة النظامية في العصر العباسي ومدارس قرطبة بالاندلس وكانت طافحة بالمتعلمين تضم الذكور والاناث والمسلم وغير المسلم قالوا ان ابن رشد الحفيد كان يقري بها درس الحكمة ثم يعيده باللغة اللاطينية لتلامذته من النصارى الذين لا يفهمون العربية واقدم المدارس التونسية المعروفة هي المدرسة الشماعية (١) الموجودة لهذا الزمان اسسها

---

(١) من مدارس العصر الحفصي مدرسة المعرض وبعض المؤرخين كتبها بلفظ المفرض بالفاء لا بالعين وهذه المدرسة تعرض لذكرها القلقشندي في صبح الاعشى (جزء ٥ صفحة ١٠٢) وقال انها ثالثة ثلاث والاخريان هما المدرسة الشماعية والمدرسة التوفيقية وسماها مدرسة الهواء مما يدل على ان شهرتها بهذا الاسم قديمة لا حديثة والقلقشندي من رجال المائة الثامنة توفى سنة ٨٢١ وفي تاريخ المونس ان مدرسة المعرض كان موقعها بحومة القشاشين وهي الواقعة بين نهج الكتبية وسوق البلاط وكانوا ينعتون جهة الكتبية في القرن الحادي عشر وما بعده باسم الطيبين لانه كان هنالك سوق لبيع الزهور التي تصنع منها العطور بحوانيت سوق العطارين وممن كان يتعاطى التجارة في الزهور والرياحين العلامة الشيخ محمد قويسم صاحب موسوعة سمط اللال فانه كان يقري الحديث بجامع محمد باي المرادي ويتمعش من تجارته في الزهور والزهر مسك والحديث نسك ومما ورد ذكره في تواريخ تونس

الامير ابو زكرياء يحيى بن الشيخ ابي محمد عبد الواحد بن ابي حفص في سنة ٦٣٣ وعلى منواله نسج السلاطين الحفصيون من ذريته وجاءت الدولة المرادية في المائة الحادية عشرة فاقتفى رجالها ذلك السبيل وامتازت من بعدهم الدولة الحسينية بتشييد مدارس كثيرة وكان اوفر ملوكها حظا في هذا المقام المولى حسين باي بن علي تركي وحفيده للاخ الباشا علي باي الاول فقد احدثا عدة مدارس ما زالت قائمة الذات لهذا الزمان وتوفق في هذا العهد جماعة من اهل الخير بعضهم من جزيرة جربة لانشاء جملة من المدارس لسكنى طلبة العلم وقفوا عليها اوقافا معتبرة لاستدامة النفع بها

اما المدارس الموجودة لهذا الزمان التي يعمر اكثرها طلبة جامع الزيتونة وفروعه فهي التي سنذكر اسماءها بالجدول الاتي مرتبة حسب تواريخ ظهورها في الوجود ثم نتبعها بتعريف تاريخي في بيان نشأتها واحدة واحدة والله المستعان

ايضا مدرسة الرياض بالحلفاوين كانت موجودة في زمن المؤرخ الشيخ ابن ابي دينار ومدرسة الوزير البربري الشيخ احمد بن تفراجين ولم تزل لها بقية لهذا العهد بحومة حوانيت عاشور على خطوات من زاوية الشيخ ابراهيم الرياحي وكان بها قبر الوزير المذكور وقفت عليه بالذات وهو من القبور المسنمة صغير الحجم عجيب الصنع تضمن اسم صاحبه وتاريخ وفاته واتفق لي بعد مدة الدخول مرة ثانية لمدرسة ابن تفراجين فلم نجد بها حجارة قبره المتقدم وصفها مما يدل وان يدا طويلة امتدت اليها ونزعتها من محلها للاستقلال بها واختلاس الواح القبور معروف من قديم فقد كان اوقفني مسيو روا كاتب الدولة العام على مجموعة فطواغرافيات لجملة من الالواح لقبور تونسية اخذ صورها من متحف اوتان واذا بعضها من رجال المائة الثامنة والبقية من اهل القرون التالية منهم مشهد قبر المرحوم ايوب امير امراء عسكر التريس بتونس في اواخر القرن الماضي وكان احد النقاشين بتونس سطا على قبر الداي اسطا مراد واخذه لفائدته الشخصية واقتصت منه المحكمة الزجرية بالسجن والخطية واعادت القبر حيث كان ولا ننسى ان احد ضباط الدربة الاقدمين باع بالمال الناض قبور اسلافه لادارة الانطكخانة فرتبت وضعها بتلك القبة الخضراء الموجودة لهذا الزمان ببطحاء القصر بتونس والبطحاء المذكورة كانت بها مقبرة دارسة شاملة للقبور المذكورة وغيرها من الارماس وامثال هذه الاجراءات ونظائرها كثيرة في كل زمان ومكان واعتبر بقول شاعر المعرة

صاح هذي قبورنا تملا الرحـــب فاين القبور من عهد عاد

	المدارس	تاريخ نشأتها	المؤسسون لها
١	المدرسة الشماعية	٦٣٣	الامير ابو زكريا يحيى بن عبد الواحد بن ابي حفص
٢	المدرسة التوفيقية	٦٥٠	زوجته الاميرة عطف
٣	المدرسة العصفورية	توفي مؤسسها عام ٦٦٦	الشيخ ابو علي بن موسى بن عصفور – وهذه المدرسة هي المنتصب بها معهد ابن خلدون في هذا الزمان
٤	المدرسة المرجانية	توفي مؤسسها عام ٦٩٩	الشيخ ابو محمد عبد الله المرجاني
٥	المدرسة المغربية	المائة السابعة	الشيخ ابو محمد عبد الله المغربي
٦	المدرسة العنقية	٧٣٣	الاميرة فاطمة بنت الامير ابي زكرياء الحفصي
٧	مدرسة سيدي يحي	٧٤٧	الشيخ يحيى السليماني – وهي معطلة في هذا الزمان
٨	المدرسة المنتصرية	٨٤١	السلطان محمد المنتصر الحفصي واتمها اخوه السلطان ابو عمرو عثمان
٩	المدرسة الاندلسية	١٠٣٤	اهل جالية الاندلس منهم الشريف الشيخ علي النوي شهر السراج
١٠	مدرسة الزاوية البكرية	اوائل القرن الحادي عشر	الشيوخ البكريون الاولون وانتظمت احوالها في الدولة المرادية
١١	المدرسة المرادية	١٠٨٤	الامير مراد باي الثاني
١٢	مدرسة القائد مراد	١٠٩٣	القائد مراد بن عبد الله المملوك وهي على وشك الاضمحلال

	المدارس	تاريخ نشأتها	المؤسسون لها
١٣	المدرسة اليوسفية	١١٢١	الامير يوسف داي
١٤	مدرسة النخلة	١١٢٦	الباي المولى حسين بن علي تركي
١٥	المدرسة الحسينية الصغرى	١١٢٨	الباي المذكور
١٦	مدرسة الجامع الجديد	١١٣٩	الباي المذكور
١٧	المدرسة المتيشية	بين سنة ١١١٧ وسنة ١١٤٨	الاغة احمد بن متيشة
١٨	مدرسة الزاوية الباهية	١١٦٠	الشيخ احمد الباهي - لا ينتفع بها طلبة الجامع بالسكنى
١٩	مدرسة حوانيت عاشور	١١٥٩	الباشا علي باي الاول
٢٠	المدرسة الباشية	١١٦٦	الباشا المذكور
٢١	المدرسة السليمانية	١١٦٨	الباشا المذكور
٢٢	مدرسة بئر الحجار	١١٧٠	الباشا المذكور واتمها صهره رجب ابن مامي وهي الان تشخص معهدا لتعليم الصنائع تحت نظر ادارة المعارف
٢٣	المدرسة الجاسوسية	قبل سنة ١١٧٨	الشيخ ابو عبد الله الجاسوس
٢٤	المدرسة الجديدة	بين سنة ١١٧٢ وسنة ١١٩٠	الباشا علي باي الثاني
٢٥	مدرسة صاحب الطابع	١٢٢٩	الوزير يوسف خوجة صاحب الطابع
٢٦	المدرسة البشيرية	١٢٤٠	الباشا حسين باي الثاني

	المدارس	تاريخ نشأتها	المؤسسون لها
٢٧	مدرسة الزاوية القادرية بالديوان	١٢٦٦	الشيخ محمد المازوني - لايشملها نظام المدارس العامة
٢٨	مدرسة سيدي شيحة	١٢٦٩	الوزير مصطفى خزندار - تعطل النفع بها
٢٩	مدرسة الشيخ محمد ابن ملوكة	١٢٧٦	المشير محمد الصادق باي ثم جعلت معهدا للتعليم العصري في عام ١٣٠٢ في عهد المولى علي باي الثالث وصار اسمها المدرسة العلوية نسبة لاسمه الشريف
٣٠	مدرسة الشيخ بلخير	١٢٩٠	الشيخ محمد بلخير الساحلي - تعطل النفع بها
٣١	المدرسة الحسينية الكبرى	١٣٤٥	الباشا محمد الحبيب باي
٣٢	المدرسة الحسينية الصغرى	١٣٤٦	الباشا المذكور
٣٣	المدرسة القاسمية	١٣٤٧	السيد الحاج قاسم بن علي بن يوسف الجربي
٣٤	المدرسة الدغرية	١٣٤٧	السيد محمد الدغري الجربي وكان فتحها لسكنى الطلبة في عام ١٣٥١
٣٥	المدرسة الحمزية	١٣٤٨	السيد حسن بن الحاج علي حمزة المهدوي
٣٦			
٣٧	المدرسة الصالحية	١٣٥٦	السيد محمد الصالحي
	مدرسة الهداية	١٣٥٧	السيد الحاج احمد بن الامين الجربي

تلك جملة المدارس الخاصة بطلبة العلم بجامع الزيتونة وفروعه عدا ما ورد ذكره في جملتها مما وقع تخصيصه في هذا العهد لمشاريع اخرى من فنية او صناعية او بطل النفع به واليك الان حديث كل مدرسة بذاتها مع تاريخ نشأتها وفقا لما تقدمت الاشارة اليه بفهرسة تلك المدارس

١

المدرسة الشماعية

سميت كذلك نسبة لسوق الشماعين الذي كان حولها في اوائل الدولة الحفصية ثم صار اسمه سوق السبابطيين في الدولة المرادية واسمه اليوم سوق البلغاجية وهي من حسنات الامير ابي زكرياء يحي بن الشيخ ابي محمد عبد الواحد بن ابي حفص وذلك في سنة ٦٣٣ اي في الوقت الذي اتم فيه بناء صومعة جامعه بالقصبة وهذا الامير هو الذي احدث سوق العطارين وبديهي ان يكون سوق الشموع من ملحقات سوق العطارين وكان صنع الشموع (١) من التجارة الرابحة بتونس ولم يبق للشموع في هذا الزمان

---

(١) الشموع التي تـرج بالجوامع مستفادة كما هو معلوم من شمع الشهد والشهد هو ما يلـده النحل قال تعالى واوحى ربك الى النحل الاية ولما انتشر بهذه الديار استعمال الشمع المصنوع باروبا انكر المسلمون اسراجه في بيوت العبادة خشية احتوائه في تراكيبه على مواد غير طاهرة وان لم تكن لان الشموع الاروبـاوية مصنوعة من مواد كمياوية ممزوجة بشحوم الحوت او الضان والاصل في الاشياء الطهارة واشهر هذه الشموع الاروباوية هو الشمع الفرني المعروف وكان المقدس المبرور الشيخ احمد الشريف امام جامع الزيتونة يمنع تنوير ثريات الجامع بهذا الشمع ويشترط على الجمعية صنع شمع عربي مناسب حجمه لهاتيك المصابيح وها هي القناديل الكهربائية جاءت لفصل النازلة وذهب امر الشموع في خبر كان والعامة في تونس ينعتون الشمعة الاروباوية بقولهم شمعة بوجي تمييزا بينها وبين الشمع العربي ولا يفهمون معنى للفظ بوجي فلا باس بشرحه اليهم حتى يكونوا على بينة منه ذلك ان لفظ بوجي في اللغة الفرنساوية هو اسم بلد بجايه قاعدة ملك بني حماد وهو الثغر المعروف بالجزائر وكان لهذا البلد خلطة تجارية وعلاقة بتجار البندقية في المائة الثالثة للهجرة فتعلموا بها اي ببجاية كيفية صنع الشموع عند العرب ونشروه باروبا فسموه باسم البلد الـذي

رواج الا بنسبة ما تدعو اليه الحاجة من ترتيب الافراح كوقت زفاف العروس ولا سيما عند ولائم الاختان التي يقيمها لفيف التونسيين على قارعة الطريق حال توجههم بالصبي المقصود اختتانه للتبرك بزيارة مقام الشيخ سيدي محرز بن خلف والشرب من بئر زاويته وهي عادة عامية ذات رونق وانشراح تزداد بهجتها حسنا بقصائد المديح وترديد ابيات البردة من افواه الصبيان اتراب الطفل المختون وهاهم زادوا اليوم في الطنبور نغمة باضافة طاقم من الموسيقى لمصاحبة اولئك الصبيان في سيرهم حول الازقة والانهاج ولنرجع لحديث المدرسة الشماعية فنقول انني لم اقف بكتب التاريخ على ذكر مدرسة قبلها بحاضرة تونس وقد تداعت احوالها في اواخر العصر الحفصي فتداركها الداي احمد خوجه بتجديد عمارتها في سنة ١٠٥٧ على عهد الدولة المرادية وممن تولى مشيختها في القرن الماضي جماعة من ءال البيت الخوجي منهم الشيخ احمد بن الخوجة الاول اقرأ بها شرح المحلي على جمع الجوامع وكان درسه جامعا لعلماء من طبقات متعددة منهم الشيخ محمد النيفر الاكبر كان يحضر هذا الدرس مع استاذه الشيخ محمد بن الخوجه ثم يصاحب استاذه المذكور لجامع الزيتونة لقراءة مختصر السعد عليه ورايت بخط بعض الافاضل ان ممن سكنها في طلب العلم جماعة من ائمة المذهبين في عصور مختلفة منهم ابن عرفة والبرزلي والابي ومن المتاخرين الشيخ اسماعيل التميمي وقد اقتضت وقفيتها ترتيب جراية لطلبة العلم بها كان مقدارها ريالين في الشهر على عهد المشير محمد الصادق باي وكانت في القرن الماضي من المدارس الخاصة بسكنى الطلبة الحنفية وكانت جراية المدرس بها في الدولة الحفصية

اخذوه عنه وهو بجاية التي هي بوجي في لغتهم وكان الاروباويون في ذلك الزمان لا يسرجون الشموع الا عند حلول المصائب العامة كالطاعون والوباء والحروب وشبه ذلك فيوقدونها بالكنائس وبيوت الديانة تطلبا للفرج وانظر ما لهذه العقيدة النصرانية من الشبه مع ما جرت به العادة في بعض البلاد الاسلامية كبلادنا تونس من النذور التي يقدمونها في صورة شموع للاسراج بالضرحة الصالحين تطلبا لبرء مريض او لقضاء حاجة وهو عمل ليس من الدين في شيء قال في معجم المعلم لاروس ان الحكيم ابا بكر الرازي الطبيب المشهور في المائة التاسعة للميلاد كان يداوي المصابين بضيق المجرى بمفاتيل لينة من شمع الشهد مما يدل وان الشموع كانت معروفة عند العرب في الشرق والغرب منذ القرون الاولى للهجرة

عشرة دنانير في الشهر تبرع بها الشيخ ابو العباس الغرناطي صاحب كتاب المشرق في ادباء المشرق والمغرب وكانت له نافذة بين بيته وبين المدرسة لسماع ما يقرأ بالمدرسة

(٢)

المدرسة التوفيقية

هذا اسمها المهجور المعروفة به في كتب التاريخ واما اسمها المشهور فهو مدرسة جامع الهواء احدثتها الاميرة عطف زوجة الامير ابي زكرياء يحي بن عبد الواحد ابن ابي حفص وام السلطان امير المؤمنين (١) محمد المستنصر بن ابي زكرياء وكان ذلك في سنة ٦٥٠ بنتها في ءان واحد مع جامع التوفيق ولك ان تقول جامع الهواء ورتبت بها دروسا علمية واوقافا جارية لاستدامتها وكانوا في ذلك الزمان يسندون مشيختها لامام الجامع واول من تولى تينك الخطتين العالم الخطيب الشيخ ابو عبدالله محمد الشريف من اصحاب الامام الشاذلي توفى سنة ٦٦٦ وتولاها ايضا في المائة السابعة الفقيه الصالح الشيخ محمد بن نصر عرف البسكري وكان معاصرا للسيدة عائشة المنوبية رضي الله عنهما وممن سكنها في المائة الثامنة الشيخ محمد الابي شارح صحيح مسلم وذكر فيما كتبه على كتاب الطاعون من شرحه هذا ان الوباء نزل بتونس سنة ٧٩٦ والشيخ الابي يسكنها فمات احد تلامذتها بالطاعون وكان مدرسها الشيخ محمد

---

(١) هو السلطان التونسي الوحيد الذي تلقب بامير المؤمنين جاءته البيعة من مكة المشرفة ومن الاندلس وخطبوا باسمه في الشرق والغرب قال في المونس : وفي سنة سبع وخمسين (وستمائة) وصلت بيعة مكة بانشاء عبد الحق بن سبعين وقرئت على الناس فعند ذلك تسمى بامير المؤمنين ولقب بالمستنصر بالله (وكان اسمه محمدا) وتلقب قبله عبد المؤمن بن علي بامير المسلمين وكانوا مع ذلك ينعتونه بالخليفة من باب التوسع والاغراق في الاجلال والتعظيم وكيف لا وهو الذي قال فيه الشاعر

ما هز عطفيه بين البيض والاسل مثل الخليفة عبد المؤمن بن علي

قالوا لما اراد هذا الشاعر الاسترسال في انشاد قصيدته التي هذا مطلعها قاطعه عبد المؤمن وامر له بالف دينار ولما سئل في ذلك قال لانه لم يبق له ما يقول

ابن عرفه قد شرع في قراءة الصيف فهجرها حتى جاءه الشيخ الابي وعرض له بالمجيء فقال اليس الوباء قد وقع عندكم وذكر له احاديث النهي عن دخول ارض الوباء وحديث فر من المجذوم فرارك من الاسد ثم عاد الى التدريس بعده وبالتالي تلاشت احوالها كما يستفاد ذلك من كلام الشيخ ابن ابي دينار في كتابه المونس ثم جددت عمارتها في الدولة الحسينية ومن شيوخها في المائة الماضية الشيخ محمد بن ملوكه والمفتي الشيخ حمده الشاهد هذا وقد صرفت جمعية الاوقاف في الزمن الحاضر مهجتها للزيادة في عمارة هذه المدرسة بالاصلاح والتوسعة اسعافا لاهل العلم شكر الله سعي الساعين في ذلك – ومما يستحب اضافته لما قدمنا ما ذكره العلامة المؤرخ صاحبنا امير اللواء ابو محمد السيد حسن عبد الوهاب في كتابه المسمى شهيرات التونسيات من ان هذه المدرسة هي اول معهد علمي مستقل اسس بتونس ونقل ابياتا في حق المحسنة الجليلة صاحبة هذه المبرة الخالدة من نظم فارس القريض الاديب ابي الحسن السيد الشاذلي خزندار ونصها :

ان غاب شخصك يا ذات الجلال فما ... غابت مآثرك البيضا اياديها
في تونس ظهرت اولى المدارس عن ... يديك تستمطر الرحمى لبانيها
مرت بها الناس احيالا وذكرك في ... افواهها يتفشى بالدعا فيها

٣

المدرسة العصفورية

نسبة للشيخ ابي علي بن موسى المعروف بابن عصفور الاشبيلي من ائمة النحاة توفى سنة ٦٦٦ مغتالا لمقال صدر منه بمجلس السلطان محمد المستنصر الحفصي قال له السلطان معجبا ببذخ عيشه وهو جالس على حافة جابيته برياض ابي فهر باريانة لقد اصبح ملكنا عظيما . فاجابه قائلا : بنا وبامثالنا . فكانت هذه العبارة الناطقة باعجاب الشيخ بنفسه سببا في القضاء عليه غرقا بتلك الجابية وفي ذلك ما يدل على ان اهل العلم ابعد الناس عن السياسة ولو قال له مثلا : نعم انما ذلك بحسن تدبيرك وحصافة رأيك الذي جعلنا نرتع في بحبوحة نعمتك ونخدم العلم على ما يرضي الله

ويرضيك لكان الجزاء شيئا اخر ولكنها انفاس معدودة نعوذ بالله من هفوات اللسان فهذه المدرسة التي هي من مئاثر العصر الحفصي موقعها بدرب ابن عبد السلام وهو الزقاق المنتصب به معهد ابن خلدون بسوق العطارين في هذا الزمان والميضاة المواجهة لهذه المدرسة من محدثات السلطان ابي عمرو عثمان الحفصي انشأها في سنة ٨٥٤ وبالتالي تلاشت احوال المدرسة المذكورة ثم جددت عمارتها في سنة ١٣٠٨ على يد ادارة المعارف وكتبوا يومئذ فوق بابها ابياتا بالنقش هذا مطلعها

هذا بناء محكم ما انفسه لله همة ماجد قد اسسه

ولعل المصراع الثاني من هذا البيت يشير للمسيو ماشويل مدير المعارف نعم انه وردت بعد ذلك ابيات اخرى في الاشارة لامير العصر وهو المولى علي باي الثالث وبيت التاريخ هو هذا

تدعى بعصفورية تاريخها حيث قوى الاوقاف روح المدرسة

١٣٠٨

وهذا التاريخ لا يوافق سنة ١٣٠٨ بحساب الجمل واضراب هذه الاغلاط كثيرة في النقوش التاريخية

ولما صارت هذه المدرسة من مشمولات انظار ادارة المعارف جعلتها مدرسة لترشيح المؤدبين في عام ١٣١٣ ثم ابدلت اسمها فجعلتها مدرسة ترشيح المعلمين ومن تولى ادارتها في الاول شيخنا قاضي الجماعة ابو الفدا الشيخ اسماعيل الصفايحي ومن مدرسيها المفتي المرحوم الشيخ ابراهيم المرغني والعلامة المفتي الشيخ بلحسن النجار وبالتالي نقلت مدرسة ترشيح المعلمين لمدرسة بئر الحجار ثم للمدرسة العلوية الجديدة وضمت المدرسة العصفورية لمعهد ابن خلدون وبها يتلقى اليوم تلامذة جامع الزيتونة دروسهم في الرياضية والجغرافية والصرف والخط الخ للاستعانة بالمعلقات والخرائط الجدارية لزيادة التوضيح والبيان اثناء قيام الاساتذة بدروسهم في تلك الفنون قياسا على اسلوب التعليم بالمدارس العصرية

٤

المدرسة المرجانية

تقدم بين يدي القاري تعريفا اوليا في بيان من اشتق من اسمه اسم هذه المدرسة لوجود ثلاثة نفر بتونس من اهل الصلاح كان كل منهم يسمى بالمرجاني وهم الشيخ ابو محمد عبد الله المرجاني صاحب هذه المدرسة وهو نفسه صاحب جامع ابي محمد خارج باب السويقة وهذا الفاضل احدث مدرسته المتحدث عنها رباطا لطلبة العلم وهو من اصحاب الامام الشاذلي توفى سنة ٦٩٩ ودفن بالزلاج والشيخ المرجاني الثاني هو دفين زاويته الموجودة بهذه المدرسة ولا يبعد ان يكون من احفاد الشيخ ابي محمد المرجاني الاول وهذا المرجاني الثاني اشتهر بلقبه دون اسمه وهو المعروف بصاحب الشعرات النبوية رايت بتقييد لبعض الافاضل من شيوخ هذه المدرسة المتاخرين كتبه في سنة ١٣٤٠ بطلب من ادارة المعارف (١) تضمن الاشارة للشعرات المتحدث عنها ونص عبارته : اما الشعرات النبوية المودعة هناك (اي المدرسة المرجانية) فقد ذكر الشيخ الحاج محمد بن سالم بن فرج الحمامي الخلوتي عند شرحه لبيت من ابيات البردة وهو قول الشيخ البوصيري (لا طيب يعدل تربا الخ) عن الشيخ ابن الدباغ قال الشيخ بن الدباغ وتواتر الخبر لدينا ان بدار الاشياخ بتونس (رباط المرجاني) شعرات من شعره عليه السلام وهي الان قارة بالزاوية المرجانية خارج باب قرطجنة ارانيها الان حفيده ابو فارس عبد العزيز فتبركنا بذلك وعنده بذلك برآءة قديمة مكتوب فيها صحة كونها من شعره عليه السلام وتلك الشعرات فيها اثر صفرة وكان شيخنا الصالح ابو الحسن البطريني يصحح لنا كون ذلك حقا اه وكان تاليف الشيخ الحمامي لشرحه على البردة في سنة ١٢٨٢ للهجرة الشريفة

واما الشيخ المرجاني الثالث فهو دفين المسجد الذي بزاويته داخل باب البحر

---

(١) حق علي ان اسجل هنا عبارات الشكر الجميل للفاضل السيد عثمان السبعي حيث اطلعني على ما تجمع لديه من الافادات التاريخية المتعلقة ببعض المدارس اثناء مباشرته لرءاسة قسم الامور العربية بادارة المعارف

وهي غير زاوية الشيخ المرجاني الثاني صاحب الشعرات الشريفة وكان بالمسجد المذكور رواية للحديث فيما استفيد من محفوظات جمعية الاوقاف فوقع نقل هذه الرواية لجامع سبحان الله بمساعي قاضي الجماعة الشيخ محمد بن سلامة واما رواية الحديث بالمدرسة المرجانية فهي من مئاثر الوزير مصطفى خزندار احدثها عند تجديده لعمارة هذه المدرسة في مدة وزارته واسند الرواية المذكورة ومشيخة المدرسة للعلامة الشيخ سالم بوحاجب قياسا على اترابه من اهل العلم وختم الحديث بهذه المدرسة ينعقد في ٢٢ رمضان

(٥)

المدرسة المغربية

لم نقف لهذه المدرسة على خبر بكتب التاريخ ولم نسمع عنها ما يفيد من افواه اهل العلم سوى انها كانت بحال خراب في الزمن الماضي وان الذي جدد عمارتها هو العلامة الشريف الشيخ الشاذلي بن صالح كبير اهل الشورى المالكية في اواخر القرن الفارط قام بذلك من حر ماله احتسابا لوجه الله تعلى واسعافا لطلبة العلم وعندي ان هذه المدرسة من بقايا العصر الحفصي وانه من المحتمل القريب انها سميت بالمغربية نسبة للشيخ ابي محمد عبد الله المغربي من رجال العلم والصلاح مؤسس جامع باب الجزيرة البراني في المائة السابعة وكان هذا الفاضل من معاصري سميه الشيخ ابي محمد عبد الله المرجاني من علماء الظاهر والباطن ومؤسس جامع ابي محمد والمدرسة المرجانية في القرن السابع ايضا فوجود هذين الشيخين في بلد واحد وفي عصر واحد وكونهما اسس كل منهما جامعا للخطبة كما اثبته التاريخ مما يحمل على الظن وان الشيخ المغربي بنى مع جامعه مدرسة لطلبة العلم قياسا على صنيع سميه صاحب جامع ابي محمد والمدرسة المرجانية والله اعلم وممن تولى مشيختها في القرن الماضي العلامة الشيخ الطيب النيفر جمع بينها وبين مشيخة المدرسة المرجانية والمدرسة المغربية المتحدث عنها موقعها على مقربة من مسجد القبة والعامة يقولون سيد القبة وهي قبة فارغة ليس بها سيد ولا سيدة ولا ما يشم منه رائحة السيادة وانما هم حرفوا لفظ

مسجد الى مسيد باسقاط الجيم لثقلها باللسان بعد حرف السين ثم حذفوا حرف الميم فصار اللفظ سيد بكسر السين فالاسم الحقيقي هو مسجد القبة وحسب وليس هذا المسجد وحده مما تناول اسمه التحريف فان مسجد المشرف بالحجامين يسميه العامة سيد المشرف ورايت بالخلاصة النقية رسمه باسم مسيد المشرف قال : ومن مآثره (مصطفى باي) القبة الشامخة والتربة بمسيد المشرف (يعني مسجد المشرف) للمجذوب السيد حسن مسكه كان من بني قصره وقصر ابيه واخيه ذا كرامات مشهورة وبركات مذكورة اهـ. قلت والمغاربة ينطقون لفظ مسجد بالاشباع فيقولون مسجيد ومنه تفهم سقوط حيمه لثقلها وبقاء الياء المزادة وما يعتاده العامة يقدسونه تقديسهم للعبادة

(٦)

المدرسة العنقية

اسمها مشتق من اسم الزقاق الواقعة فيه وهو نهج عنق الجمل سموه كذلك فيما يلوح لطوله وانحرافه ولا مشاحة في الاصطلاح ومنه نفهم ان نهج عنق الجمل كان معروفا بهذا الاسم في اوائل المائة الثامنة وما قبلها وهذه المدرسة اسستها الاميرة المحسنة فاطمة ابنة الامير ابي زكرياء الحفصي في سنة ٧٣٣ وفي عهد الدولة الحسينية كانت مشيختها بيد الجماعة الحنفية مع اربعة مدارس اخرى وهي المدرسة الشماعية والمدرسة اليوسفية والمدرسة الباشية ومدرسة السواري . وممن تولى مشيخة هذه المدرسة في العصر الحسيني مشائخ الاسلام من ءال بيرم الاعلام فقد تولوها بتواصل من الشيخ الاول حتى حفيده الشيخ الرابع ثم تولاها من بعده الشيخ محمد بن مصطفى بيرم دفين مصر ثم الشيخ محمد السلامي بيرم ابن الشيخ الرابع ومن بعده دخلت المدرسة في سلك النظام الجديد الشامل لكافة مدارس الطلبة . وبعد تحرير هذه الاسطر وقفت على اخبار مفيدة بحق هذه المدرسة منها ان صاحبتها رحمها الله لما اتمت بناءها طلبت من اخيها السلطان ابي يحي ان يكون قاضي الجماعة الشيخ محمد بن عبد السلام مدرسا بمدرستها فاسعفها بذلك فكان الشيخ رحمه الله يقسم الاسبوع بين المدرستين الشماعية وهذه ثم نسبته الاميرة فاطمة للتقصير وصرفته عنها وقدمت غيره مكانه

وممن تولى التدريس بها ايضا الشيخ ابو مهدي الغبريني ثم جماعة من بيت القلشاني وغيرهم من الاعلام

وكانت مشيختها في القرن الماضي بيد الشيوخ البيارمة كما سبقت الاشارة لذلك ذكر الشيخ ابن ابي الضياف في تاريخه ان الشيخ محمد بيرم الثالث دخلها ذات يوم فوجده والشيخ محمد بن سلامه ببيت ابنه الشيخ محمد بيرم الرابع وبيدهم كتاب روض الاداب والاصوات عالية في نقد بيت من الشعر فجلس حذوهم وشارك في الكلام ثم اخذ الكتاب من يد ابنه وكتب على ظهره ارتجالا

ان الزمان الذي تقضيه في الادب ... يراه اهل النهى في جملة اللعب
فاصرفه في شرف ترجى عواقبه ... تاتيك اثاره تنهل كالسحب
وذا مقالي عن نصح افوه به ... وليس يرجى لنصح المرء غير اب

ثم دفع لهم الكتاب وعاد من حيث اتى رحم الله الجميع

٧

مدرسة سيدي يحي

هذه المدرسة واقعة بدرب العسال احدثها العارف بالله الشيخ يحي السليماني مع جامعه الذي بناه سنة ٧٤٧ وهي من الاوقاف الخاصة في تصرف ذرية مؤسسها وليس عليها لجمعية الاوقاف غير النظر العام الشامل لمجموع الاوقاف الخاصة وهي معطلة في هذا الزمان

٨

المدرسة المنتصرية

اسسها السلطان محمد المنتصر الحفصي ومات قبل اتمامها في سنة ٨٣٩ فاتمها اخوه السلطان ابو عمرو عثمان في سنة ٨٤١ ووقف عليها اوقافا واسعة ورتب بها دروسا للعلم وممن اقرا بها في زمنه الشيخ احمد القسنطيني قاضي الانكحة بتونس

ويستفاد من تاريخ الشيخ ابن ابي دينار ان هذه المدرسة تلاشت احوالها بعد الالف فوقع تجديد عمارتها في سنة ١٠٩٠ وهذا التاريخ يوافق مدة الامير علي باي المرادي وكان من شيوخها في اوائل القرن الماضي الشيخ ابو الفلاح صالح الكواش المتوفى سنة ١٢١٨ وكان يسكن دارا موقوفة على شيخ المدرسة تداعت للسقوط فذهب الى الباي حموده باشا وطلب منه تجديد عمارتها فعرض عليه سمو الباي ان يبني له دارا تبقى ملكا اليه فاجابه بما معناه : ليس من حسن العهد ان اسكن الدار حتى اذا تداعت للسقوط تركتها واستبدلت غيرها بها اه ووليها بعده الشيخ محمد بن سلامه فالشيخ علي العفيف فالشيخ سالم بوحاجب قالوا انه لما شغرت مشيختها على عهد وزارة خير الدين راى بعض اهل النظر اسنادها لاحد الاعلام من النيافرة وكان ابو النجاة الشيخ سالم بوحاجب متغيبا يومئذ في ماموريه رسمية خارج العمالة فلاحظ الوزير خير الدين بانه لما كانت تلك المدرسة ممتازة بريعها الواسع عن بقية المدارس يستحب اسناد مشيختها لذلك العالم البعيد عن الديار التونسية في سبيل مصلحة بلاده يعني به الشيخ سالم بوحاجب وهكذا كان فان سمو الباي عمل بهذا الراي ومنح الشيخ النيفري الذي كان متعينا للمنتصرية مشيخة المدرسة المرجانية هكذا سمعت من بعض الشيوخ والعهدة عليه وختم الحديث بهذه المدرسة يقع من كتاب الموطا في يوم ١٩ رمضان .

ثم بعد انتهاء تحرير ما تقدم وقفت على وثائق تاريخية راجعة لعهد الدولة المرادية تضمنت التعريف بتحابيس كثيرة على هذه المدرسة صدرت من الشيخ عبد الملك القفال من رجال القرن الحادي عشر ذكرها باسمائها واوصافها وحدودها وقال انه : وقف جميع الاراضي والشعاب المحدودة المذكورة اعلاه بحقوقها ومنافعها وما يعد منها وينسب اليها ومن حقوقها الستة عشر ثورا للحراثة التي بها والثمان محاريث والثمان كفف والثمان سكك والستين ريالا تسابق الخماسة بالمكان المذكور والخمسة والعشرين قفيزا قمحا والستة اقفزة شعيرا زريعة الاماكن المذكورة المحترثة بها على المدرسة المنتصرية وجعل من ريع ذلك مرتبا جاريا للمدرس بها وهو الشيخ العلامة الراوية المحدث ابو عبد الله محمد بن الفقيه ابي العباس احمد الشيخ وللمؤذنين ولقائمي الليل وللتسييق واسراج المسجد وللزيت والقناديل بها وعلى من يقرا بها احزاب

القرءان العظيم بعد صلاة الصبح وبعد صلاة المغرب بالمد والقصر مع قراءة وظيفة الشيخ سيدي احمد زروق بعد صلاة الصبح ويهدون ثواب ذلك للمحبس بتاريخ اواسط رجب عام ١٠٨٩

(٩)

المدرسة الاندلسية

يستفاد من بعض رسوم موقوفاتها انها كانت تسمى بالمدرسة الاندلسية وبمدرسة الشيخ شعبان الاندلسي الذي سياتي ذكره واعلم ان لاهل الجالية الاندلسية بتونس مآثر خالدة في مقام البر والمعروف والانظمة الاجتماعية نشروها بين التونسيين عند نزوحهم لهذه الديار في اوائل القرن الحادي عشر فمن تلك المآثر الخالدة جامعهم المعروف بجامع سبحان الله خارج باب السويقة وهذه المدرسة المنسوبة اليهم وتسمى ايضا مدرسة سيدي العجمي نسبة للولي الذي ضريحه بجوارها وقد كان بناؤها في سنة ١٠٣٤ بعد احداثهم للجامع المتقدم ذكره قالوا ان المرحوم يوسف داي هو الذي رغبهم في احداث هذه المدرسة التي لقبوها بمدرسة الفتح تفاؤلا بالفرج بعد الشدة والاضطهاد الذي الجأهم لمبارحة بلاد مسقط راسهم فرارا بدينهم ولما تم بناؤها كتبوا بجدارها هذه العبارة : بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وسلم هذه مدرسة الفتح تسبب في بنائها جماعة من الاندلس احدهم السيد الشريف ابو الحسن علي بن ابي عبد الله محمد النوي شهر ابن السراج نقيب الشرفاء الاندلسيين والسيد الشريف محمد بن محفوظ ومحمد بن عبد الكريم اجزل الله ثواب الجميع بتاريخ اواخر رجب عام ١٠٣٤ اهـ واول من انتصب بها للتدريس العلامه الشيخ شعبان الاندلسي من مشاهير علمائهم الوافدين على تونس في عهد المرحوم عثمان داي وممن تولى مشيختها في القرن الماضي قاضي الجماعة الشيخ ابو الفدا اسماعيل التميمي وبها كان يسكن في اوائل هذا القرن الاديب ابو محمد حسن المزوغي الشاعر المطبوع وكان له بها مجالس انس وفكاهة مع بعض معاصريه من طبقته قبل انتظام

احوال المدارس على يد ادارة المعارف وتوفى الاديب المزوغي سنة ١٣٢٣ ومن شعره في مدح امير زمانه المولى علي باي الثالث

وتابى القوافي غير باب مديحكم وفي مدحكم قد ساعد النظم والنثر

وهذه المدرسة عليها اوقاف كثيرة وقع ضبطها سنة ١١٠٠ على عهد محمد باي المرادي جمع رسومها وحفظها بجامعه المواجه للزاوية المحرزية ويستفاد من بعض هذه الرسوم تخصيص الثلث من ريع بعض اوقافها لمن يقرا بها كتاب تنبيه الانام

١٠

مدرسة الزاوية البكرية

اعلم ان لآل بيت البكري قدم رسوخ في عريق المجد يتصل نسبهم بالخليفة الثالث سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه وجد نسلهم الموجود لهذا الزمان هو الفقيه الحافظ الشيخ ابوبكر دفين المنيهلة كان من الصالحين الاخيار ومن رجال المائة الخامسة وهو المؤسس للزاوية البكرية المنسوبة اليه وبها مقابر اعقابه الى هذا العهد وهذه الزاوية هي نفسها المدرسة البكرية وبلا شك انها كانت موجودة في الدولة الحفصية لان سمعتها كانت عمومية في الدولة المرادية لا سيما في اوائل القرن الحادي عشر على عهد الشيخ تاج العارفين البكري امام جامع الزيتونة تعرض لذكرها الشيخ ابن ابي دينار في المونس وقال انها كانت في زمنه من الاماكن المعظمة التي يسعى الناس للحضور بها لسماع قصة المولد الشريف وقصائد المديح ويدوم الاحتفال والزينة بها نحو الخمسة عشر يوما ومن المواهب الربانية ان كان مجد البكريين قائما على دعامتين الدعامة البكرية والدعامة القشاشية حيث كان جدهم للام هو الولي الشيخ ابو الغيث القشاش رضي الله عنه والزاوية المتحدث عنها ذات ثروة واسعة بفضل الاوقاف الكثيرة التي وقفها عليها وعلى الزاوية القشاشية الامراء المراديون ومن سبقهم من اهل البر في الدولة الحفصية وبعض تلك الاوقاف من حسنات الدولة الحسينية كان الملوك يتصدقون على شيوخها بالهناشير والاقطاعات لاعانتهم على نشر العلم وتلاوة القرءان واطعام الطعام للبائس والفقير وابن السبيل ولقد وقفت على فرامين سلطانية

في الوصاية بهم وفي تحريرهم من المظالم وهكذا كان حالهم في صدر هذه الدولة الحسينية فقد وقع بيدي عدة اوامر علية في ولاية الائمة البكريين صادرة من الملوك الحسينيين الاولين يحلونهم فيها بلفظ السيادة ويستمدون منهم صالح الدعاء والمدرسة المتحدث عنها مازالت قائمة الذات متواصلة التنفيع لطلبة العلم تسكنهم وتطعمهم لوجه الله وبها اليوم من الطلبة ثلاثة اضعاف عدد البيوت المحتوية عليها المدرسة فبعض طلبتها وظيفتهم تلاوة القرءان دواما واستمرارا بالزاوية والاخرون يسكنونها بنية قراءة العلم حتى اذا تهيأ احدهم لنوال شهادة الاهلية بارح المدرسة وترك مكانه لغيره من قصادها الكثيرين

١١

المدرسة المرادية

احدثها الباي مراد الثاني في سنة ١٠٨٤ مكان فندق كان يسكنه عساكر الانكشارية ثاروا عليه ذات يوم فعاجلهم بالقتل وهدم الفندق وبنى مكانه هذه المدرسة ورتب لها وقفا لرواية الحديث وبها ينعقد ختم الحديث في ١٨ رمضان وقال في المونس : وبعضهم يسميها مدرسة التوبة لانها كانت مسكنا للاجناد قبل بنائها ويقع فيها الفجور فغير رسمها الاول (يعني مراد باي) وجعلها لتلاوة كتاب الله والعلم وبها امام ومدرس وعدة بيوت للقاطنين بها ولهم مرتبات الى ان قال وسئلت عن تاريخها فجاء بالجمل « مدرسة علم » اثابه الله على ما فعل اه

١٠٨٤

قلت اما رسم تحبيسها فانه مؤرخ باوائل غام ١٠٨٥ ولقد اشتمل على بيان الارزاق التي قدرها الواقف لمدرس المدرسة والمجود بها والطلبة وعلى كيفية الانتفاع ببيوتها مما لا يخلو نقله هنا عن فائدة لا سيما وان هذا الرسم من الوثائق التاريخية النادرة واليك هو : اشهد ابو الظفر مراد باي انه حبس جميع المدرسة المذكورة (المتقدم الكلام عليها وعلى مؤسسها برسم التحبيس) بما احتوت عليه من البيوت والمنافع والمرافق العلوية منها والسفلية على سكنى طلبة العلم المالكية الواردين عليها

من الافاق الذين ليس لهم بمدينة تونس اهل ولا مسكن ياوون اليه وقدرهم عشرون طالبا يكونون في عشرين بيتا منها يرتفق كل منهم بسكنى بيت من بيوتها يعمره بقراءة العلم الشريف وتلاوة القرءان العظيم على ان يكون مبيته به ويحضر لقراءة مدرسها في الوقت المعين له ولقراءة حزبين من القرآن العظيم بعد صلاة المغرب بها واذا دعته ضرورة لسفر فلا يغيب اكثر من شهرين ذهابا وايابا الا لسفر الحج الشريف ضرورة على ان لا يكون له في مدة مغيبه مرتب بل يكون لمن يسكن بيته مدة مغيبه فاذا رجع قافلا من الحج من عامه فهو على حقه في السكنى ببيته المذكور وله مرتبها فيما يستقبل كما حبس ووقف جميع القيسارية والفندق المعتلى عليها المذكورين مع بقية الربع الدخلاني المحدود المذكور على ان يكون من غلته لكل طالب من الطلبة المذكورين ناصريان في كل يوم وللشيخ المدرس بها بشرط كونه مالكيا ثمانية ناصرية وللشيخ المنتصب لتجويد القرءان العظيم اربعة ناصرية ولمن يكون اماما بها مرتبا من الطلبة المذكورين بمسجدها ناصريان اثنان زيادة على مرتبه في بيته ولنقيبها القائم بشئونها من كنس وفرش وحل وغلق وايقاد مصابيح وغير ذلك من ضرورياتها اربعة ناصرية وللوكيل الناظر على احباسها المتعاطي لخلاص اوقافها وما تحتاج اليه من رم وبناء وغير ذلك اربعة ناصرية وللزيت المعد للاستصباح بمسجدها وبرطالها وسقيفها ومرحاضها في كل ليلة ناصريان وللدلو والرشا المعد للاستسقاء من بيرها والحصر التي لفرش مسجدها وصحنها ناصريان اثنان في كل يوم من الايام على ممر الشهور والاعوام وجعل النظر في ذلك بعده للاكبر الاصلح من اعقابه واعقاب اعقابه الذكور ما تناسلوا وامتدت فروعهم في الاسلام فاذا انقرضوا عن ءاخرهم رجع النظر في ذلك لجماعة المسلمين المصلين بالجامع الاعظم جامع الزيتونة بتونس عمره الله يجتمعون على نصب ناظرها ومدرسها صدر منه ذلك في اواخر ربيع الشريف بمولده عليه الصلاة والسلام عام خمسة وثمانين والف اه

وكان اول مدرس بهذه المدرسة الشيخ محمد الغماد ومن عقبه شيخ المدينة المشهور الحاج حميدة الغمادي من رجال دولة الباي حمودة باشا وهذه الاسرة الماجدة انقرضت في سنة ١٣٥٥ بوفاة المرحوم ابي العباس احمد الغماد شيخ ربض باب السويقة وعند وفاة المدرس الشيخ محمد الغماد في سنة ١١١٥ تقدم للتدريس بها

تلميذه الشيخ محمد زيتونة (١) شارح خطبة المطول قال في بشائر اهل الايمان ان الشيخ زيتونة اخذ هذا الدرس بطريق المناظرة وكان المزاحمون له فيه جماعة من مشاهير علماء عصره حضر مجلس هذه المناظرة بجامع الزيتونة اهل الدولة وكل من ينتسب الى العلم فكان له قصب السبق بين الاقران وكان يختم بها الحديث من صحيح مسلم ويحضر ختمه المولى حسين بن علي وهو الذي اولاه الخطبة بجامع باب البحر ولما توفى الشيخ محمد زيتونة حضر الباي المذكور جنازته قالوا ان هذه الجنازة ضاقت عنها شوارع تونس فاضطر المشيعون بسبب كثرتهم للخروج من جميع ابواب الحاضرة للالتحاق بمقبرة الزلاج (٢) حيث واروه التراب

---

(١) اصله من بلد المنستير اخذ العلم عن جماعة منهم الشيخ محمد عظوم باخذه عن الشيخ الاجهوري والشيخ سلطان المزاحي بمصر واخذ عن المفتي الشيخ محمد فتاته وعن الشيخ محمد الغماد وغيرهم من علماء عصره وتصدر للتدريس بجامع الزيتونة وحج في سنة ١١١٤ ولما كان مجتازا بالاسكندرية جاءه وفد من العلماء وطلبوا منه احياء تلك الليلة وكانت هي ليلة المعراج فقبل مطلبهم وتقدم بهم لصلاة العشاء بجامع ابن تربانة ثم جلس لاقراء درس في التفسير وكان الناس حوله في ازدحام والمورد العذب كثير الزحام وموضوع الدرس هو قوله تعلى سبحان الذي اسرى بعبده الاية ولما دخل للقاهرة حضر درس الشيخ محمد الزرقاني وبعد رجوعه لتونس تولى مشيخة المدرسة المرادية بالمناظرة ثم حج مرة ثانية في عام ١١٢٥ وممن اجتمع به في مكة المشرفة المؤرخ حسين خوجة صاحب كتاب بشائر اهل الايمان وله من التآليف شرحه على خطبة المطول ويلوح انه لم يتمه لان النسخة الموجودة منه بمكتبتنا بها نقص من اخرها وهكذا نسخة مكتبة جامع الزيتونة ومن تآليفه ايضا حاشية الوسطى في مجلدين وشرح لمنظومة البيقوني في المصطلح وحاشية على تفسير ابي السعود في اجزاء ستة عشر تجاوزت نصفه وشرح لخطبة المختصر وشرح على السلم وكتابة على الفية ابن مالك وكتب في الحديث على ابواب متفرقة جعلها اختاما من صحيح مسلم وكان رحمه الله يحفظ من سماع واحد توفى يوم الخميس الخامس من شوال سنة ١٠٣٨

(٢) تكرر في هذا الكتاب رسم اسم الشيخ الزلاج صاحب المقبرة المشهورة بتقديم الزاء على الجيم خلافا للمشهور بين الناس والامر الذي حملني على ذلك هو ان مادة ج ل ز في القاموس لا تؤدي معنى للجليز المشتق منه الجلاز لا من قريب ولا

١٢

مدرسة القائد مراد

هي المعروفة بمدرسة السواري سموها كذلك لوقوعها بزقاق السواري من

من بعيد على عكس مادة زلج التي منها الزلج ومن معانيه الزلق المتلبس بالزليج المموه بالطلاء فمعنى زلج قريب من معنى زلق واكثر التواريخ التي بين ايدينا ورد فيها رسم هذا اللفظ بتقديم الجيم على الزاء عدا كتاب قرة العين (مخطوط للشيخ محمد سعادة وكتاب مسامرات الظريف بعضه مطبوع وبعضه غير مطبوع) للشيخ محمد السنوسي فانهما رسما هذا اللفظ المشتبه فيه بتقديم الزاء على الجيم وبمثل هذا الرسم يعني الزلاج ورد رسم اسم صاحب المقبرة برسالة التراجم المهمة للخطباء والائمة للشيخ محمد بيرم الرابع قال رحمه الله في ترجمة الشيخ محمد حمودة بن حسين باكير : ولم يزل الشيخ على ذلك الاجلال والسيرة المنسوجة على ارفع منوال الى ان قضى نحبه وذلك ليلة الجمعة ٢٤ ذي الحجة سنة ١٢٢٠ وحضر جنازته المولى حمودة باشا وحمل نعشه وصلى عليه الشيخ المفتي الحاج احمد البارودي ودفن بالزلاج قرب المغارة اه وتكرر منه هذا اللفظ بهذا الرسم عينه مرارا كثيرة في رسالته المذكورة وكفى به حجة ورايت بكتاب مخطوط بخزانة المدرسة الخلدونية في مناقب بعض الاولياء منهم الشيخ محمد الزلاز هكذا كتبه مؤلفه بزاءين اثنين وهو غلط بائن لا يصح الاعتماد عليه والشيخ محمد الزلاج رضي الله عنه كان معاصرا للامام الشاذلي استغرق المائة السابعة كلها على ما رأينا في كتاب مناقبه اصله من مدينة القيروان حيث دام ابوه اماما يصلي بالناس مدة اربعين عاما وقدم ولده الشيخ محمد المذكور واستوطن تونس وحبس مقبرته المشهورة على جماعة المسلمين ونازلة هذا التحبيس طويلة تسبب فيه مملوكه ثم عتيقة مبارك الوصيف مما لا يسعه هذا المجال وغاية ما نقول ان مقبرة الزلاج كانت هنشيرا على ملك يهودي من اهل البلاد يتاع المسلمون منه وممن سبقه في ملكية ذلك الهنشير قبل المائة السابعة مواقع قبورهم كلما حدثت جنازة ومساحة هذه المقبرة الان مائة هكتار بالضبط الهندسي المدقق وكانت في القديم اوسع من ذلك

وبعد الفراغ من تحرير هذه الحاشية بما احتوت عليه من البيانات المتعلقة بلفظ الزليج عثرت على ما يؤيد صحة النظرية التي لاحت لي في معنى الزليج حيث وقفت على ما ياتي بالجزء الثاني من مجلة مجمع اللغة العربية الملكي بمصر في الصفحة ٨٥ وما بعدها عند التعريف بلفظ « القاشاني » الذي جعل مرادفه في الفرنساوية

حومة حوانيت عـاشور (١) وهذه المدرسة حسنة العمارة تحتـوي على بضعة بيوت لسكنى الطلبة غير ان موقعها قضى بزوالها في الاجل القريب لانها شملتهـا خريطة الابنية الكثيرة التي وقع انتزاعهـا بالشراء والمعاوضة في سنة ١٣٥٥ بعنـوان المصلحة

Carreau Verni Zéli مقتبسا ذلك من كتاب تاج العروس قال وقاشان بلد قرب قـم واهله شيعة وقال الذهبي : على ثلاثين فرسخا من اصبهـان . وحكى ابن السمعاني صاحب اللباب في الانساب : اهمال الشين لغة فيه. قال الذهبي وهو المشهور على السنة الناس اه ثم زاد على ذلك قوله : واليها (اي الى قاشان كان ينسب الخـزف الفاخـر الذي كانت تبلط به الارض او يلصق على الجدران للزينة والرياء وتسميه العامة بالقيشاني ويسمى هذا النوع ايضا بالزليج وقد استعمل هذه الكلمـة « دوزلي » في معجمـه « تكملة المعاجم » ثم قال وفي التاج (اي تاج العروس) والزلج بضمتين الصخـور الملس لان الاقدام تزلق عليها ولعل الزليج من هنا ماخوذة لان فعلا يطرد جمعا في كل اسم رباعي صحيح الاخر قبل ءاخر مدة ككثيب وكثب اه بحروفـه واخيرا وقفت بكتاب للبحاثة المستعرب منشيكور المراقب كان بتونس ذكر فيه ان لفظ الزليج معرب من Azulejo في الاسبانية وهذا هو الحق بعينه ولا منافاة بينه وبين ما تقدم نقله عن مجلة مجمع اللغة العربية

وممن تولى مشيختها في القرن الماضي قاضي الجماعـة الشيخ عمر المحجـوب والمفتي الشيخ محمد (بالفتح) القبايلي فالباش مفتي الشريف الشيخ صـالح النيفر ثـم اسندت مشيختها بعد وفاته الى خلفه في رئاسة الفتوى الشيخ الشاذلي بن صالح وكان ينيب في روايـة الحـديث تلميـذه المرحـوم الشيخ ابا الثناء محمود الاخوة من كتبة ديوان الانشاء بالدوله التونسية ووالد صاحبنا يمين الملك وعضد الدولة امير الامراء السيد الهادي الاخوة الوزير الاكبر بارك الله في انفاسه

(١) لم نقف على خبر صحيح يمكنـني من كشف اللثام عن خبـر حوانيت عاشور وفي اي عصر سميت حومتهـا باسمها هذا ويلوح ان هذه الحومة كانت معروفة بهذا الاسم في الدولة المرادية او قبل ذلك لان المدرسة البـاشية الموجودة بها جاء ذكرها في التواريخ باسم مدرسة حوانيت عاشور وهذه المدرسة بناها الباشا علي باي الاول الذي استغرقت مدة جلوسه على كرسي الملك اواسط القرن الثاني عشر ونسبة المدرسة المذكـورة لحوانيت عاشور تدل على كون هذا الموقع كان معروفا ومتداولا ذكره بين الناس من قبل غير أني وقفت على ابيات لبعض الشيوخ تضمنت امتداح حوانيت عاشور بمناسبة الزينة التي اقيمت بها في سنة ١٢٩٠ بمناسبة ولايـة الوزير خير الدين مسند الوزارة الكبرى ونص الابيات :

العامة بقصد توسيع طرقات قسم الحارة وقسم الحفصية وتشييد دور بلدية فسيحة ذات طبقات ومنافذ واسعة لايواء سكان حارة اليهود (١) ذات المساكن الضيقة والخالية عن الضوء والهواء الطلق مما هو ليس بموافق لقواعد الصحة في شرعة هذا العصر والمدرسة المتحدث عنها كانت من المدارس الخاصة بسكنى الطلبة الحنفية احدثها في سنة ١٠٩٣ القائد مراد بن عبد الله من مماليك الامراء المراديين قال في المونس : ومن مواليه (اي علي باي المرادي) من يعتمد عليه في الحضرة باسراره والمطلع على مكاتيبه الواردة باخباره الواقف عند باب الرؤساء وباب داره القائد مراد بن عبد الله ثم وصفه بقوله : محافظ على الطاعة وملازم للجماعة وفيه تدين ومحبة للفقراء واهل الصلاح وله مشاركة في علم القوم يرجى له ببركتهم النجاح اهـ. ويوجد على باب هذه المدرسة حجارة منقوشة بها ابيات تثبت انتسابها لموسسها القائد مراد المذكور ننقلها هنا تخليدا لاسمها حيث حكمت الاقدار بزوال رسمها

بنى لله مدرسة مراد ... لمن طلب العلوم هي المراد
ففاقت كل مدرسة جمالا ... ورونق حسنها ابدا يزاد
وفي الاتقان والاحكام طود ... وساكنها بعلم يستفاد
تقبل سعيه يا رب فيها ... واورده الجنان فلا يذاد
فتمت بعد الف مع ثلاث ... وتسعين فقد حصل المراد

وكاني بمدير الاوقاف الغيور سيتولى نقل تلك الحجارة بعد هدم المدرسة للقسم العربي من متحف باردو لتحفظ هنالك ولئلا يتناولها التلاشي والاهمال فتبقى شاهدا حيا لدى الزمن المقبل على تطورات الزمن الحاضر

من رام ان يجاري ... حوانيت عشور
في بسطها بساطا ... متاحا للسرور
فقد رام ارتقاء ... لهالات البدور

(١) حارة اليهود بتونس ظهرت في عصر الشيخ سيدي محرز بن خلف اثناء المائة الرابعة وكان اليهود قبل نزولهم بهذه الحارة يسكنون قربة المدلاسين ويدخلون تونس في النهار لقضاء مصالحهم ثم يبارحونها عند الغروب للمبيت بالمدلاسين

١٣

المدرسة اليوسفية

هذه المدرسة بناها ابو الخيرات يوسف داي مع جامعه الذي احدثه سنة ١١٢١ بالبشامقية وكان موقعها بجوار الجامع المذكور وفي سنة ١٢٩٦ صدر امر المشير محمد الصادق باي بتخصيص القشلة المعروفة بقشلة البشامقية وهي من مئاثر البـاي حموده باشا لنصب المستشفى الصادقي وتاكد بالتالي وجوب توسيع مرافق هـذا المستشفى لما في ذلك من المنفعة لجماعـة المسلمين ولا يخفاك ما يجيزه الشرع والعقل في سبيل المحافظة على الابدان فوافقت جمعية الاوقاف في عهـد رئيسها المرحوم السيد الشاذلي صفر على الحاق المدرسة المتحدث عنهـا بمحلات المستشفى الصادقي واقامت عوضهـا مدرسة اخرى اختير بناؤها بطابق علـوي فوق مدرسة الجامع الجديد بالصباغين فالمدرستان صارتا في الحقيقة مدرسة واحدة لكنها ذات وقفيتـين مختلفتين من قبيـل الابنية الكثيرة ذات الاحباس المشتركة الراجعة لجمعية الاوقاف ـ وبنعقد ختم الحديث بالمدرسة اليوسفيه في ٢٤ رمضان

١٤

مدرسة النخلة

لا صحة لما يدعيه بعضهم انها كانت موجودة بهذا الاسم في المائة الثامنة وان ممن تولى مشيختها الفقيه امام المذهب المالكي في زمنه الشيخ محمد بن عرفه

فان هذا القول لم نقف على ما يثبته في كتب التاريخ وما وقفت عليه في حقها بتاريخ ابن ابي الضياف وبالخلاصة النقية هو نسبة بنائها للمولى حسين بن علي لا بعنوان تجديد لشيء قديم بل بعنوان انشاء قال اولهما : ومن مئاثره (حسين بن علي) بناؤه للمدرسة الغربيـة (١) مع جامع الزيتـونة المعروفة بمدرسة النخلة واول

---

(١) قوله الغربية غير موافق للحقيقة الموقعية

مدرس بها العلامة ابو عبد الله محمد بن محمد الخضراوي وذلك في سنة ١١٢٦ اهـ وقال في الخلاصة النقية : وانشأ (حسين بن علي) مدرسة النخلة قرب جامع الزيتونة وتمت سنة ست وعشرين اهـ وسمعت من بعض اهل العلم ان موقع هذه المدرسة كان به فندق للخمور والفجور وكان به نخلة فمحاه الباي حسين بن علي واقام مكانه هذه المدرسة ولذلك سموها بمدرسة النخلة وهذه الرواية نؤمن بصحتها لان جهة هذه المدرسة كانت بها عدة فنادق في اوائل القرن الثاني عشر كما ستراه في تاريخ نشأة المدرسة الباشية

وبعد تحرير ما تقدم وقفت على افادات مستفيضة في حق هذه المدرسة بكتاب قرة العين بنشر فضائل الملك حسين للشيخ محمد سعاده من افاضل دولة الباي المذكور قال رحمه الله في جملة ما ذكره من المآثر للمولى حسين بن علي :

فمن ذلك انشاؤه بتونس المدرسة البهية المشهورة بانتسابها اليه بالحسينية (١) بمقربة من الجامع الاعظم بتونس من شرقيه وبلصق باب الربع الذي يدخل منه امامه لدويريته التي من قبليه وكانت في القديم فندقا يباع فيه الجربي من الزبيب واستولى على جله الخراب وصار معدن القذارة والعيب فطهره حفظه الله بهذا البناء وجعله للجامع المذكور اعظم ما يجاور من الفناء ثم قال :

فاصبح هذا الجامع الفرد حافلا ... بشرقيه قد زال عنه فساد
بمدرسة للعلم اسس ركنها ... حسين الذي اثنت عليه عباد
فجاءت على شكل يروقك حسنه ... وتم بها للطالبين مهاد
كما زال من غربيه معدن الخنا ... باخرى بناها في القديم مراد(٢)

---

(١) اطلقوا عليها اسم مدرسة النخلة لانها كانت بها نخلة فيما يقال

(٢) هي المدرسة المرادية التي بناها مراد باي الثاني في سنة ١٠٨٤ - وان الناظر في هذه الاخبار المنقولة عن مصادر صحيحة ليقضي العجب من كثرة الخمارات التي كانت موجودة في ذلك العهد حول جامع الزيتونة قال الشيخ محمد سعادة ان المولى حسين بن علي هدم منها ثماني عشرة حانة وبقيت بقية بعيدة عن الجامع عقد النية على ابادتها فيما بعد. ولننقل لك عبارته برمتها لما احتوت عليه من التفصيل والبيان قال : فمن ذلك هدمه حفظه الله (يعني الباي حسين بن علي) حانات بناها من قبله لشرب

فصار ثناء الخلق للكل شاملا بما اسسوه للعلوم وشادوا
وهل يحيي ذكر المرء من بعد موته سوى صدقات للمعاد تفاد
ولا سيما بث العلوم ونشرها ففي ذاك اجر للامير يزاد

الخمور وعمت منها على العباد الاسواء والشرور ومرت عليها قبله دهور وايام ولا منكر ولا مغير من جميع الانام فصير سماء جملة منها ارضا وطولها عرضا وبدا منها بما بني في اشرف الاماكن التونسية فهدم منها نحو الثمانية عشر حانة فحصل لاهل الخير غاية الامنية واتخذ بذلك اعظم يد عند خالق البرية فما كان منها بالشكازين (صحفوه فصار السكاجين وهو السوق المعروف المجاور لسوق السراجين ومن متفرعات هذا هذا اللفظ كلمة الاشكز وهو شيء كالاديم الابيض يوكد به السروج اه. قاموس) داخل باب المنارة بنى امكنته فنادق ودكاكين وفي غير ذلك المكان دورا معتبرة ومسجده المذكور وطواحين فساغ من محصولها كراء وافر وشراب لذيذ طاهر وانتشر له بذلك في جميع البلاد ثناء عاطر وذكر جميل فاخر وهو عازم على هدم الباقي فسح الله في مدته وابقاه لنصرة الدين باحيائه واماتة بدعته ويسر له ما يحاول من امر واحيانا حتى لا نرى بتونس محلا ظاهرا لبيع الخمر وقد عطل الان جملة منها واخرج منها سكانها وهو عازم على ان يهدم اركانها ويغيرها الى ما يسر من تونس اعيانها وكان يوم تعطيلها فرح عند الاخيار والسادة الابرار ودعاء لجنابه بالترفيع متوال وابتهال الى الله بما اجراه على يديه من صلاح الاعمال ولم يبق داخل تونس والحمد لله منها الا القرامد والحفصية الهمه الله لهدم البقية وقطع هذه البلية اه. قلت ان هذه الخمارات الكثيرة التي كانت بتونس هي من ملحقات فندق الخمور وكانوا يسمونه فندق الخل تحاشيا عن التجاهر بلفظ قبيح وهذا الفندق كانت تعطيه الدولة لزمة لمن يرغب فيه وتجتني من وراء ذلك اموالا طائلة ففي عام ١٢٩٩ بلغت لزمة قمرق الخل لريالات ١٤٩٥٠٠ وكان مدخول فندق الخل في الدولة الحفصية خلال المائة الثامنة على عهد السلطان ابي العباس احمد بن المستنصر بالله عشرة الاف دينار في العام ولا تسال عن حاله في الدولة المرادية فان سوق الخمور كانت يومئذ ذات رواج عظيم. فقد رايت بكتاب المؤرخ بلانطي الفرنساوي وهو تاريخ رسمي في علائق فرنسا مع تونس مستخرج من محفوظات الوزارة الخارجية بباريس تفصيل جملة من الهدايا بعثت بها الدولة الفرنساوية لجماعة من الدايات ولوزرائهم ورجال بلاطهم في ظروف واوقات مختلفة احتوت على تحف ذهبية وعلى اقمشة حريرية رفيعة وعلى (دنون من الخمر العتيق) ولا نبهتك اذا قلت لك ان بعض تلك الهدايا كانت بعنوان من كانت لهم بتونس شهرة الاخيار والصالحين

ورتب فيها اعانه الله على الاحسان للشيخ والطلبة بها العطاء الفاخر وانتشر له بذلك في الدنيا الثناء العاطر وسيجزي بذلك ان شاء الله في الاخرة الجزاء الاوفى الوافر وشيخ فيها الشيخ العلامة المتفنن الدراكة الامام ابا عبد الله محمد الخضراوي الهمام فهو الان فيها يقرر العلوم ويلقح بحل مشكلاتها الفهوم اهـ. وممن ولي مشيختها في القرن الماضي العلامة المفتي الشيخ محمد البنا قالوا انه كان رحمه الله شديد الحيا لا ينظر لاحد وجها بوجه حتى ان تلاميذه لا يعرفون لون عينيه ومن بعده تولى المشيخة قاضي الجماعة في عصره العلامة الشيخ محمد النيفر رحم الله الجميع

وبعد الفراغ من تحرير هذه النبذة باجمعها عثرت بمحفوظات الدولة التونسية حرسها الله على ما يفيد وان هذه المدرسة بناها المولى حسين بن علي مكان ابنية سابقة منها فندق يعرف بفندق الزبيب ورباعات اخرى بجواره اشترى جميعها وهدمها وبنى بموضعها هذه المدرسة وكانوا ينعتونها يومئذ بمدرسة سوق الطيبين وحبسها على طلبة العلم المالكية الواردين من الافاق على مدينة تونس وحصر عددهم في اربع عشرة طالبا ورتب لها مدرسا وقيما وقدر لهما وللطلبة ارزاقا جارية من ريع الاوقاف التي حبسها على هذه المدرسة وكان ذلك في جمادى الاولى عام ١١٢٦

١٥

المدرسة الحسينية الصغرى

هذه المدرسة من حسنات الباي المولى حسين بن علي تركي احدثها في سنة ١١٢٨ قال الشيخ محمد سعاده في كتابه قرة العين بنشر فضائل الملك حسين عند ذكر مئاثر هذا الباي :

ومن ذلك انشاءه حفظه الله مدرسة اخرى (١) بلصق تربته (٢) التي اعدها منزلا من منازل الاخرة بعد طول عمره ان شاء الله وبلوغ امنيته بمقربة من دار

---

(١) قوله مدرسة اخرى يعني بعد المدرسة الاولى التي احدثها جوار جامع الزيتونة وهي المعروفة في هذا الزمان بمدرسة النخلة

(٢) هي مقبرة الملوك الحسينيين المعروفة بتربة الباي المنسوبة غلطا للمرحوم علي باي الثاني بن حسين بن علي ولعلهم نسبوها اليه لانه اول من دفن بها من الامراء

اسطا مراد داي تونس كان محكمة البناء والاتقان وعمرها بالطلبة النجباء وشيخ عليهم الشيخ الفاضل ابا عبد الله محمد الشهير بجعيط واوسع لهم الحبا فهي الان والحمد لله تفرر فيها العلوم ويحقق فيها المنطوق والمفهوم اه وقال الوزير الشيخ احمد بن ابي الضياف : ومن مئاثره (حسين بن علي) مدرسة ساباط عجم المعروفة الان بالحسينية الصغيرة واول مدرس بها الفقيه المفتي ابو عبد الله محمد جعيط اه قلت وصفوها بالصغيرة والصغرى دفعا للاشتباه بالمدرسة الحسينية الكبرى التي هي من حسنات ابنه علي باي الثاني رحمه الله

رايت في رسم وقفيتها ان المولى حسين بن علي اشترى دارا وطاحونة ودارا لصنع الصابون واقعة قرب دار الداي اسطا مراد وهدم جميعها وبنى مكانها هذه المدرسة والتربة المذكورة المجاورة لها وجعل المدرسة ذات عشرة بيوت وحبسها على الطلبة المالكية الواردين عليها من الافاق واشترط عليهم قراءة الاحزاب التي رتبها بها وبالتربة ورتب جراية يومية قدرها ثمانية ناصرية للمدرس ولكل واحد من الطلبة ناصريان ولقيم التربة اربعة نواصر وحبس على ذلك احباس كثيرة وحبس معها مكتبا لتعليم الصبيان بالمكان صدر منه ذلك رحمه الله في صفر الخير عام ١١٢٣

١٦

مدرسة الجامع الجديد

اسسها المرحوم المولى حسين بن علي تركي مكان حانات كانت بجوار مسجد المسدوري قال في بشائر اهل الايمان ان الباي المشار اليه بنى هذه المدرسة

الحسينيين والحقيقة ان الذي انشاها هو ابوه حسين بن علي المذكور وكان ذلك في سنة ١١٢٣ ثم احدث بعد مدة طويلة تربته الثانية المقبور بها جوار الوليين لله الشيخ قاسم الصبابطي والشيخ قاسم الباحي وبهذه التربة الثانية قبر ابنه المرحوم محمد الرشيد باي

واعلم ان التربة الحسينية المعروفة بتربة الباي اضيفت لها في بحر القرن الماضي وفي اثناء القرن الحاضر مساحات واسعة كانت مشتملة على دور مجاورة لها وءاخر توسعة حصلت بها كانت في سنة ١٣٥٧ ولهذه التربة اوقاف جارية من زياتين وغيرها للقيام بشؤونها يبلغ ريعها في هذا الزمان لنحو خمسين الف فرنك في العام ونظرها لجمعية الاوقاف

مع جامعه وتربته الملاصقين لها في سنة ١١٣٩ وقال الشيخ محمد سعادة في كتابه المسمى قرة العين بنشر فضائل الملك حسين :

واسس (حسين بن علي) مدرسة بصحنه (الجامع الجديد) لنشر العلوم النافعة من تفسير القرءان العظيم ونشر احاديث ذى الآيات الساطعة وتقرير الفروع الفقهية والعقائد التوحيدية والكتب الادبية في سائر العلوم العقلية والنتائج المنطقية وعمر بها جميع اوقات اليوم من البكرة لآخر العشية الى ان قال فشيخ فيها من الان فيما يشاع عنه في سائر العلوم والتفسير العلامة الكبير الفاضل المحقق المدقق النحرير ذي النسب الشهير الخطير مستخرج جواهر العلوم من اصداف بحره المصونة ومقلد احياد الافاضل بدرره المكنونة والفاتح من غامضه عيونه والمنمق بابحاثه فنونه ابا عبد الله محمد الشهير بزيتونة

ثم قال : وفي علوم الحديث خاصة والاثر الشيخ الفاضل الزكي الابر عين اعيان الحنفية الهمام وبركة الليالي والايام المظهر من مشكلات العلوم الحقيقة والمجاز والخطيب الواعظ ابا العباس احمد الشهير ببرناز

ثم قال : وهذا الجامع والمدرسة التي اسسها في بعض الحانات التي هدمها ياتي التنبيه عليها وادخل في ذلك جميع الحمام الشهير بالمسدوري واماكن بقربه محتاج اليها وذلك تجاه دربية المرحوم عثمان داي بتونس كان ومقربة من سوق البلاط من تونس فجاء في احسن مكان اه

قلت واما الكتاب المجاور لها فهو من حسنات الباشا علي باي الثاني وممن تولى مشيختها في اوائل القرن الماضي العالم الاديب الشيخ احمد الكيلاني من تلاميذ الشيخ صالح الكواش قالوانه امتاز برثاء العلماء في عصره تولى الاشهاد على دار البارود بالقصبة ومن شعره ما كتبه على ءاخر ورقة من كتاب الموافقات نسخه بخط يده بعنوان ولده محمد الامين

كتبته لولدي محمد يدعى الامين
عساه ان يذكرني والجسم في الترب دفين
واسأل الله الرضا لي وله في كل حين

وممن تولى مشيختها ايضا العالم المعتقد الشيخ احمد عاشور المتوفى سنة ١٢٨٥ ووليها بعده المدرس العالم الشيخ محمد بن الشيخ صالح النيفر وتوفى سنة ١٣١٤

وهذه المدرسة تعتليها في زماننا الحاضر مدرسة اخرى حديثة البناء وهي المدرسة التي بنتها جمعية الاوقاف على نفقتها لتقوم مقام المدرسة اليوسفية التي وقع الحاقها بالمستشفى الصادقي كما سبقت الاشارة لذلك

١٧

المدرسة المتيشية

اسمها مشتق من اسم مؤسسها احمد بن متيشه من رجال دولة الباي حسين بن علي تركي كان ءاغة لوجق زواوة ثم نكث العهد وخان متبوعه بانضمامه للباشا علي باي الاول خصيم سيده وولي نعمته حسين بن علي المذكور فكان مصيره القتل جزاء وفاقا قضى عليه سليمان الصباغ ءاغة زواوة ببرج الحامة حيث ادخله غدرا واجهز عليه وكان ذلك في سنة ١١٤٨ فبناء هذه المدرسة كان وقوعه في عهد الباي حسين بن علي بعد سنة ١١١٧ التي تولى فيها الملك وقبل سنة ١١٤٨ التي هلك فيها الخائن احمد بن متيشه. وممن تولى مشيختها في القرن الماضي الفقيه الورع المدرس الشيخ العربي المازوني وتوفي سنة ١٣٠٩

١٨

مدرسة الزاوية الباهية

هذه المدرسة بناها العارف بالله الشيخ احمد الباهي في حدود سنة ١١٦٠ وكان معاصرا للباشا علي الاول بن محمد باي قال المؤرخ الشيخ احمد بن ابي الضياف : لما شرع الشيخ في بناء الزاوية وتوابعها راوده الباشا المذكور ان يعينه بمال فابى ثم راوده ان يحبس عليها هنشيرين فابى ايضا وانجز بناءها كلها بما اشتملت عليه من المرافق من حر ماله وتسابق ادباء عصره لامتداحه عن تلك المبرة من ذلك المقامة البهية لامام

البلاغة الشيخ محمد الورغي ومقامة اخرى للاديب ابي الحسن الغراب . وهذه المدرسة لها اوقاف جارية على اطعام الطلبة نظرها لاكبر احفاد الزاوية

١٩

مدرسة حوانيت عاشور

هذه المدرسة اسسها المرحوم الباشا علي باي الاول بن محمد بن علي تركي وهي اولى المدارس التي بناها لطلبة العلم وجعلها وقفا على طلبة المذهب المالكي ورتب بها رواية للحديث وخزانة للكتب مع اوقاف كافية للقيام بشئون المدرسة ما زالت جارية لهذا الزمان قال في كتاب نزهة الانظار للشيخ محمود مقديش الصفاقسي : فبنى اولا مدرسة بحوانيت عاشور من تونس ورتب فيها شيخنا ابا محمد سيدي عبد الله السوسي رحمه الله تعالى واخرى ببير الحجار وهما معا للمالكية ثم زاد ثالثة بالقشاشين قرب جامع الزيتونة وهي للحنفية وجعل بها تربته ثم زاد رابعة بالقرب منها للمالكية وجعل شيخها الشيخ ابا عبد الله سيدي محمد الغرياني رحمه الله تعالى وجعل بكل مدرسة خزانة كتب وجعل لها مرتبات من الخبز والدراهم اعانة لطالب العلم ثم قال ومن غريب ما وقع للباشا مع سيدي عبد الله السوسي رحمة الله عليهما ان الشيخ كان زاهدا في الدنيا متقللا منها مقبلا على العلم فكان الباشا يجله ويحبه ويفضله لذلك فلما تشيخه على المدرسة اسكنه في دار بقربها واجرى عليه من حبس المدرسة ما يقوم به وبعياله فاتفق ان الشيخ رحمه الله اصابه تشويش (مرض) منعه من الخروج للاقراء فسال الباشا مقدم (كذا) المدرسة على الشيخ فقال له به تشويش منعه من الخروج وطالت مدته فقال له هل وفيته مرتبه ليستعين به في مرضه فقال لا قال اذهب وف له مرتبه فصحب المرتب ودخل على الشيخ داره واحضر له المرتب فامتنع الشيخ من قبوله وقال هذا المرتب اجازة عن عمل وقد طال مرضي ولم اعمل فكيف اخذ من غير عمل وهذا حبس على القراءة ولم تحصل مني فرجع الى الباشا واعلمه بما وقع فقال له ارجع وقل له هذا اعانة مني لا اجارة فقبله ودعا بخير اه

هذا وقد تولى مشيخة هذه المدرسة في القرن الماضي جماعة من الافاضل منهم

العلامة الصالح الشيخ ابو محمد حسن الشريف المفتي المالكي وامام جامع الزيتونه والعلامة الشريف المفتي الشيخ الطاهر بن عاشور ومن بعده تولاها الركن المستلم بقية السلف من ءال البيت الاطهار الشيخ احمد الشريف كبير اهل الشورى المالكية وامام جامع الزيتونة

هذا وقد اتفق نشر العلم التونسي شهرا كاملا فوق باب هذه المدرسة في سنة ١٣١١ اشعارا بالحداد عند وفاة رئيس الجمهورية الفرنساوية مسيو سعدي كارنو قتيلا من يد اثيمة عند زيارته لمعرض ليون لان الدولة رات يومئذ وجوب مشاركة المعالم الاسلامية في مأتم ذلك الفقيد العظيم ولما دعي صاحبنا المرحوم رئيس الاوقاف السيد البشير صفر لاتخاذ ما يلزم من التدابير لوضع العلم التونسي فوق تلك المعالم اشعارا بالحداد لاحظ بان الجوامع لا حظ لها في ذلك لانها لا علاقه لها بالسياسة مطلقا وان الاوفق الاكتفاء بنشر ذلك العلم فوق واجهة كبيرات المدارس على وجه المشاركة في الاسف فاستحسنوا رايه وباشروا تنفيذه فكانت هذه المدرسة من المدارس التي تميزت بالمشاطرة في المظهر السياسي المشار اليه ولا يسعني هنا الا الاصداع بما ينطق به لسان الحق من كون دولة الحماية كانت ولا زالت محافظة على قاعدة الاحترام التي اتخذتها منذ البداية نحو معالم الدين الاسلامي بهذه الديار مما يحمل الجميع على تكرار شكرها ءاناء الليل واطراف النهار

وبعد تحرير النبذة المتقدمة وقفت بمحفوظات الدولة التونسية حرسها الله على وقفية هذه المدرسة فاذا هي تتضمن اشياء كثيرة رايت من الفائدة نقلها هنا اتماما لما تقدم فمن ذلك ان هذه المدرسة كان تاسيسها في عام ١١٥٩ وان عدد بيوتها المعدة لسكنى الطلبة اربعة وعشرون باضافة بيت للمؤذنين واشترط المؤسس اختصاصها بطلبة المذهب المالكي كما اشترط ان يكون امامها هو المدرس بها وجعل له من ريع اوقافها نصف ريال في اليوم في مقابلة ثلاثة دروس يومية في الفقه والتوحيد والنحو كما يستحق ثمانية عشر ريالا في العام عن رواية صحيح البخاري في رجب وشعبان ورمضان وجعل لكل واحد من الطلبة سكان بيوت المدرسة ناصريين في اليوم وجعل لمؤدب الكتاب التابع للمدرسة ربع ريال في اليوم ولا ياخذ شيئا من الصبيان عن تعليمهم القرءان وجعل لكل واحد من هؤلاء الصبيان نصف ناصري في اليوم مع

ناصري لجميعهم لاشتراء الالواح والاقلام والمحابر وجعل لختان مائة صبي بسقيف المدرسة يوم عاشوراء من كل عام مائة وخمسة وعشرين ريال لاشتراء مائة سورية ومائة صدرية ومائة شاشية باضافة عشرة ريالات للخاتن وخصص لختم صحيح البخاري في رمضان خمسة وعشرين ريالا يعطى منها ثلاثة ريالات لراوي الحديث وجعل لاحياء ليلة المواسم الاسلامية السبعة وهي عاشوراء وليلة المعراج وليلة نصف شعبان وليلة ٢٧ رمضان ويوم عيد الفطر ويوم عرفه ويوم عيد الاضحى ستة وخمسين ريالا بحساب ثمانية ريالات لكل موسم بقصد قراءة ختمة من القرءان يهدى ثوابها للمحبس وحبس على امام المدرسة دارا لسكناه وجعل نظر المدرسة للشيخ ابي محمد عبد الله السوسي المتقدم ذكره ونعته (بالمدرس العالم العلامة البحر الفهامة المحقق المدقق المتضلع في العلوم النقلية والعقلية الولي الصالح نفع الله به) ووقف على المدرسة خزانة عامرة بالكتب اشتملت على ٣٥٧ مجلدا منها عدة مصاحف احدها مكتوب على الرق ومزوق بالذهب في ثمانية اجزاء والبقية في التفسير والحديث والفقه المالكي والتوحيد والاصول والمعاني والبيان والمنطق والنحو والسيرة النبوية واللغة والحساب كل ذلك بشهادة العدلين الشيخ ابي الحسن علي المنزلي والشيخ ابي عبد الله محمد طاوس بتاريخ اوائل جمادى الاولى عام ١١٥٩

٢٠

المدرسة الباشية

يستفاد من بعض رسوم جمعية الاوقاف ان بقعة هذه المدرسة والتربة المجاورة لها والمدرسة السليمانية الملاصقة لهذه التربة كان بها فنادق قديمة فاخذها الباشا علي باي الاول بالمعاوضة بما هو اعود منها نفعا لجانب الوقف وبنى مكانها المدرستين والتربة المشار اليها وبها قبره مكتوب عليه : كل نفس ذائقة الموت وانما توفون اجوركم يوم القيامة هذا ضريح الامير ابي الحسن علي باشا باي بن محمد باي سامح الله الجميع توفى رحمه الله ءاخر ليلة حجة سنة ١١٦٩ وقد ارخ وفاته شعرا امام البلاغة كاتبه الشيخ محمد الورغي بقوله

مضت دولة الباشا علي كانه من الدهر يوما في الولاية ما عاشا
اتته المنايا وهو في عظم قوة وجيش قوي مثله قط ما جاشا
وصار دفينا بعد ما كان دافنا فقلت وفي تاريخه دفن الباشا

ولنرجع لحديث المدرسة الباشية واسمها مقتبس من لقب صاحبها فنقول ان علي باشا بناها في سنة ١١٦٦ كما يستفاد ذلك من الابيات المنقوشة على واجهتها ومطلعها

تأمل بديع الحسن من صنعة الايدي وشاهد جمال السر في الوضع من بعد
وبيت التاريخ
واذ كملت باليمن والفتح ارخت منازل فتح حلها ايمن السعد

١١٦٦

ولما تم بناؤها عمرها بنفائس الكتب ليسهل على من يسكنها من الطلبة اقتناء العلوم وهذه الكتب بقيت منها بقية لعهود متأخرة فتداركها الوزير خير الدين من التلاشي بضمها مع نظائرها الموجودة بالمدارس الاخرى للمكتبة العبدلية بجامع الزيتونة وقد اقتضى نظر مؤسس هذه المدرسة جعلها وقفا على طلبة العلم من الحنفية لذلك كانت مشيختها دواما واستمرارا في يد فقهاء الحنفية يعني الشيوخ الكرام من ءال بيرم الاعلام فانهم كانوا يتوارثونها خلفا عن سلف من زمن مؤسسها الى اوائل هذا القرن قالوا ان القاضي الشيخ محمد بن مصطفى بيرم قد كان شيخا عليها في العقد الاخير من القرن الماضي كان لا يسمح بسكناها لغير الطلبة الحنفية مراعاة لنص الواقف ولو مع فقدان من يسكنها من طلبة المذهب النعماني ووجود من يرغب في ذلك من طلبة المذهب المالكي وهو محل نظر لان الفتوى بالمنع فيها منع لنشر العلم ومنع نشر العلم من اكبر الاثام والفتوى بجواز سكنى غير الحنفي فيها مخالفة لنص الواقف ونص الواقف كنص الشارع لايصح نقضه لما جاء فيه من الوعيد (فمن بدله بعد ما سمعه الخ) وبالتالي انخرمت هذه القاعدة من نفسها عند التحاق عموم مدارس الطلبة بادارة العلوم والمعارف ولم تبق ملحوظة حتى في هذا الزمان الذي صارت فيه تلك المدارس من ملحقات مشيخة جامع الزيتونة مراعاة للظروف القاضية بوجوب اسكان طلبة العلم وتسهيل اسبابه على قاصديه لاسيما وقد بلغ عددهم في هذا الزمان لاكثر

من ثلاثة آلاف تلميذ ولو قدرنا ان صاحب المدرسة كان حيا لاجاز اسكان المالكي مكان الحنفي عند الاقتضاء والعكس ولو كانت مخالفة النصوص الشرعية كلها كهذه لقال الناس جميعا لمن يفتي بجواز ذلك : « رضي الله عنك » وينعقد ختم الحديث بهذه المدرسة في ٢٥ من شهر رمضان المعظم

وبعد تحرير ما تقدم وقفت بمحفوظات الدولة التونسية على دفتر طويل عريض تضمن عدة تحابيس راجعة لجهات البر صدرت من الملوك الحسينيين الاسبقين فاذا في جملتها وقفية هذه المدرسة ومما اشتملت عليه قوله : انها تحتوي على ثلاثة عشر بيتا لسكنى الطلبة الحنفية المستوطنين بتونس او الواردين عليها من الافاق يعمر كل واحد بيتا يرتفق بسكناه ويقرا العلم الشريف بشرط المبيت بالمدرسة والحضور لدروسها الثلاثة في الاوقات المعينة للتدريس فيها على الشيخ الحنفي المدرس المرتب بها وبشرط كون الطالب للعلم القاصد للسكنى بها عزبا غير متزوج ولا يسكنها المتزوج البتة فاذا طرأ على الساكن بها التزوج وبنى بزوجه سقط حقه منها واذا دعت من سكن البيت ضرورة سفر فلا يغيب اكثر من شهرين في السنة في غير سفر الحج ولا يغيب اكثر من السنة في سفر الحج ذهابا وايابا على ان لا يكون له في مدة مغيبه مرتب بل يكون مرتبه لمن سكن بيته من المتطوعين فاذا رجع من سفره في خلال الشهرين في غير سفر الحج وفي خلال العام في سفر الحج فهو على حقه في السكنى ببيته وله مرتب فيما يستقبل وجعل لها مدرسا بشرط كونه حنفي المذهب على ان يدرس ثلاثة دروس في ثلاثة اوقات من النهار احدها في الفقه والاخر في التوحيد والاخر في النحو واذا اراد ان يدرس في علم آخر فيكون ذلك زيادة على الدروس الثلاثة المذكورة مع رواية صحيح البخاري في الثلاثة اشهر رجب وشعبان ورمضان على العادة الجارية بتونس المحروسة ويكون الشيخ المدرس بها هو الامام بمسجدها يصلي بها الصلوات الخمس قاصدا بذلك وجه الله العظيم وثواب الدار الاخرة انه لا يضيع اجر من احسن عملا ولا يخيب لراجيه املا بتاريخ شهر الله رجب عام ١١٦٦ اهـ

ومما تضمنه الدفتر المنقول منه بيان الموقوفات على هذه المدرسة وعددها ستة واربعون بين عقارات ورباعات نص الواقف على كيفية مصرف ارباعها من ذلك : نصف ريال كل يوم للشيخ الامام المدرس بالمدرسة ولكل واحد من الطلبة الثلاثة

عشر سكان بيوتها ثلاثة نواصر في اليوم بشرط قراءة كل واحد منهم حزبين من القرءان العظيم كل يوم بعد صلاة العشاء من اسفار المصحف الموقوف على المدرسة ولكل واحد من عشرة طلبة متطوعين لحضور الدروس دون السكنى ناصري واحد في اليوم ولكل واحد من الثلاثة خوجات المرتبين للقراءة بمسجد المدرسة ناصريان في اليوم ولكل واحد من ثمانية طلبة مالكية حافظين للقرءان يقرأون حزبين كل يوم ناصري واحد ولفقيه مالكي يقرا دلائل الخيرات كل يوم جمعة ويوم اثنين بتربة المدرسة (هي التربة التي بها قبر المحبس) ناصريان في اليوم كما خصص من ذلك الريع ثلاثين ريالا تصرف يوم ختم صحيح البخاري في رمضان منها ثلاثة ريالات لراوي الحديث واعتبر مع ذلك جميع ما يلزم للقيام بشؤون المدرسة دواما واستمرارا من ترميم واصلاح وفرش واسراج وتحصير وغير ذلك وجعل النظر في جميع ما ذكر لنفسه ثم لاكبر بنيه وبني بنيه من بعده وحبس مع ذلك دارا بجوار المدرسة لسكنى الامام كل ذلك بتاريخ رجب ١١٦٦ اه

٢١

المدرسة السليمانية

اسسها الباشا علي باي الاول في سنة ١١٦٨ تذكارا لابنه سليمان باي الشهيد الذي قتله اخوه بسم دسه له في فنجان القهوة وكانت هذه الحادثة ضربة قاسية على والدهما علي باي استروح منها اقتراب زوال دولته وقد دام الحزن بتونس حولا كاملا من اجل وفاة سليمان باي . اما المدرسة المتحدث عنها فقد وقفها مؤسسها على طلبة المذهب المالكي واول مدرس بها الشيخ محمد الغرياني اقرا بها تفسير القاضي البيضاوي وغيره من الكتب العالية . وباب هذه المدرسة ومدخلها من اجمل الابنية العربية وابدعها منظرا تصدى لرسمها كثير من مهرة المصورين ويوجد بمكتبتنا نظير منها بالدهن يمثلها كانما هي وممن جاور بها من اهل الفضل والعلم الشيخ الطاهر بن مسعود وكبير اهل الشورى الشيخ احمد بن حسين القمار هذا ما تيسر الوقوف عليه من خبر هذه المدرسة بكتاب المشرع الملكي وبغيره من التواريخ التونسية .

٢٢

مدرسة بئر الحجار

هذه المدرسة هي ءاخر المدارس التي توفق لبنائها الباشا علي باي الاول احدثها في ءاخر مدته ومات قبل تهيأتها للسكنى فاتمها صهره رجب بن مامي في سنة ١١٧٠ يعني في العام التالي لاستشهاد مؤسسها كما يستفاد ذلك من الابيات المزبورة على واجهة سبلها الجميل ومطلعها

بنى الباشا علي دار علم لوجه الله يسعى في الثواب

وبيت التاريخ

وقد تمت لسبعين والف ومع مائة فمن غير ارتياب

وهذه المدرسة خصها صاحبها بسكنى طلبة العلم من المالكية ورتب بها خزانة للكتب مع رواية للحديث ووقف عليها اوقافا جارية لهذا الزمان قال في رسم اوقافها : انه وقفها على مدرسته التي احدث بناءها واسس اركانها الشرقية الباب الكائنة بسويقة الجرو قرب الشيخ الولي الصالح سيدي ابي حديد على محج دار الباشا داخل مدينة تونس اه وكان من مشائخها في القرن الماضي الشيخ ابو الحسن علي السقاط والد المدرس الشيخ الطاهر السقاط الذي هو ءاخر من لقب بقاضي الفريضة بتونس فلما توفى الشيخ علي السقاط في حدود سنة ١٢٥٨ اسند الباي مشيخة المدرسة باشارة من الشيخ محمد بيرم الثالث الى العلامة الشيخ محمد النيفر وظلت بيده الى ان توفاه الله سنة ١٢٧٧ فورثها عنه ابنه قاضي الجماعة الشيخ الطاهر النيفر ثم تنازل عنها لابن عمه وسميه المدرس الشيخ الطاهر النيفر في سنة ١٣٠٢ وفي اوائل هذا القرن وقع تخصيص هذه المدرسة لانتصاب مدرسة المؤدبين ثم لما صارت هذه المدرسة معهدا لترشيح المعلمين اقيم لها بناء خاص بها بالمركاض وحولت مدرسة بئر الحجار التي هي موضوع الحديث الى مدرسة لتعليم الصنائع اليدوية وهي الحالة الموجودة عليها في هذا الزمان (١٣٥٨) . وختم الحديث ينعقد بها في يوم ٢٠ رمضان

٢٣

المدرسة الجاسوسية

بعد ان آيست من الوقوف على شيء يستفاد منه تاريخ ماضيها في الكتب التي بين ايدينا وفي مظنات المراجعة ظفرت عفوا بنبذة مفيدة في حقها اتحفني بها شيخ مشائخ الطريقة القادرية الشيخ عبد العزيز بن شعبان بوقوفه على رسم تحبيس صدر من المولى علي باي الثاني بن المولى حسين بن علي تركي تضمن تحبيسه لثمانية حوانيت بسوق العزافين على مقربة من مسجد الفال على يد العدلين ابي عبد الله محمد العشراوي وابي الفضل عبد الكريم القرشي ونص محل الحاجة منه : ان المحبس المذكور حبس الحوانيت الثمانية على المدرسة الغربية الباب المعروفة بالجاسوسية الكائنة تجاه سيدي ابي الغيث القشاش من مدينة تونس المنسوبة الى الشيخ الولي الصالح سيدي ابي عبد الله الجاسوس نفعنا الله ببركاته على ان يخرج من ريع الحوانيت مرتب شيخ فقيه مدرس من اهل العلم مالكي المذهب يكون شيخا بالمدرسة ويقري في مسجدها كل يوم درس علم من فقه مذهب الامام مالك امام دار الهجرة وغير ذلك من علوم المعقول والتوحيد المحتاج اليها والذي يتوقف فهمه عليها وذلك بحساب ثمانية نواصر في كل يوم ومرتب ثمانية طلبة من طلبة العلم المتعلمين والحالين بتونس لطلبه بحساب ناصري واحد لكل طالب في اليوم ومرتب نقيب يكون قيما بالمدرسة بحساب ناصري في اليوم ومرتب مخاص يخلص ريع الحوانيت ويكون ناظرا عليها ويقف على اصلاحها واصلاح المدرسة بحساب ناصري في كل يوم واذن لشيخ المدرسة في زمنه وهو الفقيه المتسنن المدرس الشيخ ابو عبد الله محمد الدرناوي في الانتفاع لنفسه ولطلبة المدرسة على النسبة المفسرة اعلاه بتاريخ غرة رجب ١١٧٨ اهـ.

وبهذا النص اتضح لنا اسمها الحقيقي لانها مرسمة في قائمة مدارس الطلبة باسم المدرسة الداسوسية وهو تحريف بين لان العامة في تونس يقولون داسوس عوض جاسوس وهذا التحريف سرى حتى لاصحاب التقاويم التويسية ابتداء من النزهة الخيرية وهي اول ما جاء فيها ذكر هذه المدرسة باسم الداسوسية في عام ١٢٩٣ وكانت

مشيختها يومئذ بيد الشيخ الحاج احمد الكيلاني حفيد سميه مادح الامير حموده باشا الحسيني بقصيدته التي مطلعها :

قضى الله ان يسمو بك العز والنصر الى رتبة من دونها يقع النسر

وهي طويلة كلها عيون منها قوله في وصف جيش الباي المذكور حين انتصاره على اعدائه الوافدين من الجزائر :

يحيط بهم جيش يضيق به الفضا ويرجف من ازحافه السهل والوعر

٢٤

المدرسة الجديدة

اشتهرت هذه المدرسة باسم الحسينية الكبرى ولا ندري لماذا سموها كذلك لانها ليست من تاسيسات المولى حسين بن علي تركي بل هي من حسنات ابنه علي باي الثاني وهي افخم وافسح مدارس العصر الحسيني اشتملت على اكثر من اربعين بيتا ولعلهم نعتوها بالكبرى تمييزا لها عن المدارس الحسينية الاخرى واما نسبتها الحسينية فيلوح ان ذلك كان لصرف الانظار عن السمعة التي حصل عليها الباشا علي باي الاول بسبب بنائه لعدة مدارس باشية وعلي هذا كان خصيم الفرع الحسيني الاشرف فلا غرابة حينئذ في سعي ابن عمه علي باي الثاني في احداث مدرسة فخمة خصها بشرف الانتساب لاسم ابيه الباي حسين بن علي تركي تعلية لها على المدارس الباشية المحدثة قبلها . قال في تاريخ الوزير الشيخ احمد بن ابي الضياف : وءاثار هذا الباي (علي ابن حسين بن علي تركي) في هذه المملكة شاهدة له بالفضل منها مدرسته المعروفة بالجديدة قرب تربته الجليلة جوار ساباط عجم اه وقال في الخلاصة النقية : ولهذا الامير (علي باي المذكور) مئاثر عديدة ومناقب شهيرة ومحاسن كثيرة منها مدرسته والتربة المقدسة ازاءها (١) واجرى عليهما اوقافا الى الان اه قلت ان بناء هذه

---

(١) تربة الباي اسسها المولى حسين بن علي لا ابنه المرحوم علي باي الثاني كما هو المشهور ولقد عثرت بهامش كتاب مخطوط في تاريخ تونس ان تاسيس هذه التربة كان في سنة ١١٢٣ بامر الباي حسين بن علي المذكور

المدرسة كان فيما بين سنة ١١٧٢ وسنة ١١٩٠ وقد افترض لها مؤسسها وقفا جاريا لرواية الحديث سمعت من الفاضل الفقيه الشيخ عمر السبعي شيخ هذه المدرسة كان ان المفتي الشيخ محمد البارودي كان قائما بتلك الرواية على دور العام ياتي في سائر الايام لرواية الصحيح حتى اذا حل يوم الختم في ١٦ رمضان تسابق اهل العلم والفضل للتبرك بحضور مجلسه لسماع ترتيل ءايات الذكر الحكيم من الشيخ لانه كان عالما في القراءات واوتي مزمارا من مزامير ءال داوود رحمه الله ورضي عنه

واول من تولى مدرسا بها في عهد مؤسسها الفقيه الفرضي الشيخ محمد حمودة(١) ابن محمود وكان اول ما اقرا بها جوهرة القدوري ولما توفي في سنة ١٢٠١ انتقل الدرس المفتي ابي العباس الشيخ احمد البارودي صهر الباي المولى حمودة باشا وتوفى بعد هذا الباي باربعة اسابيع لشدة حزنه عليه (٢) وكان هذا التدريس في اواخر القرن الماضي بيد المفتي الشيخ محمد البارودي صاحب رواية الحديث بالمدرسة وقد تقدم الكلام عليه وتوفى رحمه الله في سنة ١٢٩٣ وممن تولى مشيخة هذه المدرسة في الدولة الصادقية المرحوم المفتي الشيخ صالح بن فرحات المتوفي سنة ١٣٠٩

---

(١) هو صاحب كتاب اسعاف الحكام في الفرائض معروف بحسن جمعه وكثرة مسائله وتحريرها ومن عقب هذا الفاضل العلامة المرحوم المفتي الشيخ محمود بن محمود المتوفى سنة ١٣٤٤ اما جدهم الاعلى فهو محمود ابو حمودة المتقدم ذكره اعلاه وكان يلقب بالتركي فتنوسي هذا اللقب الاصلي في عقبه باتخاذهم اسم محمود لقباً لهم ومحمود هذا كان ترجمانا بديوان الباي مراد الثالث المشهور بابي باله غضب عليه ذات يوم فقتله ظلما فر ابنه حمودة لزغوان والتحق بالولي الصالح الشيخ علي عزوز ثم عاد لتونس باشارة من الشيخ رضي الله عنه ولما وصل لباب علاوة وجد صبيان الربض يلعبون براس مراد ابي باله

(٢) توفى في ٢٨ شوال سنة ١٢٢٩ ودفن جوار الشيخ سيدي عبد العزيز المهدوي بمرسى جراح واسمه جراح العربي وكان من فضلاء المائة السابعة قال في تاريخ الدولتين وكان المرسى يعرف في القديم باسم مرسى ابن عبدون واشتهر بعد ذلك بمرسى الرجل الصالح سيدي جراح لملازمته الاحتراس به

٢٥

مدرستا صاحب الطابع

لما احدث الوزير يوسف خوجه صاحب الطابع جامعه بالحلفاوين بنى بجواره مدرستين لطلبة العلم احداهما لقراءة العلوم والاخرى للتجويد ووقف عليهما اوقافا كافية ما زالت ارزاقها جارية لهذا الزمان ولما قررت الدولة ايجاد نظام لمدارس سكنى الطلبة كان في جملة ما اشتمل عليه ذلك النظام المدرستان المذكورتان بعد اندماج دروسهما من اواخر القرن الماضي في برنامج التعليم العام بجامع الزيتونة وبالتالي ضمت الواحدة للاخرى بجعلهما لنظر شيخ واحد ومن حسن نظر المؤسس وهو حنفي المذهب انه اعتبر عند ترتيب الدروس بمدرسته كون اكثر الطلبة من المذهب المالكي فاسس لهم درس فقه على مذهبهم واشترط ان يكون من مختصر خليل او من مختصر ابن الحاجب او من كتاب التهذيب ورتب مع ذلك جراية يومية للطلبة.
اما بناء هاتين المدرستين فقد تم في عام ١٢٢٩ وفيه استشهد صاحبهما رحمه الله

٢٦

المدرسة البشيرية

هذه المدرسة موقعها بزاوية الولي سيدي محمد البشير الزواوي وهي من الاحباس الخاصة وتصرفها في يد ذرية الشيخ نفع الله به وكانت في القديم يسكنها طلبة العلم من ابناء شرفاء زواوة اتباع الطريقة الرحمانية ومسجدها حافل بالدروس من ذلك درس في التفسير يقراه الشيخ بنفسه وممن تبرك بحضور هذا الدرس المؤرخ الشيخ احمد ابن ابي الضياف هكذا ذكر في الجزء الرابع من تاريخه بزيادة وان الشيخ كان يقوم ايضا بدرس في الحديث وشهرة الشيخ البشير في العلم والصلاح معروفة بين اهل عصره وهذه الزاوية مع مستتبعاتها ومنها المدرسة المتحدث عنها من حسنات المولى حسين باي الثاني بناها لسكنى الشيخ وجعلها وقفا عليه في حدود سنة ١٢٤٠ وهذا الباي كان حجره ابوه في قائم حياته للشيخ رضي الله عنه فكان شديد الاعتقاد في

الشيخ البشير حتى انه عند مماته تبرك وءال بيته بحمل نعشه وبالتالي استمر نظام المدرسة على ما كانت عليه من اسكان الطلبة واطعامهم في عهد الشيخ العربي البشير نقيب السادة الاشراف وعلى منواله كان عمل ابنائه من بعده ولما وقع ترتيب مدارس الطلبة في سنة ١٣٠٦ على عهد المولى علي باي الثالث شمل ذلك الترتيب المدارس التابعة للاوقاف العامة دون مدارس الاحباس الخاصة التي منها المدرسة البشيرية غير ان ذرية الشيخ ما زالوا مجتهدين بهذا الزمان في المحافظة على نظامها القديم من اسكان عدد معلوم من الطلبة بالسبعة بيوت المشتملة عليها المدرسة واطعامهم احتسابا لوجه الله تعالى من ريع اوقافها الجارية لهذا العهد مع مراقبة سلوكهم وحثهم على القراءة بجامع الزيتونة حتى اذا تهيأ احدهم لنيل شهادة التحصيل استرجعوا منه بيته ومنحوه لغيره من الطلبة المبتدئين والله يجزي المحسنين

٢٧

مدرسة الزاوية القادرية

هذه المدرسة هي نفسها الزاوية القادرية بالديوان اسسها شيخ الطريقة البركة الشيخ الحاج محمد المازوني المغربي دفين زاوية القادرية بالكاف ابتدأ بناءها سنة ١٢٦٢ واتمها في سنة ١٢٦٦ وجعل نظرها من بعده لشيخ الزاوية والاوقاف المحبسة عليها من حسنات المرحومين الشيخ حمده بطيخ والمدرس الشيخ محمد بن مصطفى بيرم وكانت وفاة صاحبها الشيخ محمد المازوني في سنة ١٢٩٦ وهذه الزاوية مع مدرستها ما زالت منتظمة الاحوال الى هذا الزمان ومن اشهر مشائخها في اوائل هذا القرن الحافظ المعتقد الشيخ محمد بن شعبان شيخ مشائخ الطريقة القادرية بالايالة التونسية والامام الاول بجامع باردو توفي رحمه الله في سنة ١٣٣٧ وقد تولى مشيخة المدرسة والزاوية والطريقة من بعده ابنه المرحوم ابو الفلاح الشيخ صالح بن شعبان ومنه انتقلت المشيخة لحفيده الفاضل المتطوع في العلوم الشيخ عبد العزيز بن شعبان الكاتب بديوان الانشاء والمباشر تحت نظر الوزارة الكبرى لضبط شؤون التعليم بجامع الزيتونة وهي من اهم المامورية العلمية بالنظم التونسية الحديثة

٢٨

مدرسة سيدي شيحة

هذه المدرسة من ملحقات زاوية العارف بالله الشيخ علي شيحة بنيت في سنة ١٢٦٩ على عهد المشير محمد الصادق باي بمساعي وزيره ابي النخبة مصطفى خزندار لما كان له من الاعتقاد في صاحب المقام المذكور المجاور ضريحه لقصره بالحلفاوين وهي الان معطلة في تصرف ذرية الشيخ لاحتياجهم للسكنى بها وتوفى الشيخ علي شيحة سنة ١٢٧١

٢٩

مدرسة الشيخ ابن ملوكة

هي مدرسة العارف بالله الشيخ محمد بن ملوكة معتقد الوزير مصطفى خزندار وهو الذي اشار ببنائها على المشير محمد الصادق باي وهذه المدرسة من افخم مدارس الطلبة واوفرها مرافق واحسنها مناخا واتمها عمارة ولما اشرف بناؤها على التمام توفى الشيخ في سنة ١٢٧٦ فتحرج الوزير من ذلك واحجم عن اتمامها قالوا لنفاد المال المقدر لتمامها وقالوا مراعاة لما اعتاده الناس من التشاؤم بوفاة من ينسب اليه البناء قبل انتهائه وبالتالي توجهت الانظار اثر ولاية م. ماشويل اول مدير للمعارف بتونس بعد نصب الحماية اذ وقع اختياره عليها لتوسيع نطاق التعليم العصري بالحاضرة ابتداء من سنة ١٣٠٢ وسميت بالمدرسة العلوية نسبة لاسم المولى علي باي الثالث وبذلك تحولت عن وضعها الاول بصيرورتها مدرسة للعلوم العصرية والمخلوق يبني صروح الاماني والخالق يقسم الحظوظ

٣٠

مدرسة الشيخ بلخير

هذه المدرسة كانت عامرة بالطلبة في اواخر القرن الماضي وهي من الاحباس الخاصة تولى شئونها الفقيه الاعدل المرحوم الشيخ محمد بلخير الساحلي من عدول

الحجامين بتونس ثم لما احدث النظام الجديد للمدارس العامة في اوائل هذا القرن لم يشمل هذا النظام مدارس الاحباس الخاصة كهاته المدرسة التي تضاءل امرها فيما بعد وانقطع النفع بها في هذا الزمان

٣١

المدرسة الحبيبية الكبرى

كانت هذه المدرسة فندقا بلديا يعرف بوكالة المجلس البلدي حديثة البناء فلما صعد المولى محمد الحبيب باي لكرسي الملك الحسيني صرف مهجته لاسعاف طلبة العلم بمدرسة ذات مرافق عصرية واختار لذلك الوكالة المتحدث عنها فاشتراها رحمه الله من ماله الخاص وهذب اساليبها وجعلها وقفا على اهل العلم من طلبة جامع الزيتونة وتم تجهيزها وتنسيقها في سنة ١٣٤٥ وناط نظارتها بقاضي الجماعة العلامة الشيخ الصادق النيفر فناب كل بيت من بيوتها ثلاثة من الطلبة وفي سنة ١٣٤٨ الحقت هذه المدرسة ببقية المدارس العامة وجعل التصرف فيها من حقوق ادارة المعارف فغيرت عدد سكان بيوتها بجعلهم اثنين بكل بيت لا ثلاثة وبالتالي وقع ضم جميع مدارس الطلبة لمشيخة جامع الزيتونة فكانت هذه المدرسة كبقية اخواتها من متعلقات تلك المشيخة الجليلة

٣٢

المدرسة الحبيبية الصغرى

هذه المدرسة اسسها المولى محمد الحبيب باي في سنة ١٣٤٦ بزاوية الولي المجذوب الشيخ صالح المثلوثي معتقد عمه المشير محمد الصادق باي ولما تم تجهيزها وتنسيقها فتحت لسكنى الطلبة والحقت بالمدارس العامة

٣٣

المدرسة القاسمية

هذه المدرسة اسسها رجل من اهل البر والمعروف اسمه الشيخ الحاج قاسم

ابن الحاج علي بن يوسف الجربي بالمكان الذي كان بـه الضريح المنسوب لسيدي السريدك ووقف بنفسه على بنائها وبنى بها كتابا لتعليم القرءان للصبيان وفتحت لسكنى الطلبة في سنة ١٣٤٧ وحضر حفلة افتتاحها المولى الامير في موكب فخيم وتفضل بشكر صاحبها مباشرة منه اليه ثم احسن له بنيشان الافتخار اظهارا لما له من الاعتبار في سامي الانظار ـ توفى مؤسسها رحمه الله سنة ١٣٥٥

٣٤

المدرسة الدغرية

هذه المدرسة توفق لاحداثها رجل من اهل الفضل والثـروة الواسعة اسمه الشيخ محمد الدغري اصيل جزيرة جربه بناها في سنة ١٣٤٧ وتسلمتها جمعية الاوقاف من المحبس في عام ١٣٥١ وقد رتب لها مؤسسها وقفا للقيام بشئونها وجعل النظـر عليها من بعده لذريته قصد بذلك التقرب الى الله زلفى وكان بناؤه لها في ءاخر حياته والاعمال بالخواتم رحمه الله وتقبل سعيه

٣٥

المدرسة الحمزية

هذه المدرسة تطوع بها رجل من اهل البر والاحسان وهو الخير الشيخ حسن ابن الحاج علي حمزه المهدوي من بيوتات المهدية وقفها على سكنى طلبـة العلم في سنة ١٣٤٨ واحتفظ بحق النظر عليها لنفسه ثم لمن يعينه لذلك من بعده

٣٦

المدرسة الصالحية

هذه المدرسة تطوع باحداثها احد اهل الفضل وهو الخير ابو عبد الله السيد محمد الصالحي زعيم الوكلاء كان واحد اعضاء المجلس الكبير المشهورين بالمساعي الحميدة

في سبيل المنفعة العامة قام برحلة مفيـدة بالشرق الادنى واقتبس من مشاريع العلم هنـالك مشروع مدرسته هذه التي بناها من ماله الخاص في سنة ١٣٥٦ ووقفها على طلبة العلم وسن لها نظاما مستكملا ناط ادارته بعهدة من يقوم بتنفيذه ممن يثق به من اهل الفطنة والامانة

٣٧

مدرسة الهداية

هذه المدرسة اسسها المحسن الكريم السيد الحاج احمد بن الامين الجربي محيي جامع الحجامين الذي تقدم التعريف به في باب الجوامع المالكية وقفها على طلبة العلم الذين في كفالة جمعية اعانة الضعفاء من تلامذة جامع الزيتونة وفروعه لتكون لهم مأوى وسكنا وقد تم تجهيزها وافتتاحها في موكب مشهود انعقد يوم الخميس في ٢٣ جمادى الاولى سنة ١٣٥٧ برئاسة زعيم الجمعية المشار اليها وهو العلامة الفاضل المدرس الشيخ محمد العزيز النيفر النائب عن صاحب الفضيلة شيخ جامع الزيتونة وفروعه، وممن حضر حفلة هذا الافتتاح المبارك اصحاب المعالي الوزراء واصحاب الفضيلة شيوخ المجلس الشرعي وغيرهم من العلماء واصحاب الحيثيات والمظاهر الرسمية وقد شاءت الاقدار ان يكون ختام الكلام على المدارس مقرونا بالهداية فلله الحمـد والشكر في البداية والنهاية

الخاتمة

في تاريخ نشأة اختام الحديث الشريف بتونس

اعلم ان العناية بالاحاديث النبوية قديمة في الاسلام لانهـا تعلم المخلوق كيفية معاملته لخالقه واعتقاده الحق في ذاته وصفاته تعلى وكتبه ورسله وانبيائه عليهم الصلاة والسلام وسيرهم الحميدة وقصصهم كما تعلم مصالح الدنيا وكيفية معاشرة الخلق على الوجه الحسن وكيفية تعامل النـاس بين بعضهم على الوجه الاجمل وعلـم الحديث تتعلق به علوم منها تفسيره ومنها علم المصطلح وهو علم يعرف به قوة سنده الذي به وصل الينا

وتراجم الرجال الناقلين له كما يعلم به الاحاديث الموضوعة التي تنسب لصاحب الشريعة ولم يقلها صلى الله عليه وسلم وقد برع في هذا العلم كثير من اقطاب الملة وانتهت صحة الرواية فيه الى الرواة الستة اصحاب المسانيد المعروفة بكافة بلاد الاسلام وهم : الامام ابو عبد الله محمد بن اسماعيل الجعفي البخاري المتوفى سنة ٢٥٦ (يوافق وفاته لفظ « نور » بحساب الجمل) والامام ابو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري المتوفى سنة ٢٦١ والامام ابو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة القزويني المتوفى سنة ٢٧٣ والامام ابو داوود سليمان بن الاشعث السجستاني المتوفى سنة ٢٧٥ والامام ابوعيسى محمد بن عيسى الترمذي المتوفى سنة٢٧٩ والامام ابو عبد الرحمن احمد بن شعيب النساءي المتوفى سنة ٣٠٣ فهؤلاء الائمة اتفق اهل الحديث على صحة كتبهم كما اجمعوا على ان صحيح الامام البخاري هو افضلها على المذهب المختار وانه اول كتاب بعد القرءان كلام الله القديم واول كتاب صنف في الحديث كتاب ابن جريج وقيل موطا مالك بن انس امام دار الهجرة واعلم ان اختام الحديث التي تقع بتونس كل عام في ايام معلومة من شهر رمضان مستمدة من صحيح الامام البخاري الا ما شذ منها كما سترى خبره ولما كان الحديث هو الركن الثاني الذي اقيم عليه هيكل الشريعة الاسلامية بعد الركن الاول الذي هو كتاب الله تعلى وجه اليه العلماء شرقا وغربا كامل عنايتهم تلاوة وفهما وتفهيما قاصدين بذلك تدعيم اصول الدين وتوثيق عرى حبله المتين حتى ينتفع الخاصة بفهم اسراره ويتيمن العامة ببركة انواره وعلى هذه القاعدة درج ائمة السلف واقتدى بهم علماء الخلف فكانوا السابقين اللاحقين للكرع من مناهل رياضه والارتواء من سلسبيل حياضه وهي سنة متبعة بكافة الاقطار بين اهل الاعصار وكما انها لم تزل بفضل الله قائمة بهذه الديار كذلك كان شانها بغيرها من الامصار فقد نقل الشيخ محمد بيرم الثاني حديث ختم للحافظ ابن كثير صاحب كتاب البداية والنهاية في التاريخ قام به في دمشق الشام سنة ٧٦٥ وعلى هذا المنوال جرى عمل علماء تونس منذ قرون يشهد بذلك اعتناء اهل البر والمعروف منذ عهود بعيدة بتاسيس الاوقاف الخيرية الجارية ارباعها لهذا الزمان بعنوان رواية الحديث في كثير من الجوامع والمساجد والمدارس التونسية وكان ولم يزل لاهل تونس عظيم اعتناء بشان ختم الحديث فقد نقل المؤرخ ابن ابي دينار ان لاهل تونس اهتماما عظيما

بمجالس الاختام واحتفالا كبيرا بها حتى انهم يشتغلون بها عن كل ما سواها قال ويغلقون حوانيتهم وينادي المنادي فيهم الا ان الختم لجامع البخاري غدا صباحا او عشية في موضع كذا فيفزع الناس ويتسارعون شيوخا وكهولا ذكورا واناثا وربما دام الختم عندهم من زروق الشمس الى قرب الزوال اه قلت ولم تكن رواية الحديث عندهم خاصة بشهر رمضان بل كان منها ما يبتدا في كل عام من شهر رجب ومنها ما يكون في سائر ايام العام بشرط انتهاء الرواية في يوم معلوم من شهر رمضان اصطلحوا على تسميته بيوم الختم وربما كان من شروط المواقفين رواية الصحيح كله في مدة الحول او في الاشهر الثلاثة رجب وشعبان ورمضان قال المؤرخ حسين خوجه في كتاب بشائر اهل الايمان ان القاضي الشيخ حمودة الريكلي من فقهاء دولة علي باشا كان يروي الحديث على دور العام بزاوية سبدي معاوية وقد عرفنا من شيوخ الجيل الماضي من كان قائما بمثل ذلك على الوجه الاتم كالمرحوم ابي النخبة الشيخ مصطفى البارودي الامام الاول بجامع باردو فكان يقوم برواية الصحيح كله في مسجد الطراز (١) كل عام الى ان ادركه اجله في سنة ١٣٢٢ وكان بعض اهل العلم يتولى رواية الحديث بطريقة دورية في سائر ايام الجمعات مدا العام كله ومن هذا القبيل كان صنيع العلامة الشيخ سالم بوحاجب كبير اهل الشورى المالكية اثناء مباشرته للامامة والخطبة والرواية بجامع سبحان الله وكتب في ذلك شرحا جامعا لجملة من ابواب صحيح الامام البخاري سمعت ذلك من بعض الشيوخ بمناسبة حديث دار في مجلسه عن الشرح الذي كتبه الشيخ الشنقيطي على الصحيح المشار اليه (٢)

---

(١) مسجد الطراز ويسمى جامع الطراز وجامع الطرازين ورواية الحديث به من حسنات المرحوم مصطفى باي اه من الخلاصة النقية

(٢) وفد العلامة الحافظ الشيخ الشنقيطي واسمه محمد يحيى بن محمد المختار ابن الطالب عبدالله الولاتي من واحة ولات بالصحراء الغربية لزيارة تونس وجامعها الاعظم جامع الزيتونة عمره الله بعلوم الدين وحفظه من ءافات التجديد المشين وكان ذلك في رجب سنة ١٣١٥ واقام ضيفا مكرما ونزيلا مبجلا معظما بين اهل العلم الى ءاخر تلك السنة وفي خلال تلك المدة اجتمع الشيخ الشنقيطي بخاصة علماء الحضرة ولا سيما شيخ الجماعة الاستاذ الاكبر الشيخ سالم بوحاجب طاب ثراه وهذه المجالس جمع حديثها العالم المرحوم الشيخ محمد باش طبجي الحنفي في رسالة له اسماها

هذا وقد رايت بكنـاش لبعض الافاضل ان اول ختم للحديث بتونس اسسه احد سلاطين بني ابي حفص بجامع ابي محمد خارج باب السويقة ويظهر من كلام المؤرخين ان رواة الحديث بتونس كانوا كثيرين في الدولة المرادية ولكن الاختـام كانت بالرواية المجردة وشذ منها ما كان دراية قال في المونس : ولم يكن بالديار التونسية من يوم حل بها العسكر العثماني من تعاطى الرواية والدراية الا الشيخ العالم العلم الرباني ابو عبد الله محمد تاج العارفين العثماني (يتصل نسبه بالخليفة الثالث سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه) سقى الله ثراه من صوب الرحمة والرضوان وكان مجلسه

الفرائد تعرض فيهـا لذكر الشرح الذي كتبه الشيخ الشنقيطي على الجامع الصحيح وهذا الكتاب الجليل وقفت عليه وهو في ثمانية اجزاء في القالب الكبير استوعب فيه صاحبه الكثير من صحيح الامام البخاري ابتداه من باب كيف كان بدء الوحي وختمه بحديث كلمتان حبيبتان الى الرحمن

قال في خطبته : اراد هذا العبـد الذليل الفقير الى مولاه ان يشرح الجامع الصحيح للامام البخاري شرحا يبين فيه ما في بعض تراجمه وبعض احاديثه من الفقه نقلا واستنبـاطا معتمدا في النقل على فتح البـاري للامام الحافظ ابن حجر وارشاد الساري للقسطلاني وبهجة النفوس للعارف بالله ابن ابي جمرة وربما نقلت من الكوكب المنير على الجامع الصغير للامام العلقمي ومن التوشيح للامـام السيوطي على صحيح البخاري وربما نقلت من كتب فروع مذهب مالك كمختصر خليل رتوضيحه وشرح المواق على المختصر وشرح بهرام عليه وشرح الدردير وحاشية الحطاب ولا اتكلم على شيء ما من علوم الحديث الا فقهه فهو المقصود بالذات عندي في هذا الشرح وان تكلمت على غيره نادرا فبحكم التبع واميز ما كان لي من الاستنبـاط بصيغة قلت لان ذلك من الصدق في العلم مخافة ان يلتبس ذلك بفقه غيري في الحديث وسميته بنور الحق الصبيح في شرح بعض احاديث الجامع الصحيح اهـ

وختمه مؤلفه بقوله : وقد تم هذا الشرح المبارك النافع ان شاء الله تعلى ضحوة الجمعة لثالث عشرة ليلة مضت من الشهر المبـارك المحرم رجب الفرد افتتاح القرن الرابع عشر من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة وازكى السلام تقبله الله بمنه وكرمه وجعله وصلة الى حضرة سيد المرسلين محمد صلى الله عليه ونفع به كل من نظره او طالعه او حصله انه لا رب سواه وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وامام المرسلين وعلى اله وصحبه اجمعين وعلى تابعيهم وتابعي التابعين الى يوم الدين وحسبنـا الله ونعم الوكيل ونعم المولى ونعم النصير اهـ

بالجامع الاعظم من اجل المجالس وتحضره الاجلاء من اهل العلم وتدور بينهم المباحث الجميلة في العلوم الجليلة ولا يخلو مجلسه من فوائد في الثلاثة اشهر رجب وشعبان ورمضان الى يوم الختم وهو اليوم السادس والعشرون من رمضان اه

ثم قال : وتلاه ولده العلم الشهير والعالم النحرير الشيخ ابو بكر فسار بسيرة والده وقام بعلم الحديث الشريف احسن قيام وشهد له بالدراية علماء الاسلام فكان في هذا الفن نسيج وحده وحصل له سرابيه وبركة جده الى ان سار الى رحمة ربه في سنة ١٠٩٣ فتغيرت تلك القاعدة وصارت رواية لا غير اه قلت وهكذا استرسل الامر من حصر اختام الحديث في الرواية المجردة بنية التبرك وحسب في كامل القرن الثاني عشر ودام العمل كذلك الى اواخر دولة المرحوم الباي حمودة باشا الحسيني ففي سنة ١٢٢٦ تصدى العلامة قاضي الجماعة لعهده ابو العباس الشيخ احمد بن الخوجة الاول لاحياء الاختام دراية على معنى الجمع بين فضيلتي الجهة التعبدية والغاية العلمية العملية الكفيلة بسعادة الدارين فكان ختمه رحمه الله في باب التهجد (٢) من صحيح البخاري مبدا لنفائس التحقيقات وبدائع التحريرات نسج على منواله من بعده علماء الديار التونسية جيلا بعد جيل وكان لملوك تونس في الماضي كما في الحاضر عناية باختام الحديث يحضرونها مع وزرائهم واهل بلاطهم في مواكب حافلة لم يزالوا محافظين عليها الى هذا الزمان وفي هذا العصر وسع مولانا المؤيد بالله ولي النعم سيدنا احمد باشا باي الثاني خلد الله ملكه في برنامج مواكبه المتعلقة باختام الحديث في شهر رمضان حيث قرر حضوره بالذات في ثمانية من تلك الاختام زيادة على ختم جامعه بالمرسى وتلك الاختام الثمانية هي : ختم جامع ابي محمد وختم جامع حرمل وختم جامع الحلق وختم جامع حمودة باشا وختم جامع صاحب الطابع وختم جامع يوسف داي وختم جامع الزيتونة وختم جامع سبحان الله وجميع الاختام بوجه عام تنعقد في تونس هذا الزمان بعد صلاة العصر وكانت في القديم تنعقد في الصباح وفي المساء على حد سواء وبعضها يبلغ مجلسه لدرجة الازدحام كاختام الشيخ احمد بن

(٢) كان هذا الختم هو اول اختام الحديث دراية بتونس في الدولة الحسينية قرضه رئيس علماء زمانه الشيخ محمد بن قاسم المحجوب الملقب بمالك الصغير بابيات ننقلها هنا عن احد الكناشات الخوجية اتماما للفائدة ونصها :

تدارك سهو حصل بآخر سطر من الصحيفة السابقة ٢٢٠

شعـر

لله هذا الذي قـد راق وابتهجـا ومنهج الحق والتحقيق قد نهجـا
محكم النسج لا يخشى معارضـة لانه بيد الاتقـان قـد نسجـا
نزهت فكري في افنان ما غرست يـد الذكاء بـه مستنشقا ارجـا
لم لا وواضعه فـرد الزمان ومن بعدله منصب الاحكام قـد لهجـا
قاضي القضاة وفخر العصر منصبه من التـقدم معروف لكل حجـا
اوضحت فيـه ابا العباس مجتهـدا وجه التهجد حتى قـام مبتهجـا
لا اغمد الله سيفـا انت مصلتـه من العلوم وفي صدر الحسود شجا
ولا برحت كذا في كـل قابلـة تقلد الحتم من انظاركم حججـا

الخوجه الثاني واختام الشيخ سالم بوحاجب رحمهما الله قال في المجلة الزيتونية :وربما وقع اختيار بعض اهل العلم من رجال هذه الدروس يعني الاختام على بعض النوازل الحادثة فيتناولها بحثا وتحقيقا ويبين ما يراه فيها على قواعد العلم ومن هؤلاء العلامة الطائر الصيت ومثال التحقيق وسعة النظر الشيخ احمد بن الخوجه شيخ الاسلام المتوفى في ذي الحجة ١٣١٣ فقد كان تناول مسالة العمل بخبر البرق (التلغراف) في الصوم في مجلس ختمه بجامع محمد باي المرادي سنة ١٢٨٠ لورود خبر الصوم ببرقية في هذا الشهر وجاء في الموضوع بتحقيق بديع اه ثم قال : وكان العلامة الواسع الاطلاع الشيخ محمد النجار المفتي المالكي المتوفى في رمضان عام ١٣٣١ يتناول في مجالس اختامه مسائل الوسيلة والاجتهاد والكسب وغيرها مما صار موضوع اخذ ورد بين الكاتبين منذ اربعين عاما اه

وقد ذكرنا فيما تقدم ان اغلب الاختام بتونس تقع من الجامع الصحيح للامام البخاري وقل ان تكون من صحيح الامام مسلم وممن كان يختم منه العلامة ابو الفلاح الشيخ صالح النيفر كبير اهل الشورى المالكية وكان العلامة ابو النجاة الشيخ سالم بوحاجب يختم من موطا امام دار الهجرة مالك بن انس وهو اول من كتب على ابوابه في مجالس الاختام واتفق لبعض الشيوخ الختم من كتاب الشفا للقاضي عياض ومن ذلك الاختام التي كان يقوم بها ابو العباس الشيخ احمد جمال الدين بجامع المرسى بحضور امير عصره المولى علي باي الثالث رحمه الله هذا ولو تصدى احد لجمع اختام علماء تونس لتكون لديه عدة مجلدات في مسائل شتى من الكتاب والسنة صالحة لكل زمان ومكان وقد كنت سعيت لجمع اختام الحديث الواقعة في سنة ١٣٢٠ وطبعتها فجاءت في سفر جليل استغرق اكثر من ٢٦٠ صفحة في القالب النصفي اهديت منها نسخا لاصحاب هاتيك الاختام ولبعض الذوات الكرام بنية استنهاض همم اهل العلم للنسج على ذلك المنوال والتمادي على ذلك المشروع ويلوح انهم اكتفوا اكتفاء القنوع بما هو مطبوع

هذا وقد جرت العادة بتونس ان صاحب الرواية يقوم في اخر الختم بتلاوة دعاء للمولى الامير ولعامة المسلمين يقرأه على رؤوس الاشهاد والحاضرون يؤمنون على دعائه وهي سنة قديمة درج عليها السلف قبل الخلف لكن هذه الادعية كانت في

الزمن الماضي خالصة لله تعلى مجردة عن التلويح لاعراض الدنيا خالية عن التلويح لغايات في النفس ولننقل لك على سبيل الذكرى التي تنفع نموذجا من ادعية بعض من سلف من الشيوخ من ائمة القرن الماضي فمن ذلك دعاء ختم به الشيخ ابو اسحاق ابراهيم الرياحي ختمه بجامع الزيتونة ليلة ٢٧ رمضان سنة ١٢٦٠ بحضور امير العصر ونص عبارته بعد استفتاح جليل بالصلاة والتهليل :

.... واسالك اللهم باسمك الاسمى . الذي جعلته من الادراك في حمى احمى . ان تتجلى بحفظ من خفي اسراره . ولطف كامل من لطائف انواره . على عبدك المشير الذي وفقته لعمارة الثغور . من البحر المسجور . واسراج مصابيح العلوم بهذا البيت المعمور . نور على نور . وترتيب العساكر ترتيب القلائد في النحور . جمال في الابصار وجلالة في الصدور . وكم له من مئاثر في الاسلام يعلمها العليم . ولا يطمع في احصائها رقيم . فتبارك الذي من به على هذا الاقليم . وسبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم اه من كتاب تعطير النواحي

واليك دعاء اخر ختم به جدي الاقرب ابو عبد الله الشيخ محمد بن الخوجه ختمه بجامع محمد باي المرادي في ٢٢ رمضان من السنة ١٢٦٠ المذكورة بحضور الامير المشير وكان موضوع الختم قوله صلى الله عليه وسلم : لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق وهم اهل العلم . ونص الدعاء بعد مقدمة جامعة في الابتهال والتوجه اليه تعلى بحرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم

... وايدنا اللهم بتاييد من منت بولايته علينا . واسديته نعمة الينا . اميرنا المشير . العديم النظير . الذي قام فينا بحق الولاية . وادى الينا كمال الرعاية . فاشهر بقطرنا العلم بعد الدثور . ونشر اعلامه بين الخاصة والجمهور . وصرف الجوائز فيه . وردبيت المال اليه . واكبر موسم الميلاد . وبالغ في العدة وكمال الاستعداد . لما يتعلق باظهار العلم وقوة الجهاد . فسد الثغور . وربط الخيول واجرى الجواري ورتب الاجناد . فكن اللهم كفيلا له ونصيرا . واجمع له من خيري الدارين كثيرا . واجعل ذكره خيرا طيبا ماثورا . وحديثه بين الانام دائما بالثناء منشورا . وارحم اسلافه الطيبين . واجعلنا واياه من الطائفة الظاهرين . اللهم اغفر اوزارنا . واختم بالسعادة اعمارنا . واجرنا من النار وثقل

لنا الميزان . بحق من قال كلمتان حبيبتان الى الرحمن . خفيفتان على اللسان . سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم اهـ من مجموع اختامه

هذا ويلتحق باختام الحديث الشريف بحاضرة تونس ختم جامع باردو دار الامارة وختم جامع جبل المنار وختم جامع المرسى فالختمان الاولان سنهما المرحوم المولى حسين بن علي مؤسس جامعيهما واما ختم جامع المرسى الذي هو من مآثر الدولة الحفصية كما تقدمت الاشارة لذلك عند التعريف بالجامع الجديد في الباب الثاني فانه من حسنات المقدس المولى علي باي الثالث والد سيدنا ومولانا الملك الموجود متع الله ببقائه الوجود ولم نقف بالتاريخ على وجود ختم للحديث بجامع حلق الوادي الذي كان دار ملك في القرن الماضي ينزل بها الامير في زمن المصيف والسبب في ذلك والله اعلم هو ان جامع حلق الوادي بناه المشير احمد باي في سنة ١٢٦٩ مع قصر الامارة القريب منه وتم بناء هذا القصر في سنة ١٢٧٠ وسكنه الباي اثناء مرضه الا ان المنية عاجلته فختم به انفاسه في رمضان سنة ١٢٧١ هذا وقد كان المشير محمد الصادق باي من اكثر الملوك الحسينيين عناية بختم الحديث الشريف قال في المجلة الزيتونية : كان تعجبه المباحثات العلمية والاخذ والرد فيها وكان من المسارعين في البحث بها يومئذ من اهل العلم العلامة شيخ الاسلام ابو العباس احمد كريم رحمه الله ولشدة عناية هذا الامير بحضور مجالس الاختام كان يجمع احيانا في المساء الواحد بين الختمين اهـ(١) قلت ان المشير محمد الصادق باي كان شديد المحافظة على التقاليد والسنن المتبعة في بيت الملك من ذلك كان يقيم ببيته مجلسا لقراءة دعاء عاشوراء يقوم بتلاوته الشيخ باش كاتب وزير القلم واتفق لهذا الوزير في بعض السنين حصول انحراف بمزاجه منعه

(١) اتفق له حضور ختم الحديث بمدرسة بئر الحجار وكان بعزمه الحضور بعدها بختم جامع صاحب الطابع وطال مجلس الختم الاول فأيس صاحب الختم الثاني وهو الشيخ ابو الثناء محمود الابي من قدومه واقرا درسه لاقتراب وقت الغروب ومذ كان الناس خارجين من هذا الختم الثاني قدم موكب الباي لحضور الختم لانه سبق منه الاعلام لصاحبه بعزمه على المجيء اليه فانكر الباي استعجال صاحب الرواية وعدم انتظار قدومه لاخر لحظة ومن اجل ذلك امر بعزله واسند خطته لفقيه غيره قال المؤرخ الشيخ ابن ابي الضياف انه عزله عن الامامة ولكنه ابقاه على خطة التدريس بجامع الزيتونة

عن اتمام ذلك فاستناب الشيخ الوالد للقيام مقامه فقرا الدعاء بين يديه بالقصر السعيد بينما كان سموه مكشوف الراس باسطا اكف الضراعة لملك الملوك جل جلاله هكذا سمعت من والدي رحمه الله واما المشير محمد باي فلم يؤثر عنه الا الحضور بختم الجامع الاعظم وكان ابن عمه المشير الاول احمد باي لايتخلف عن اختـام معلومة منها ختم جامع الزيتونة وختم الشيخ الجد بجامع سيدي محرز وختـم الشيخ محمد بن سلامـة وختم الشيخ محمد بيرم الرابع بالمدرسة العنقية وكان والده المولى مصطفى باي يحضر بضعة اختام منها ختم قاضي الجماعة الشيخ محمد البحري بن عبد الستار وختم المفتي الشيخ محمد بن سلامة وختم جامع الزيتونة واتفق له حضور ختم المدرسة الباشية خلافا لجميع من تقدمه من ءال بيته لانهـا مئاثر الباشا علي باي الاول خصيم جدهم المقدس المبرور الباي حسين بن علي تركي واعتمادا على هذه السابقية جاز لابنه المشير احمـد باي زيارة ضريح علي باي المذكور فيما حكاه عنه الشيخ احمد بن أبي الضياف في تاريخه

ومن مشاهير اختام العصر الحسيني في القرن الماضي ختما الفحلين النيرين بهجتي الاوان اللذين اتفق على فضلهما القلم واللسان الشيخ محمد بن عاشـور والشيخ الطاهر بن عاشور وكذلك اختام العلامة القدوة الشيخ احمد بن حسين القمار والعلامة الفهامة الشيخ محمد بن حمزة الشاهد والعلامة الدراكة الشيخ محمد النيفر وهذه الاختام لم تزل مشهورة في نوادي اهل العلم يرجع اليها اهل التحقيق والفهم

وفي الازمنة المتاخرة كان المولى محمد الهادي باي كثير الاهتمام باختام الحـديث حتى انه قام بحضور مجالسها كلها في عام ١٣٢٠ وكان ابن عمه المولى محمد الناصر بـاي يحضر ختم المفتي الشيخ محمد النجار بجامع حرمل وختم شيخ الاسلام الشيخ محمود ابن الخوجة بجامع صاحب الطابع وختم جامع الزيتونة ثم صار يحضر في ٢٦ رمضان ختم الشيخ احمد بيرم بجامع يوسف داي مع ختم جامع الزيتونة وتخلف عن الجميع في سنة ١٣٤٠ قبيل وفاته وكان ابن عمه المولى محمد الحبيب باي يحضر في مبادي مدته سبعة اختام ثم اقتصر في ءاخر مدته على حضور ختم جامع يوسف داي من الجوامـع الحنفية وختم جامع الزيتونة من الجوامع المالكية واما ولي النعم سيدنا ومولانا احمد باشا باي الثاني خلد الله ملكه فقد ذكرنا عنايته بمجالس الحديث فيما تقدم من الكلام وهو مسك الختام

واليك الان برنامج جميع اختام الحديث التي تقام بتونس في هذا الزمان وهي التي عليها اوقاف جارية للرواية من صنيع اهل الخير ومنه تفهم ان الجوامع والمساجد والمدارس والزوايا والاضرحة التي لا يقام بها ختم الحديث ليس عليها اوقاف خاصة لرواية الصحيح او كان لها ذلك في الزمن الماضي وتناوله التلاشي والاضمحلال والايام التي نذكرها لبيان انعقاد تلك الاختام بعضها موافق لما عينه الواقفون وبعضها تناوله التغيير كما سبقت الاشارة لذلك في الابواب المتقدمة وانما هي في الجملة كلها موافقة لمواعيد الاختام المصطلح عليها في هذا الزمان

محل الختم	تاريخ انعقاد الختم	تنبيهات
جامع ابي محمد	يوم ٨ من رمضان	يحضره المولى الامير
جامع حرمل	يوم ١١ منه	يحضره المولى الامير
جامع الحلق	يوم ١٤ منه	يحضره المولى الامير
مسجد سيدي بوحديد	مثله	
ضريح سيدي معاوية	مثله	
المدرسة الجديدة	يوم ١٦ منه	
جامع حمودة باشا	يوم ١٧ منه	يحضره المولى الامير
جامع السبخاء	مثله	
تربة الباي	مثله	
مسجد الطراز	يوم ١٨ منه	
المدرسة المرادية	مثله	
المدرسة المنتصرية	يوم ١٩ منه	
جامع صاحب الطابع	يوم ٢٠ منه	يحضره المولى الامير
مدرسة بئر الحجار	مثله	
جامع سيدي محرز	يوم ٢٢ منه	
ضريح سيدي منصور	مثله	
المدرسة المرجانية	مثله	
جامع يوسف داي	يوم ٢٣ منه	يحضره المولى الامير

الجامع الجديد	يوم ٢٣ منه	
جامع باب الجزيرة البراني	مثله	
مدرسة حوانيت عاشور	مثله	
جامع القصر	يوم ٢٤ منه	
مدرسة النخلة	مثله	
المدرسة الباشية	يوم ٢٥ منه	
المدرسة العنقية	مثله	
المدرسة السليمانية	مثله	
جامع الزيتونة	يوم ٢٦ رمضان	يحضره المولى الامير
جامع باب البحر	يوم ٢٧ منه	
جامع القصبة	مثله	
جامع الهواء	يوم ٢٨ منه	
جامع سبحان الله	يوم ٢٩ منه	يحضره المولى الامير
زاوية سيدي احمد بن عروس	مثله	
جامع المرسى	مثله	يحضره المولى الامير
جامع باردو	مثله	
جامع جبل المنار	مثله	

تلك جملة الاختام التي لا يتخلف انعقادها في هذا العهد بتونس واحوازها وايها أوقاف جارية لرواية الحديث بالجوامع والمساجد والمدارس والزوايا والاضرحة التي ينتظم بها سلك تلك الاختام وواسطة عقدها كعبة العلم جامع الزيتونة عمره الله بدوام ذكره

هذا ما بلغ اليه جهد المقل في مقام التعريف ببيوت العبادة ومدارس العلم واختام الحديث الشريف . مما كان القصد من تدوينه جمع اخبارها بما احتوت عليه من كل تالد وطريف . كتبته احتسابا لوجه الله تعلى والله ولي القبول وقد وافق الفراغ من تحريره يوم السبت لخمس ليال خلت من جمادى الاولى سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة والف وصلى الله وسلم على خير خلقه سيدنا محمد وءاله

التقاريظ

عبارة الخط الملكي الشريف
المطرز به صدر التاليف

الحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى ءاله وصحبه وسلم

وبعد فقد اطلعنا على هذا الكتاب الذي لم ينسج قبل على منواله. في بديع اسلوبه وغزارة فوائده وعميم انقاله واقواله . كيف لا ومولفه ممن غرف من بحر العلم واستفاد. ونبغ في الاحاطة باخبار مملكتنا ومآثرها واجاد. نعني به الهمام الاحظى العالم المؤرخ امير الامراء ابننا سي محمد بن الخوجة مستشار الحكومة التونسية . اسبغ الله عليه نعمه. واعانه على ما توفق له من نشر مفاخر السلف. ليستفيد بمطالعتها الخلف. فنشكره عن هذا السعي الجليل. والصنيع الجميل . والسلام من الفقير الى ربه تعل عبده احمد باشا باي صاحب المملكة التونسية وفقه الله وكتب في ٦ جمادى الثانية وفي ٢٤ يوليه سنة ١٣٥٨-١٩٣٩

دام عزه وعلاه

تقاريظ الكتاب

الحمد لله بعد ان صدرنا هذا التاليف بالخط الملكي الشريف نختمه بنشر ما تفضل به علينا بعض الاخوان والخلان من اصحاب المعالي الوزراء الفخام . وارباب الفضيلة العلماء الاعلام . وغيرهم من ذوي الحيثيات والمظاهر العالية . ومن كان لهم علينا في مقام التحبيذ والتنشيط المزية الخالدة والمنة الباقية . لما واصلونا به من التقاريظ الفاخرة . التي جعلت جوارحنا لهم شاكرة . والسنتنا بفضائلهم ناطقة وذاكرة .

فمن ذلك ما كتبه مقام عضد الامارة . ويمين الدولة وصدر الوزارة . شامخ الحسب . شريف النسب . صاحب الاخلاق الزكية . والسياسة المرضية . والمساعي المشكورة . ومآثر الخير المذكورة . نادرة الزمان . وقطب دائرة الاوان . الفذ الذي اشرقت في افق المعالي انوار بدوره الطالعة . واكتست ببهجة الكمال ورونق محاسن الخصال مظاهر شموس عزه الساطعة . الهمام الافخم . والملاذ الاكرم . اخي الحميم ومستودع ودادي في الجديد وفي القديم . جناب المولى الوزير الاكبر امير الامراء سيدي الهادي الاخوه لا زال سعيدا زمانه رفيعا مكانه .

وهذا نص كتابه :

جناب الهمام الاعز الاحظى نخبة الاعيان . ومفخرة الزمان . اخونا امير الامراء سيدي محمد بن الخوجه مستشار الحكومة التونسية ادام الله حفظه واجزل من السعادة حظه السلام عليكم ورحمة الله وبعد فقد تناولت بيد الممنونية والاعجاب هديتكم الثمينة التي هي مؤلفكم الموسوم بتاريخ معالم التوحيد في القديم وفي الجديد . فالفيته مصدر افادة . وعنوان اجادة . قد حسن فيه التركيب والتبويب . وحوى من عيون الاخبار التاريخية اوفر نصيب . خصوصا وقد تناول غرضا شريفا الا وهو حديث تاسيس المعالم الدينية بهاته الايالة وما هنالك من وثائق تاريخية كشفت في هذا الموضوع الستار . عن جليل الاخبار . ودلت على عناية اهل هذا القطر السعيد . بمعالم التوحيد . فاعظم به من سفر اسفر عن معلوماتكم الغزيرة . وآرائكم المستنيرة . ودل على ما لكم من علو الكعب في التحرير والتحبير واني لمبتهج غاية

الابتهاج بهديتكم القيمة التي سلكتم فيها احسن منهاج وختاما ادعو لكم بالاعانة على الاستزادة في هذا السبيل الذي برزت فيه براعتكم وظهرت براعتكم ودمتم بحفظ الله والسلام من الفقير الى ربه تعلى امير الامراء الهادي الاخوة الوزير الاكبر وفقه الله تعلى وكتب في ٩ جمادى الثانية وفي ٢٧ جويلية سنة ١٣٥٨ - ١٩٣٩

***

ومنها ما كتبه عين الاعيان . وزينة العصر والاوان . صاحب المساعي الفاخرة . والفضائل الكثيرة الباهرة . الهمام المفخم . والمقام المعظم . ركن المعالي . وبهجة الايام والليالي . ومفخرة تونس في السابق والتالي . ديباجة المعارف . المتجمل بتليدها والطارف . اخونا امير الامراء سيدي عبد الجليل الزاوش وزير العدليه . صانه رب البريه

وهذا نص كتابه :

جناب الهمام الاعز امير الامراء اخينا سيدي محمد بن الخوجه مستشار الدولة التونسية دام اسعاده بمنه تعلى اما بعد تقديم ازكى السلام عليكم ورحمة الله فقد تشرفت بهديتكم السنية وتحفتكم المرضية اعني تاريخ معالم التوحيد في القديم وفي الجديد لتاريخ الجوامع والمساجد العتيقه بالحاضرة فوجدته على غاية ما يرام من التدقيق ونهاية ما يرغب من التحقيق بارك الله فيكم واكثر من امثالكم سيما وقد كان اخوكم عند حضوره مع الحضرة العلية دام لها العز والبقاء في اختام رمضان ببعض جوامع الحاضرة يود ان يطلع على تاريخ تلك الجوامع ويتاسف كل تونسي على عدم وجوده ولو باختصار وقد تم ذلك الان والحمد لله وليس هو إلا بحزمكم وعنايتكم بتاريخ هاته الديار دام عمرانها فندعو الله ان يمتعكم بالصحة والعافية ويعينكم على مشروعاتكم التاريخية الجليلة والسلام من حافظ ودكم اخيكم فقير ربه عبد الجليل الزاوش عفي عنه وكتب في ٣ اوت ١٩٣٩

***

ومنها ما كتبه الهمام الاحظى . والشهم الفخيم الارضى . صنو المعالي . الممتاز بكريم اخلاقه وفضله المتلالي . صاحب المساعي الحميده والاراء الرشيده . نخبة الاعيان . من اهل الرفعة والشان . المحب لخير الوطن . المتجمل بحلة الذكر الحسن . صديقنا امير الامراء سيدي احمد بن الرايس باش كاتب ووزير القلم والاستشارة حرس الله بهجته

وهذا نص كتابه .

الحمد لله فاتح ابواب الكمال . ورافع راية العلم فوق هام الرجال . اهل الاصلاح والرشاد . وناشري الفضائل بين العباد . والصلاة والسلام على من اسس اول مسجد جمع فيه الناس للعبادة . وعلى الآل والاصحاب نجوم الاهتداء وبدور السعادة . وبعد فقد طالعت هذا التاليف الثمين . والمنهل العذب المعين . الذي اقيمت قواعده على التوحيد . وسماه مؤلفه العلامة بمعالم التوحيد . فكان خير كتاب اخرج لاهل هذه البلاد . ونشر به صاحبه معالم الفضل والارشاد . كيف لا ومؤلفه صديقنا المحقق الجليل . والمؤرخ الفاضل النبيل . سليل المجد والكرم . من امطرت سماء بيته من سماء العلوم اعظم الديم . امير الامراء سيدي محمد بن الخوجه دام عاملا في سبيل اسراج نور بلاده . ومفيدا بالتاليف كل قصاده . ونفع بتاليفه المفيد كل الاخوان . على ممر العصور والازمان . جرره الفقير الى ربه احمد بن الرايس وزير القلم والاستشارة في ١٠ جمادى الثانية وفي ٢٨ جويلية سنة ١٣٥٨ - ١٩٣٩

***

ومنها ما كتبه شيخ الشيوخ . وطود الرسوخ . صدر الشريعه . وركن ساحتها المنيعه . وحامل رايتها الرفيعه . ليث العرين . ومن ليس له في العلم قرين . علم الاعلام وبهجة الاسلام . امام الايمه . ومرجع اهل الراي في كل مهمه . بقية السلف . وبركة الخلف . العلم الهمام الحجة افضل الفضلاء الشيخ سيدي محمد بن يوسف شيخ الاسلام الحنفي بالمملكة التونسية ادام الله وجوده للانام . تفتخر به تونس على الدوام

وهذا نص كتابه :

الحمد لله الذي يسر اقلام البلغاء لنفائس الآداب . واظهر من ودائع سطورها نوادر الاخبار . وذخائر الآثار . بصائر للناس وذكرى لاولي الالباب . والصلاة والسلام على نخبة الاصفياء وخاتم الانبياء سيدنا ومولانا محمد افضل من نطق بالصواب . واوتي جوامع الكلم وفصل الخطاب . وعلى العترة الطاهرة وسائر الاصحاب . وبعد فقد وقفت على هذا التاليف المبارك الوحيد والطالع السعيد . بل العقد الفريد في معالم التوحيد . وسرحت الطرف في نواحيه . وتوجهت تلقاء مناحيه . فابصرت موضوعا شريفا عاليا . ومجموعا منيفا بالفوائد حاليا . استوعب المعاهد الدينية بالحاضرة التونسية . والتعريف بمؤسسيها . وارباب وظائفها ومتوليها . الى شذرات

فقهية . ونفثات ادبية . وصفحات تاريخية . فهو المستودع الفسيح الرحب . والمشرب الحلو الحلال العذب .

تخالفت الاراء في نعت حسنه فكل لـه فيما انتقـاه طريق
فقال فريق انه الزهر ضاحكا وقال بل الزهر النجوم فريق

وعندي وانا ثالث الفريقين انه :

كتاب كوشي الروض خطت سطوره يد ابن هلال عن فم ابن هلال

بارك الله لنا في منشيه . ومدبج حواشيه . حامل لـواء البيان المؤرخ الكبير والاثري الناقـد البصير . سعادة الهمام المفخم امير الامراء سيدي محمد بن الخوجه المستشار . ومن الى فضله ببنان المفاخر يشار . وما هـذه باول حسنة من مواهبه العلمية . ومحرراته الادبية . ادام الله اجلاله . وحرس بمنه مجده وكماله .

حرره الفقير الى ربـه عبـده محمد بن يوسف شيخ الاسلام الحنفي بالمملكة التونسية لطف الله به .

***

ومنها ما كتبه حجة الاسلام . واسطة عقد الاعلام . ونادرة الليالي والايام . الاستاذ النفاع . المنتشر فضله انتشار الشمس على يفاع . مفخرة الشمال الافريقي . وعنوان مجده الحقيقي . العلامه الامام . ومن انتهى اليه علو الكعب في كل مقام . فخر الشريعه . الواقف على اسرارها ومحاسنها البديعة سليل النسب الاطهر . وشامخ الحسب والكمال الاظهر . اخونا الحميم . وصديقنا الكريم . الشيخ سيدي الطاهر بن عاشور شيخ الاسلام المالكي بالمملكة التونسية . لا زالت ساحته محاطة بسياج العناية القدسية

وهذا نص كتابه :

حمدا لمن رفع لمعالم التوحيد ذكرا . واودع في ءاثارها للنـاس عظة وذكرى . وصلاة وسلاما على رسوله المرفوع اسمه باعالي المنائر . والمخلد شرعه بمتجدد ما يرتل في المحاريب ويخطب على المنابر . وعلى ءاله واصحابه الذين زانوا بالعلم والشجاعة مهارق التاريخ . فتضاءل دونهم في الامرين مثل شرف عطارد والمريخ . وشكرا له تعلى على ان اطلع لسماء هذه الايالة نجوما . وجعلهم ءاية مجدها فآمنها عند المفاخرة عيا ووجوما . وبخاصة نجوم كلما انقض منهم كوكب بدا كوكب . فتالقوا تجمعا

وتعاقبا في مطالعهم تالقا يبهر ويعجب . اولئك الذين توارثوا المجد العلمي خلفا عن سلف . كمثل عميد البيت الخوجي الذي ارتشف من معين العلم واغترف . صديقي الحميم . ومستودع ودي الراسخ القديم . الهمام المجيد . والكاتب المجيد مستشار الدولة واميز الامراء . وحامل راية كتابتها بلا مراء . سيدي محمد بن الخوجه دامت أفئدة اهل الادب من ءاثاره مثلوجة . فانه لا زال بهجة البصر والسمع . اتحفني بكتاب نال ما شرط لمحامد التأليف والجمع . كتاب سماه تاريخ معالم التوحيد . في القديم وفي الجديد . وافاني يمت بسببين سبب الاخوة المتين العرى . وسبب الصلة الادبية فحق له اجمل قرى . فلما تاملته مليا . واعملت فيه نظرا قصيا . وجدته قد وفى من تعريف معالم الدين والعلم بتونس بما كان على اهلها دينا . واستحق بصنيعه شكرين إذ أرضى به تاريخا ودينا . هنالك ابهجني سديد منهجه . وشكرت لمتروحه في مسير التحقيق ومدرجه . ثم عجمت يراعه . وشمت بارق نوئه وشعاعه . فاذا هو يسح وابلا من الفوائد كانت الناس اليه عطشى . ويفيض انهارا غشاها من الصافي المشمول ما غشى .

وحديثه كالقطر يسمعه راعي سنين تتابعت جدبا

فلله يراع لم يضر من هزه ان لا يهز مهندا . وانامل نرجو لها حظا من اشارة حديث من بنى لله مسجدا . حرره حليف وده وحافظ عهده محمد الطاهر بن عاشور شيخ الاسلام المالكي بتونس في جمادى الثانية وجويلية عام ١٣٥٨ - ١٩٣٩

***

ومنها ما كتبه اقضى القضاة . وجوهرة اهل العلم المنتقاة . قطب دائرة الاصلاحات العليه . ومن له في كل حركة فضيلة ومزيه . الفذ الذي ليس له نظير . فارس ميدان التحرير والتحبير . العلامه الهمام . فخر علماء الاسلام . الاستاذ الاكبر . والعلم الاشهر الشيخ سيدي صالح المالقي شيخ جامع الزيتونة وفروعه . الساهر بعين الجد على انتاجه وزروعه . لا زالت عزايمه ماضيه . وخدمته في سبيل العلم مرضية راضيه

وهذا نص كتابه :

نحمدك يا من جعلت اخبار الماضين لمن بعدهم عبرا . وقصص الغابرين لمن خلفهم اثرا . وان في ذلك لعبرة لمن رعاها واعتبر . وذكرى لمن وعاها وادكر .

تضيف الى عمر مطالعها اعمارا . وتكسب المتبصر فيها خبـرة واستبصارا . وتدني القاصي منها وان شط مزارا . لا سيما ما كان منها من مآثر ذوي البر والاحسان . والمشاريع الخيرية الخالدة على ممر الزمان . وعمارة مساجد انما يعمرها من ءامن بالله واليوم الاخر . وبناء معاهد يباهي بها في نشر العلوم ويفاخر . ونصلي ونسلم على رسولك المؤيد منك بباهـر المعجزات . والحاث على وسائل بث العلم وجاري الصدقات . وعلى ءاله وصحبه اولي الفضل والمبرات . اما بعد فقد اطلعنا على التاليف القيم المفيد . الموسوم بتاريخ معالم التوحيد . في القديم وفي الجديد . الـذي نسجت برده يد العالم الفاضل . عين الاعيـان وسليل الافاضل . الماجد النبيل . والمؤرخ الجليل . ومن له في تمحيص صبح الاخبار الحظ الجزيل . الهمام الاعز امير الامراء ونخبة الكتاب والخبـراء . سيدي محمد بن الخوجه مستشار الحكومة التونسية . أدام الله حفظه . واجزل من السعادة حظه . الذي احيا به ما اندرس او كاد من ءاثـار اسلافنا الاول . بما تداول عليه من العصور الخالية والدول . واوشك ان تنسج على تواريخه عناكب النسيان . ويؤول بتطاول الاحقاب الى الترك والنسيان . ولكن تنقيب ذلك البحاثة المطلع قـرب بعيده . وقيد شريده . فقام ـ شكر الله له ـ بهـذا المهم الجليل . والسعي المغتبط الاجل . وليس ذلك باول حسنة لهـذا الفذ الغطريف . والاديب الظريف . بل كثيرا ما اهدى الينـا نتائج مجهوداته . واتحفنا ـ ولا زال يتحفنا ـ بخرائد مبتكراته . فشكرا له شكرا . وحسبي اليوم ان اقـول في هـذا التاريخ الجامع . الذي تحتفل له النوادي العلمية والمجامع . انـه لتحرير جمع بين صحة النقل وسلاسة التعبير . يمثل في فنه مولفا جليلا . يستوجب من المطالع لـه ثناء جميلا . قاله وكتبه بقلمه فقير ربه عبده صالح المالقي شيخ الجامع الاعظم وفروعه لطف الله بـه في ثاني الجمادين من عـام ثمانية وخمسين وثلاثمائة والف من هجرة من خلقه الله على اكمل وصف

***

ومنها ما كتبه فخر الاعلام . الناسج في سلوكه على منهج اسلافه العظام . من اقطاب ايمة الاسلام . الفذ الذي اشتهر فضله بالافاق . واحـرز قصب السبق على الاطلاق . طود الفتوى . وساعدها المتين الاقوى . المتحلي بطريف المجد وتليده .

الممتاز بقلادة العلم في جيده . الهمام العلامة النحرير . والفذ الذي ليس له نظير . التقي النقي صديقنا الشيخ سيدي محمد الطيب بيرم المفتي الحنفي واستاذ التعليم العالي بجامع الزيتونه . لا زالت طلعته بامنة مامونه

وهذا نص كتابه :

جناب الشهم الهمام العالم الامام عريق النسب . وصاحب المجد والحسب . صديقي المفضال . وبالغ ذروة الكمال . من جواهر علومه مزجوجة . امير الامراء الشيخ سيدي محمد بن الخوجة . مستشار الحكومة التونسية . حفه رب البرية بألطافه الظاهرة والخفية . وبعد التحية العاطرة الزكية . فقد تشرفت من جنابكم باعظم هدية . الا وهي ذلك الكتاب الذي طابق اسمه مسماه . ولم يكن في بابه من حذا حذوه وتوخاه . وبتصفحه وجدناه جديرا بالتمجيد . وحق له ان يسمى بتاريخ معالم التوحيد . في القديم وفي الجديد . اذ انه احتوى على تحرير مفيد . وتحقيق يروي المريد . ولا يقول مطالعه بعد هل من مزيد . فهو الدر المكنون . والعقد المصون . فجازاكم الله تعالى خيرا عن هذا القطر المحروس . اذ خدمته خدمة تحيي النفوس . وترفع الرؤوس . حتى يقال لا عطر بعد عروس . والله تعالى يديم نفعكم . ويحرس مجدكم . والسلام من حافظ ودكم الفقير الى ربه تعالى عبده محمد الطيب بيرم المفتي الحنفي . حفه الله تعالى بلطفه الظاهر والخفي . تحريرا في جمادى الثانية وفي جويلية سنة ١٣٥٨ — ١٩٣٩

***

ومنها ما كتبه اوحد العلماء العظام . محرز قصب السبق في كل مقام . العلامة الهمام . وحسنة الايام . بحر العلوم الزاخر . ومصداق كم ترك الاول للاخر . عمدة اهل الرواية والدراية . ومن عليه الاعتماد في كل غاية . المحقق النقادة البصير . الذي هو للجانب الشرعي ولدوحة العلم اعظم نصير . الفذ الذي به تاج الامامة قد نيط . الشيخ سيدي محمد العزيز جعيط المفتي المالكي واستاذ التعليم العالي بجامع الزيتونة لا زالت فضائله مذكورة ومساعيه في سبل الخير مشكورة

وهذا نص كتابه :

الحمد لله الذي اولى بيوته العامرة بذكره مزيد العناية . وجعل المتعلقين بها في ظل الكرامة وكنف الرعاية . والصلاة والسلام على سيدنا محمد مطلع الكمال ومنبع الهداية . وعلى اله وصحبه بدور الرواية واقطاب الدراية . اما بعد فقد طالعت

التاليف الموسوم بتاريخ معالم التوحيد . في القديم وفي الجديد . فوجدته جنة افادة دانية القطاف . وكعبة اجادة واجبة المطاف . يتنقل مرتاده من طريف خبر . الى عظيم اثر . ومن لطيف فكاهة الى سديد نظر . ومن تعريف واف بمعالم العبادة . الى بيان مفصل لمرابع الافادة . ومن ترجمة امير او وزير . او عالم خبير او ولي لله كبير . او فاضل ذي شان خطير . الى تقييد شاردة توارت بحجاب الاستتار . وتسجيل فائدة خلت منها بطون الاسفار . فجدير ان يوصف هذا العلق النفيس بانه قيد الاوابد . ومظهر الخرائد ولله در مؤلفه الذي احيى ما اندثر . واظهر ما استتر . وصير ما كان دون الوصول اليه خرط القتاد . سهل القياد في متناول كل مرتاد . والله يجزيه الجزاء الموفور . على هذا الصنيع المشكور . الشاهد بما تعورف به هذا العلامة الوحيد . من الباع الطويل في العمل المجيد . لا زال موردا عذبا للمستفيد . ولا برح جامعا بين الفضل الطارف والتليد كتبه الفقير الى ربه عبده محمد العزيز جعيط المفتي المالكي اخذ الله بيده وحرر في جمادى الاخيرة عام ١٣٥٨

***

ومنها ما كتبه علم البيت . وفخر حيهم والميت . اليف العفة وحليف التقوى . وحبل الله المتين حول هيكل الشريعة والفتوى . حفيدي في الطبقة . واخي في العمر والدم والشفقه . الامام العلامة . الغني بشهرته عن التعريف والعلامه . الهمام النحرير . المتحلي من الكمالات بالقدر الوفير . الشيخ سيدي محمد بن الخوجه المفتي الحنفي واستاذ التعليم العالي بجامع الزيتونة اسبغ الله عليه نعمة العافية . ورزقه السلامة والسعادة الوافية

وهذا نص كتابه :

الحمد لله الذي جعل من تعلق قلبه بالمساجد من السبعة المظللين . والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد ذي الجاه العظيم والشفاعة الكبرى يوم الدين . وعلى اله وصحبه والتابعين . لهم باحسان الى يوم اليقين . وبعد فقد تصفحت من هذا الكتاب القيم ما سبرت به غوره . واستجليت به نوره . فاذا هو اية ابداع . وطرائف عرفان وامتاع . قد دبجه يراع صنونا العلم الهمام ذي الثقافتين . المتلقي لراية المجد باليمين . الخطيب الاكتب الذي كلما خط او خطب امتلك الابصار والاسماع .

المشتهر في العالم العلمي شهرة تنقطع عندها الاطماع ، ابي عبد الله امير الامراء الشيخ سيدي محمد بن عم ابينا المقدس المبرور الشيخ سيدي البشير بن الخوجه ، لا زالت سبله في المعارف منهوجه ، وصدور الحقائق بتحاريره وتحابيره مثلوجه ، والامل في الله تعلى ان يفتح له من المعارف ابوابها ، وان يذلل لعلي همته صعابها ، حتى يردف هاته الحسنة باخواتها ، وتشع انوار مصابيحها من مشكاتها ، ما سحر الالباب حسن البيان ، وحمدت العواقب بما حوت من احسان ، والسلام الاتم الازكى عليكم ورحمة الله تعلى وبركاته من كاتبه فقير ربه عبده محمد بن الخوجه المفتي الحنفي لطف الله تعلى به وكتب في ١٥ جمادى الثانية وفي ٢ اوت سنة ١٣٥٨ - ١٩٣٩

***

ومنها ما كتبه العلامة الجليل ، والدراكة الفهامة النبيل ، يم المعارف الذي لا يدرك منتهاه ، وخضم الفضائل الذي بلغ به الزمان مناه ، زينة النوادي العلميه ، ومرجع اهل الفتوى بتحقيقاته الفقهيه ، المقتفي في سلوكه خير المسالك ، المعتز به في ساحة الشريعة مذهب مالك ، الهمام النقاده ، ومظهر الاجاده ومحل الافاده ، الشيخ سيدي بلحسن النجار المفتي المالكي واستاذ التعليم العالي بجامع الزيتونة لا زالت فراديس العلم بانواره زاهيه ، قطوفها دانيه

وهذا نص كتابه :

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه

اما بعد فان البحث عن خطط حاضرة تونس ناحية من نواحي الاداب التونسية حرية العناية ، ولكن اغفلها اهلها وكانوا فيها من الزاهدين ،

فكان دينا على حملة الاقلام من اهل العلم القيام بهذا المهم الى ان توجهت اليه همة العلامة النبيل والبحاثة النحرير امير الامراء سيدي محمد بن الخوجه مستشار الدولة التونسية وهو من عرفه الناس بدراساته المفيدة وابحاثه النافعة ، في مختلف المواضيع بفكر ثاقب وتجربة الحكيم ، فالف كتابه القيم (معالم التوحيد ، في القديم وفي الجديد) فجاء سدادا للدين ووفاء بذمة الادب ،

الكتاب هو كاسمه في التعريف بالمعالم الدينية التونسية وما اليها ويتخلص مؤلفه

امتع الله به بالمناسبة الى ما تهم معرفته من لطائف تاريخيه ونكات ادبية وابحاث علمية، من كنز ذخائره النفيسة واعلاقه المنتقاة ودليل على اللبيب اختياره .

ولولاه لبقيت تلك الفوائد الثمينة في طي الخفاء فشكرا له شكرا حرره بلمحسن النجار في ٢٢ جمادى الاخرة سنة ١٣٥٨

***

ومنها ما كتبه الفذ الذي طلع في سماء العلم نجما . وتشخص في نواديه تحقيقا وفهما وحزما . زعيم اهل العلم من النشء الفالح . الدارج في سلوكه على سنن السلف الصالح . امين الفتوى . ونصيرها في السر والنجوى . الهمام المبرز في ميادين التحرير والتدوين . ناشر راية الفضل المبين . وعنوان الرقي الزيتوني بلا مين العلامة المدرس من الطبقة العليا الشيخ سيدي محمد المختار بن محمود المفتي الحنفي لا زالت رايته العلمية خافقة . ودروسه بالاجادة والافادة ناطقة . ولا زال محل الوداد والاخلاص من اصدقائه المعجبين بكمالاته . المبتهجين بمواهبه وفضله وءاياته .

وهذا نص كتابه :

الحمد لله الذي يدخر من فضله ما يقوم به الدليل على ان نعمه لا تنفد . وان آلاءه كل شيء عليها يشهد . والصلاة والسلام على الرسول الاكرم الامجد . الذي اختص في السماء باسم محمود وفي الارض باسم محمد . وعلى اله واصحابه الذين اتهم كل واحد منهم في المعالي وانجد . ولان في السلم وفي الحرب ابرق وارعد . وكل من تبعهم من العلماء والفضلاء الى يوم لا ينفع فيه الا عمل يقدمه الانسان بين يديه وبه يسعد . ويفوز بالنجاة من العذاب الشديد والعيش الانكد . اما بعد فان افضل عمل يخلد به الانسان ذكره . ويسجل به على مرور الايام شرفه وفخره . ويستحق به التقدم والاولية . بين اصحاب المكارم والمراتب العلية . العمل العلمي الذي لا يفنيه طول الزمان . ولا يبليه تكرر الحدثان . وقد كان العلماء - ولا يزالون - يجعلون من اثر العالم دليلا عليه . وعملا صالحا يقدمه بين يديه . فمن اجل ذلك توجهت همم العلماء المحققين . ورجال الفكر النابغين . الى تصنيف التآليف وابداعها . واستنباط فنون الكلام واختراعها . فارتفع شان المكتبة العربية على اختلاف القرون . حتى كانت اغنى مكاتب العالم وحتى امكن لاعداء الاسلام ان يتخذوا من اسفارها

جسرا يمرون عليه بخيلهم ورجلهم في بعض الفتون . هذا وان بلادنا التونسية . صانها الله من كل بلية . ووقاها من كل رزية . وادام عزها وامانها . وايد سلطانها ودعم اركانها . كانت من قديم الازمان منبتا للمكارم والفضائل . ومرتعا خصيبا للاثار الجلائل . فسوق العلم فيها نافقة . واهل المكارم على ابوابها متسابقة . وعلى منوالها ينسج الناسجون . والى الوصول الى مثلها الاعلى يعمل العاملون . ومعالم الدين فيها مشيدة الاركان . عظيمة الشان . تتيه على عواصم الاسلام وتجر ذيل فخرها . بجامع الزيتونة الاعظم الذي هو رمز عزها وواسطة قلادة نحرها . ذلك الجامع الذي اسسه الصحابة عند فتح هذه البلاد . واشراق شمس الاسلام على كل حاضر فيها وباد . ثم وقع اتمامه على يد من جاء بعدهم من التابعين . حماة الدين واليوث العرين . رضي الله عنهم اجمعين . ومصداقا للسعادة العظمى التي كتبت له في الازل . انه صار اكبر جامعة من جوامع الاسلام وصارت به البلاد التونسية في ميدان العلوم والمعارف الاسلامية مضرب المثل . تشد اليه الرحال من جميع الجهات . للكرع من مناهله العذبة والاخذ عن ايمته الثقات . ادام الله عمرانه بدوام ذكره . ووفق اهله للعمل الصالح حتى يكونوا ممن قدر فضل الانعام بشكره . ولكن رغما عما اشتملت عليه البلاد التونسية . من الاثار الدينية . والمفاخر الجلية . فانه لم يتصد احد لجمع تلك المآثر من جميع نواحيها والاحاطة باخبار موسسيها . وافاضة القول فيما مر بها من اطوار . وما ابقت من معالمها يد الاعصار . اللهم الا نتفا مبثوثة في صفحات بعض التواريخ التونسية . او الرسائل الخصوصية . تسلي العليل . ولا تشفي الغليل . وقد بقي امر تلك المآثر على ما وصفناه . من اهمال لحفظ تاريخها من بدايته الى منتهاه . حتى توفق الى سد هاته الثلمة . ومعالجة هاته الكلمة . حضرة الهمام الاعز . وذخر المعالي المكتنز . ومن به هذا القطر يتباهى ويعتز . نخبة الاقران . وصفوة الاصدقاء والخلان . جامع الفضائل على اختلاف اصنافها . ومخرج اللآلي من بطون اصدافها . من القيت اليه مقاليد مهمات الوظائف الدولية . فزانها بعلومه ومعارفه ونفسه الكريمة الابيه . الجامع بين شرف الحسب والنسب . وكرم النفس والادب . من لم تزل ببيتهم كعبة العلم المحجوجة . صاحب المعالي المستشار سيدي محمد بن الخوجة . ادام الله اسعاده . وبلغه مراده . فانه حفظه الله قد قام باعباء هذا العمل ذي العبء الشديد . المتوقف

على بسطة في العلم والراي الرشيد . فالف هذا الكتاب الذي سماه (تاريخ معالم التوحيد . في القديم وفي الجديد) فكان موفقا في عمله غاية التوفيق . مؤيدا بحسن النية الى سلوك اقوم طريق . فجاء كتابه فذا في بابه . اما في محرابه . بسط فيه تاريخ الجوامع بالعاصمة التونسية من تاريخ الفتح الاسلامي الى هذه الايام . باسلوب على غاية من الدقة والاحكام . وسلك فيه مسلك فحول المؤرخين . بنقد بعض الاخبار والحوادث وعدم قبولها بسلامة الامين . وكان يمزج ذلك ببعض النكات اللطيفة . والتعريضات الشريفة . مما يدل على علو الكعب ورفعة المقدار . وسرعة البديهة وحسن الاستحضار . ومن لطائف هذا الكتاب . انه اشتمل على خمسة ابواب فكان مؤلفه اعزه الله استمد هذا العدد الثمين . من عدد القواعد الخمسة التي هي اركان الدين . ولا غرابة في ذلك فموضوع الكتاب يتعلق بمواضع اقامة اهم تلك الاركان . الا وهي الصلاة التي هي اعظم قواعد الايمان . وانا لنرجو من الله لمؤلف هذا الكتاب الجليل . الثواب العظيم والاجر الجزيل . لانه وان فاته ثواب من شيد الجوامع وبناها . فلن يفوته - بحول الله - نوع من ذلك الثواب لانه حفظ ذكرها من التلاشي بحفظ معناها ومبناها . فاذا يسر الله له فيما يستقبل تاسيس بيت من بيوت العبادة . ودخل في منطوق : من بنى مسجدا لله ثبتت له السعادة . فانه يكون جامعا بين الاجرين . ومحرزا على كلتا الحسنيين . والله الموفق وعليه الاعتماد . والهادي الى طرق الخير وسبل الرشاد . ليس لمنته غاية . ولا لفضائله نهاية . وانما غاية ما يرجو الانسان من ربه ذي الكرم والانعام . ان يمن عليه ببلوغ الاماني وحسن الختام . والسلام - صح محمد المختار بن محمود المفتي الحنفي كان الله له

رادس يوم الاحد في ٢٦ جمادى الثانية وفي ١٣ اوت سنة ١٣٥٨ - ١٩٣٩

***

ومنها ما كتبه الفذ الممتاز بعزة النفس وخفة الروح . الذي انتشر جميل ذكره في البلاد انتشار يوح . الشهم الهمام . والحسنة التي تتباهى بها الايام . المقتفي في مسالك التجديد الصحيح منهج ابيه . الباذل في ذلك السبيل صالح مساعيه . معدن الذكاء والثقافة . وعلو الكعب والنباهة . صاحب الراي الحصيف . الغني بفضله وشهرته عن كل تعريف

مقام الابن الروحي المحب الاود . ومن لابيه علي فضل الوالد على الولد . امير الامراء سيدي مصطفى صفر شيخ المدينة . لا زالت طلعته محروسة في الحاضر والآتي . والقدر مساعد والزمان مواتي

وهذا نص كتابه :

سيدي واستاذي الاعز

وافاني تاليفكم الجديد (تاريخ معالم التوحيد) فابتهجت به روحي قبل ان اتصفحه وشغف به فكري قبل ان اطالعه ولا تحسبوا ان الخواطر التي اثارها في نفسي مجرد مشاهدة الكتاب كانت صادرة عن عامل الوفاء بالعهد المتوارث او عن تاثير الاعتراف بالجميل الذي ما انفك عالقا بفؤادي منذ تغذيت في فجر شبابي بتلك الدروس الفائقة التي كنتم تلقونها بمدرسة الترجمة العليا والاداب العربية ومنذ امتطيت باشارتكم وتحت رعايتكم متن الوظائف الدولية . فانني احقق لكم ان طربي سلفا لتاليفكم كان ناشئا عن كونكم تشخصون في نظري خاتم فئة قليلة مباركة من المفكرين التونسيين استفادت في دور عزت فيه طرق الاستفادة وافادت في عصر تعسرت فيه وسائل الافادة فوقفت ما خولتها اياه الاقدار الالهية من الخصال الغريزية وما احرزت عليه في الميادين العلمية على خدمة وطنها وملتها مازجة القول بالعمل مدركة ان الوطنية لا تنحصر في شكلها السلبي من تاوهات وترجيات بل انها قبل كل شيء عنصر ايجابي اسه الدراية وقوامه الانتاج . هذا زيادة على ما اعتبره في ذاتكم من الثقافة التاريخية لا سيما فيما يخص بلادنا التونسية تلك الثقافة التي لم تكن قاصرة كما عهدناه في جل مؤرخينا على سرد تواريخ والاشارة الى حوادث بل كانت شاملة لثمرات ابحاث عميقة وتحقيقات متكررة وتاملات متناهية في كافة مظاهر الحياة الماضية بما تضمنته من حوادث ذات اهمية وحركات فكرية وعوامل اجتماعية واقتصادية وءاثار خالدة وعوارض بائدة ومنابع عوائد لم تزل سائدة بحيث يتجلى تاريخ القطر في نظركم وفي نظر مستمعيكم وقرائكم كل عصر بما احتوى عليه من المميزات كما لو عشتم اوعاشوا اطواره وتيسر هكذا طرق الاستخلاص المنتج والمقارنات المفيدة ويمكن ادراك كنه النتائج بالوقوف على المقدمات . فلا غرو ان ظننت

بتاليفكم خيرا قبل مطالعته ولا عجب ان تايد حسن ظني بوقوفي على جمة فوائده . فكل فصل من فصوله يجسم لقارئه صحيفة تاريخية من افيد الصحف على ذكر معالم التوحيد التي جاد بها السلف . وان ضيق مجال هذه الرسالة الوجيزة لا يسمح لي بان ناتي ولو بالتلميح على ما حواه كتابكم من مظاهر التاريخ الصحيح . جزاكم الله خيرا على احيائكم وتخليدكم ذكر مآثر الاوائل وشفائكم غليل كل مستطلع وسائل . وابقاكم منبعا للعرفان . في سعادة وامان . وعليكم ازكى السلام وعاطر التحية من محبكم ومجلكم فقير ربه تعلى وراجي عفوه وغفرانه مصطفى صفر - تحريرا في جمادى الثانية ١٣٥٨ وفي اغشت ١٩٣٩

***

ومنها ما كتبه معدن السؤدد والكياسه . وحامل راية الفخر والرياسه . فصيح اللسان والقلم . الممتاز باصالة الراي التي جعلته كنار على علم . الساعي في احياء مجد بلاده بعزم لا يعرف الملل . وحزم لا يتطرق ساحته الفشل . نصير الاوقاف . الذائد عن حياضها بسلاح الحق والانصاف . مفخرة الزمان . الناطق في كلامه بلسان البيان . الشهم الهمام الاوحد . النصوح الغيور الانجد . ودودنا وصديقنا امير الامراء سيدي محمد سعد الله مدير الاوقاف وباغة بيت المال . شكر الله سعيه . وادام حفظه ورعيه وهذا نص كتابه :

الهمام النحرير . والبحاثة الشهير . العلامة الافضل . والفهامة الامثل . الاخذ من كل علم باوفر نصيب . والرامي للمعالي بكل سهم مصيب . امير الامراء سيدي محمد بن الخوجه مستشار الحكومة التونسية . لا زالت رباع الفضايل بنتابج فكره عامره . واندية المجاسن بالثناء عليه عاطره . السلام عليكم ورحمة الله وبعد فقد وجدت عند رجوعي من الديار الفرنساوية . تلك التحفة السنية . بل الدرة البهية . التي تفضلتم بها علي فوقعت عندي الذ واجل موقع لما كنت فيه من شديد الشوق للوطن العزيز ولخصوص مجلسكم الجليل . ولما سرحت الطرف في رياضها اليانعة . وارتشفت من سلسبيل حياضها الرايعه . تذكرت اوليك الافذاذ المصلحين الاولين من رجال النهضة الاسلامية الاخيرة كالوزير عبد الله فكري باشا والوزير خير الدين

والشيخ محمد عبده ووطنينا البشير صفر راس النهضة التونسية العصرية . فهؤلاء الاعلام الذين سبقونا للدار الاخرة كانت لهم اليد الطولى في النهوض بالامة الاسلامية. وارى ان صاحب تاليف (تاريخ معالم التوحيد . في القديم وفي الجديد) جدير بان يلحق اسمه بقايمة اوليك المصلحين الذين خلد لهم التاريخ جميل الذكر وجليل الاثار . لانه اذا نظرنا الى ادوار حياته - اطال الله في السعادة عمره - الفيناه كما عرفه الناس من اهل الكد والجد . والبحث والتنقيب . والتحقيق والتدقيق . للعمل المفيد والخير المزيد . والانتاج الجديد.

فاحسن ما يؤمله التونسي المحب لخير البلاد وسعادة العباد. هو ان يسعى ابناؤنا المثقفون من اهل هذا الجيل - وهم رجال المستقبل - للنسج على منوال اخوانهم السابقين الذين منهم صاحب هذا الكتاب . وفخر الادب المنتاب .

وبالاطلاع على « معالم التوحيد » يبتهج القاري بتوفق المؤلف لسد فراغ اسيف في تاريخ المعاهد الدينية التونسية اذ برهن بتاليفه الجليل على سعة مداركه ودقيق ابحاثه وانقطاعه للمحافظة والسعي لاحياء اثار السلف الصالح والمجد التونسي الذي كان ولا زال يهدده الاهمال والنسيان. فايقظ الله همة المؤلف وغيرته العلمية لتلافي الحال . فقد صنف واجاد . ولما كتب وفى بالمراد . وحوى تاليفه من المسائل ما لم يحوه كتاب. فقام ادام الله سعادته بخدمة جليلة فيها اعظم الفوائد للباحثين عن حقائق التاريخ التونسي ولخصوص جمعية الاوقاف المناط بعهدتها القيام بشئون تلك المعاهد المقدسة . فيكون ذلك التاليف مرجعا وعمدة ليس فقط لاهل التاريخ بل لاهل الادارة على الاطلاق . وخصوصا لجمعية الاوقاف بالاتفاق .

فاتقدم لسعادتكم بوافر الشكر وجزيل الامتنان . داعيا لسيادتكم بطول البقاء . متمتعا بتمام العافية والهناء . وتفضلوا بقبول تحية مجلكم وودودكم المخلص محمد سعد الله عفي عنه وكتب في ٢٧ جمادى الثانية سنة ١٣٥٨

***

ومنها ما كتبه شمس المعارف المتحلي من العلم بحلتي التليد والطارف . فخر علماء تونس . وناشر ءايات مجدها وحديثها المونس . محرز الفضل عن خير اب

وجد . البالغ في نبوغه الى ابعد حد . يم الفنون والعلوم . وراوي اسانيدها بالمنطوق والمفهوم . الجامع بين علوم الشريعة وبين الاداب العربية . الضارب فيها بسهم مصيب عند كل ناحية وثنيه . الامام العلامة النقاده . نور المصابيح المضيئة الوقاده . صديقنا الشيخ سيدي البشير النيفر استاذ التعليم العالي بجامع الزيتونة ادام الله به النفع . دوام الوتر والشفع .

وهذا نص كتابه :

الهمام النحرير . امام التحرير والتحبير . ونصير العلم والمجد وحسبنا به من نصير . ابو عبد الله امير الامراء ومستشار الحكومة التونسية سيدي محمد بن الخوجه وكفى بالنسب الخوجي مستقر مجد ثابت الاركان . شامخ البنيان . محفوظ بعناية الله ما طلع النيران . السلام عليكم ورحمة الله وبعد فقد حظيت بهديتكم الجليلة واثر يراعكم المبارك كتاب معالم التوحيد . ذلكم الكتاب الذي خدمتم به تاريخ معالم الدين بالحاضرة . خدمة يقدرها قدرها كل ذي نفس شاعره . وتتطلق السنة الناس واولي العلم حامدة لها شاكرة . فقد نشرتم من تاريخها الحفيل . وحديثها الجميل . ما قبرته الايام من امد طويل . ولا عجب ان تنطلقوا بما ءاتاكم الله من همة عليه . وغيرة علمية . الى تدوين تاريخ هذه المعاهد على اسلوب لم يسبقكم اليه احد ـ فيما نعلم ـ فكم لكم في عالم التدوين . من بدايع اثر مبين . ابرزتم به الحقائق . وسلكتم فيه اقوم الطرائق . وجمعتم بين ما وعته الاسفار . وما تقصه السنة الصادقين من رواة الاخبار . وحفظة الاثار . انسأ الله في اثركم . وبارك في همتكم ويراعتكم . وزادكم عناية بمعاهد دينه وعلومه التي لا تزال مآثر ءال بيتكم فيها مرفوعة الراية . محكمة الآية . وانتم تقومون لها بما يتطلبه نسبكم الرفيع . ويقضي به علمكم الوسيع . وانا نرجو بشكركم ان تزيدونا من امثال هذا المؤلف البديع . الذي نبدي القول فيه بالثناء ونعيده . ونعرف فضلكم في تدوينه ونشره ونرى مجال القول في التنويه به متسعا والله يحوطكم برعايته . ويمدكم باعانته وعنايته . وكتبه حافظ ودكم محمد البشير النيفر في ١٧ جمادى الآخرة عام ١٣٥٨

***

ومنها ما كتبه الفاضل النحرير . الممتاز بطول الباع في عالم التاليف والتحرير .

جامع شتات الطبقات المالكية، في شجرة النور الزكية، ومرصع تاج الحكمة العربية، بجواهر الاسرار المازريه، العالم العامل، والفقيه الضليع الكامل، ودودنا الهمام الشيخ سيدي محمد مخلوف باش مفتي المنستير ادامه الله للعين قره، وللنفوس مسره.

وهذا نص كتابه:

الى حضرة العالم المتضلع المؤرخ البارع الهمام العمدة امير الامراء ونبراس الفضلاء سيدي محمد بن الخوجه مستشار الحكومة التونسية اخذ الله بيده في يومه وغده سلاما وتحية، وبعد فقد تناولت بمزيد السرور والفرح والحبور السفر الجليل الذي اسميتموه تاريخ معالم التوحيد في القديم وفي الجديد الموجه الي من معاليكم بعنوان تذكار المودة القلبية والرابطة العلمية وتلقيته برسم هدية ثمينة وتحفة نفسية وثمرة يانعة جنتها يدي من ثمار اشجاركم العلمية الظليلة وتصفحته وامعنت النظر فيه فالفيته كتابا نفسيا وفقتم لتاليفه وفزتم بقصبات السبق في وضعه في مثل هذا الزمان مع مسيس الحاجة اليه اذاكم احييتم به معالم وبعثتم مدارس كاد ان ياتي عليها العفاء ولا غرو فقد خطته يراعة صاحب الفكر الثاقب والراي الصائب السياسي المحنك جوهرة سلالة البيت الخوجي المشهور بالجلالة والعلم والعدالة والتحرير والتحبير كابرا عن كابر، كم تشرفت بهم المساجد واهتزت بمواعظهم المنابر، ولا عيب فيه سوى انه جمع ما الف لاجله فاوعى واختط طريقا للناشئين في تاليف خطط تونسية كالخطط المصرية للمقريزي والخطط الشامية للاستاذ كرد علي يستدرك نقص المكتبة التونسية ويدفع العار الملصق بعلماء هذا القطر لعدم اعتنائهم بمعالمه وتقصيرهم في حقه اذ اني لم اطلع فيما وقفت عليه من كتب التاريخ والخطط وان كان قلا على تاليف في الغرض يشفي الغليل بتخطيط المعالم التونسية وانتم شكر الله سعيكم بعملكم هذا وامثاله قد ربحتم الصفقتين ونلتم الحسنيين امدكم الله بروح منه ووفقكم لتاليف ما ينشا عنه اعلاء شان هذا القطر ونشر ما له من المزايا في ظل الحضرة الشاهنة العلية دام لها العز والبقاء حرره فقير ربه واسير ذنبه عبده محمد بن الحاج محمد مخلوف باش مفتي المنستير لطف الله به في ١٨ جمادى الاخرة سنة ١٣٥٨

ومنها ما صاغته قريحة الشاعر المطبوع . السابح في بحر العلم بالسند المرفوع زينة المحافل الادبية . وركن الدوحة العلمية . وفخر النوادي النعمانية . ربيع الابرار . وزينة فضلاء هذه الديار . الامام الخطيب . الضارب في كل ميدان بسهم مصيب . العالم النحرير . وفارس التحرير والتحبير الشيخ سيدي محمد الناصر الصدام المدرس من الطبقة العليا بجامع الزيتونة والامام الثاني بجامع باردو المعمور لا زال مصدرا لايات الكمال . محفوفا بالاكرام والاجلال .

وهذا نص خريدته :

اوميض برق لاح من امزانه ... ام كوكب بالافق في خفقانه
ام ضاء در بالطروس منظما ... قد صاغه الابداع من سحبانه
ذي المنطقين (محمد بن الخوجه) الـ ... ـممتاز بالتحرير في تبيانه
علم الفضايل والفواضل من به ... صين الفخار وقر في اوطانه
جمع الجوامع معلما (بمعالم) ... رفعت بتقوى (١) الله مع رضوانه
لله ذا السفر البديع فانه ... مستوعب للكل في حسبانه
صنع الحكيم اخي المروءة والحجى ... ذي السبق والتبريز يوم رهانه
شهم سري اريحي ماجد ... ذي همة كالدهر في حد ثانه
خبر الحقايق فاستبان سبيلها ... واضاف ازمانا (٢) الى ازمانه
قاد (الكتائب) سيفه ويراعه ... فاسلم وفز من كفه ولسانه (٣)
فله الجيوش من الجنود بواسلا ... وله الجحافل من جنود بيانه
لا زال بحرك طول دهرك لافظا ... لفرائد الياقوت لا مرجانه
يا أوحد الامراء دمت برفعة ... في ظل مولانا مليك زمانه
فخر الامامة (احمد الباشا) الذي ... قصرت ملوك الارض عن احسانه

---

(١) اشارة الى قوله تعلى : افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوانه خير الآية
(٢) اشارة الى قول الشاعر :
ومن وعى اخبار من قبله ❁ اضاف اعماراً الى عمره
(٣) اشارة الى حديث المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده

جمع الفضايل والمحامد سعيه فمحاسن الثقلين في ميزانه
لا زال محروس الجناب مؤيدا بالله والاسرار مع قرءانه

***

واليك من سحر البيان خريدة تروي بديع الشعر عن حسانه
لبست من النسج البليغ غلالة ازرت بقوس السحب في الوانه
قصرت عن السير السريع لانها مقصورة لم تدر ما وخدانه
فافتح لها (دار السلام) (١) وفز بها في ظل نعمة منعم وامانه

والسلام الاتم معاد عليكم ورحمة الله من كاتبه اخيكم محمد الناصر الصدام كان الله له في جمادى الثانية وفي اوت سنة ١٣٥٨ - ١٩٣٩

***

ومنها ما نظمه الفاضل الزكي الاديب، والعالم المتفنن الاريب، المبرز في ميادين النظم والنثر، حامل راية القريض باليمين ولا فخر، محرز قصب السبق في حلبة البراعة، بما اوتيه من فصاحة اللسان وبلاغة اليراعة، المقتفي في سبل العلم مسلك سلفه، المتحلي بين اقرانه بتليد مجده ومطارف شرفه، المدرس من الطبقة العليا بجامع الزيتونة الشيخ سيدي علي النيفر ابن المقدس شقيق الروح، منذ سطره قلم الازل في محفوظ اللوح، لا زال ذكره عاطرا، وللفضائل مبدئا وناشرا، تال لا فض فوه.

كم لبني الاسلام من مائره اربت على العد ومن مفخره
لم يبلها الدهر وقد اخلقت دياجيه وطوت اعصره
ءاثار فخر خلدت عنهم ذكرى بعليآئهم مخبره
عنوان عز وعلا باذخ ءايات مجد لم تزل مبصره
صحائف من عسجد سطرت بكفهم لله ما سطره

---

(١) فيه لطيفة ظريفة وهي التورية بدار السلام الاسم الذي تخيره المؤلف لدار سكناه مع ما في ءاخر المصراع الثاني من التلميح الى براعة الختم لما تعورف بالديار التونسية من التحية عند الانصراف بقولهم : في امن الله

تقرؤها في كل ما اثلوا ... من معلم ابداعهم صوره
من جامع للمنتقى جامع ... من كل شكل حسن المنظره
ينبيء عما احرزوا من علا ... في اعصر كانت بهم مزهره
ومسجد في كل حي شدا ... بشكر من شاده او عمره
قوم غذوا منذ الصبا بالتقى ... جادت ثراهم سحب المغفره
ومن رباط كان رد لذا القطر به نار الوغى مسعره
يرد عن تونس كيد العدا ... بكل ماض عزمه قسوره
او دمنة يأوي لاكنافها ... ذو عاهة رائحة مبكره
او مورد للعلم تنمو له ... عطشى بغيث العلم مستمطره
مدارس ما برحت للورى ... كعبته الشماء او مشعره
معاهد قمن لمن شادها ... شواهدا بالفضل والمقدره
لله من نسق انباءها ... بسمط تاليف له حبره
ضم به اخبار ما شيد الأسلاف في الخضراء من مآثره
من مسجد او جامع شيد او ... مدرسة انفس من جوهره
فجاء بدعا في التواريخ لم ... تنسج على منواله الجمهره
حوى شتيتا عز ان يجتلى ... بغيره من كتب نيره
اطال فيه نفسا قد غدا التمحيص في ابحاثه عنصره
قضى به دينا لاسلافنا ... كانت به اظهرنا موقره
فلو تطلعت اليهم لابصرت نفوس القوم مستبشره
قد ايد الخبر به مخبرا ... والشيء لا تدريه او تخبره
اعجب من طالع اياته ... وشامها مثل الدمى مسفره
فراح يبدي الحمد منه لما ... اورده الجهبذ او اصدره
محمد بن الخوجة الندس من ... اضحت لعلياه النهى مكبره
من معشر منذ دهور غدوا ... للعلم في تونس هم معشره
حازوا افانين العلا صاغرا ... عن كابر اعظم بها مفخره
وقد خطا ذا الشهم في منهج ... لهم غدت عنه الخطى مقصره

فكم لـه من اثـر خالـد في العلـم من امثاله لم نـره
لا سيما هـذا الكتاب الذي بدا كمثل الروضة المزهرة
رمت بنزر القـول تقريظه مستمنحا من ربه المعـذره
بطبعـه عـم انتفـاع به فقلت ارخ : اضيا انشـره

٧٠٢	
١٢٥٦	
١٣٥٨	حافظ الود المستمسك بالعهد علي النيفر

***

ومنها ما كتبه نخبة اقرانه المفكرين . من نشء العلماء العاملين . الباذلين جهودهم في احياء ما اندرس من مجد تونس القديم . بنشرياتهم ودراساتهم وابحاثهم مع سلوكهم الصراط المستقيم . الدراكة الفهامه . والعالم العلامه . الضارب في ميدان البراعة والنبوغ بسهم مصيب . الزكي الذكي الاريب . المدرس من الطبقة العليا بجامع الزيتونة الشيخ سيدي محمد الهادي بن القاضي احسن الله له في القابل كما احسن فى الماضي

وهذا نص كتابه :

الحمد لله الذي اقام لدينه الحنيف معالم ثابتة الاركان . عالية البنيان . وقيض لها في كل عصر ومصر أفذاذا لها مشيدون . وعنها منافحون . ولاحياء ما اندرس من تراثها وآثارها معلنون ومجاهدون . من كل غطريف همام . ونحرير قمقام . وعالم بـاحث عن مناقبها واحوالها ليجمعه في مصنف او ديوان . حتى تكون اخبارها وانباؤها متداولة حية ما كر الجديدان . ويجدها الكل على طرف الثمام . وممن توفق للكشف عن هذه المآثر الحسان . ذات الانجم اللامعة والاقمار النيرة مهما خفقت فوق ربوعنا راية الاسلام والامان . في زماننا هذا الذي كثر فيه الشاغل . والتفتت العيون مصروفة عن الآجل لاكتساب العاجل . وتقاصرت فيه الهمم . عن الاجتهاد في تحصيل كل مهم . رب المجادة والاحسان . انسان عين البيان . ومفخرة هذا العصر بلا منازع او معاند . الجامع في بابي العز والسؤدد بين طريفهما والتالد . ذو الثقافتين . ومن ملا وطابه من المعارف الرائجة الصفقتين . فكان مرجعا للمستفيدين . وموضع اقتداء الباحثين المجدين مؤرخ بلادنا التونسية وحامل راية الفخر باليمين . صاحب الاثار الخالدة فينا خلـود

المعالم . العالم ابن العالم ابن العالم . امير الامراء وزين الكبراء . سيدي محمد بن الخوجة مستشار حكومتنا التونسية . وعين الدولة الاحمدية لا زال ملحوظا بعين العناية الربانية . وملجأ لكل مستفيد او مقتنص للؤلؤة درية . فقد توفق لما لم يتوفق اليه سواه . وانى لغيره ان يبلغ شاوه او مداه . من جمع ما تناثر عقده . وتشتت جوهره ونضده . من مختلف اخبار جوامع ومساجد ومدارس حاضرتنا التونسية . وخضرائنا الطيبة الزكية . من مبدا الفتح الاسلامي الى يومنا هذا في مصنف عظيم القدر . جميل الذكر . كبير الفائدة . جم العائدة . سهل العبارة . ظاهر الاشارة . موجز اللفظ من غير اخلال . غزير المادة فى غير املال . مع مراعاة مايقتضيه الحال . من بسط او اجمال . او احتراس او تتميم او اكمال . فهو جنة قطوفها دانية . وانوارها لمجتليها متدانية . كم فيه من نكتة شريفة عالية . وكائن من يتيمة نفيسة غالية . لايحتوي ما فيه كتاب يقصد ويراد . ولا يجد نوادره باحث ولو خرق السبع الشداد . ولكنها همة مؤرخنا جمعتها . وفكرته الوقادة اقتنصتها . فاحرص اخي على ان ترشف زلاله . وتبري غلتك من بارد شرابه ولوبعلاله . فهو السلسبيل المورود . من هذا الباب الموصود . وقد اختار له من الاسماء (تاريخ معالم التوحيد في القديم وفي الجديد) وهو اسم ظريف شريف ينبيء عن كونه من السعي المشكور والعمل المقبول الذي يرجو صاحبه عند الله وعند الناس بلوغ المأمول . وهو حسبنا ونعم الرب المسئول — كتبه فقير ربه خادم العلم بجامع الزيتونة المعمور محمد الهادي بن القاضي كان الله له يوم التقاضي — في جمادى الاخرة وفي اوت سنة ١٣٥٨ — ١٩٣٩

***

ومسك الختام في هذا المقام ما كتبه واسطة عقد النهضة العلمية الحديثة . الساهر على ترويج حركتها المباركة بمساعيه الصالحة والحثيثة . صاحب المجلة الزيتونية ومنشيها . وشارح متونها ومهذب حواشيها . الفاضل الاعلم . البحاثة النقادة او حد الالبآء نجدة وكياسة . وفكاهة ءآداب عطرت انفاسه . فرع دوحة المجد والعلم والتقوى من اهل القضاء والفتوى . ناشر جواهر التفسير . من قلمه فصيح التحرير . في اندية العلم وعلى صفحات الاثير . الامام الخطيب . الضارب في كل ميدان بسهم مصيب .

الشيخ سيدي الشاذلي بن القاضي المدرس من الطبقة العليا بجامع الزيتونة لا زال للفضائل مصدرا . وللمفاخر مظهرا . وهذا نص كتابه :

الحمد لله الواحد الاحد . والصلاة والسلام على رسوله العلم الفرد . وعلى ءاله البدور الائمة . واصحابه هداة الامة . وبعد فان حفظ التاريخ وتدوينه هو الشرط الاول لحفظ الامة والداعي الاسمى من دواعي نموها وسموها . فمتى شعرت الامة بان لها مجدا تالدا . وعزا من الزمن الغابر . لاستدامة ما هو قايم بين يديها واستكملت ما تحس به من نقص في مختلف الميادين . وبقدر ما تكون الامة واعية لتاريخها مدركة لما اقامه سلفها من معالم شامخات ومؤسسات نفعها شامل ودلالتها على الشرف والسودد ناطقة . تكون معتزة بنفسها فخورة بماضيها بانية على قواعده حاضرها ومستقبلها .

وهذه امتنا اعزها الله وسلمها من نوائب الزمن وحوادث السنين قد مرت عليها عصور وادهر شيدت فيها ما يدل على مجد متاصل وعلو مقام وتمكن في العلوم والفنون حتى بلغت شانا عظيما . وقد تكفل التاريخ فارجع على الخلف ما اقامه السلف . ولو ما التاريخ ما علمنا من ذلك شيئا . فلا جرم اذا قلت ان التاريخ في مقدمة علوم العمران .

ولعمري ان التاريخ الذي يحفظ للامة مجدها . هو ما عبر عن مبلغ الامة في الحضارة والعلوم والفنون المصور للاجيال المتلاحقة والسلائل المقبلة ما وصلت اليه الامة من المعارف والصنائع ومدى اهتمامها بمقوماتها ومشاريعها ففي ذلك دلالة واي دلالة على تاصل الامة في الحضارة والمدنية وبعدها عن الحياة الوحشية واهم من سرد الغارات وتسجيل الفتوحات ذكر المنشئات والمخترعات .

ومن هذا القبيل ما اهتم به عالمنا الهمام . الحايز من شرفي العلم والنسب اعلى مقام . الجهبذ الصنديد . والعالم البحاثة النحرير من ضرب بسهم صائب في مختلف العلوم وتبرز امير الامراء المستشار سيدي محمد بن الخوجه في مباحثه التاريخية التي يتحف بها الجمهوريين ءاونة واخرى وكتبه القيمة التي يصدرها الفينة تلو الفينة . فعرفه الخاصة قبل الجمهور بتحاريره النافعة وابحاثه النيرة فكان مرجعا في تاريخ البلاد التونسية وبوأه الناس المقام الاسمى وعدوا ما يقدمه للمجتمع خدمة للامة التونسية ودولتها السنية اعظم منة . وكتابه هذا من هذا القبيل جليل القدر سافي

الموضوع غزير الفائدة عظيم النفع جمع بما اشتمل عليه تاريخ معالم التوحيد في قاعدة المملكة وما يتصل بتاريخها من كل طريف وتراجم من سجل اسماءهم من علماء اعلام وجهابذة فخام وادوار النهضات العلمية ومدارس العلوم في مختلف العصور القديمة الى عصرنا الحاضر ومقدار عناية الدول التي حكمت المملكة بالمؤسسات الدينية وعلى الخصوص جامع الزيتونة فكان الكلام عليه من جهات متعددة نظرا الى كونه اعظم مسجد جامع في قاعدة المملكة وجامعة علمية ثقافية تعد اقدم جامعة في العالم الاسلامي انجبت ايمة اعلاما خدموا الاسلام في هذه البلاد وغيرها خدمات جليلة وتبرزوا في سائر العلوم وقامت على سواعدهم نهضات متتابعة وبذلك جاء (معالم التوحيد) فريدا في بابه بما سجله من التاريخ الحافل بجلايل المهمات سيما اذا ضممنا لذلك ما بذله جناب امير الامراء من ابحاث وتحقيقات يعز الحصول عليها وقد عرفناه حفظه الله ذا همة صادقة وعزيمة لا تثنيها الصعاب فكان اعزه الله موفقا الى ابعد حدود التوفيق فاحب به مهديا واكرم بكتابه الذي اتحفنا به هدية ولا برح يوالينا بالطرف من تاريخه وعلمه بارك الله لنا في حياته واعز به العلم ورجالاته انه سميع مجيب .

المخلص محمد الشاذلي بن القاضي

كلمة المطبعة التونسية

الحمد لله المنفرد بالانشاء . الذي يؤتي الحكمة من يشاء . والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد الذي بنى اول مسجد للعبادة . وحث على طلب العلم فظهرت حول القرون المدارس المشادة . وعلى اله وصحبه الذين بلغوا لنا حديثه صحيحا تام الافادة . وبعد فقد تم بعون الله الملك الوهاب . طبع هذا الكتاب المستطاب . المشتمل على ما بحاضرة تونس من جوامع ومساجد للعبادة . ومدارس لاهل العلم واختام للحديث بها القلوب عالقة ولمجالسها منقادة . بعناية مؤلفه الهمام الانجد . والجناب الفخيم الاسعد . الجامع بين فضيلتي المجد الموروث عن خير اب وجد . ومجد الثقافة المكتسب بالسعي والجد . صنو الرئاسة . ومعدن كرم الخلق والكياسة . صاحب المشاريع المحمودة . والمفاخر المنشودة . شريف الحسب والنسب . ونصير العلم والادب . العلامة النحرير . والمصلح الكبير امير الامراء سيدي محمد بن الخوجه مستشار الحكومة التونسية . اسبغ الله عليه نعمه القدسية . وكان تمام طبعه بالمطبعة التونسية لصاحبها الفقير الى ربه علي الصنادلي في ثامن رجب الفرد سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة والف وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وسلم وشرف وكرم

فهرس تاريخ معالم التوحيد في القديم وفي الجديد

صحيفة

١ الخطبة
٣ المقدمة
٨ الباب الاول في الجوامع المالكية
٨ جامع الزيتونة وتاريخ تاسيسه
١٦ ايمة جامع الزيتونة
٣٥ الاحزاب المرتبة بجامع الزيتونة
٣٧ معهد العلوم بجامع الزيتونة
٤٧ برنامج العلوم والدروس بجامع الزيتونة
٥٠ مشيخة الجامع وفروعه
٥٠ خزائن الكتب بجامع الزيتونة
٥٢ مشائخ النظارة والمدرسون الاولون بجامع الزيتونة
٥٣ لجان اصلاح التعليم بجامع الزيتونة
٦٢ تتمة تشتمل على ظهير ملوكي في الحث على نشر العلم بجامع الزيتونة
٦٣ لبوس اهل العلم بتونس
٦٥ جامع التوفيق
٦٧ جامع باب البحر
٧٠ جامع ابي محمد
٧٢ جامع باب الجزيرة
٧٦ جامع سيدي يحيى
٧٧ جامع التبانين
٧٩ جامع الحلق

صحيفة

٨٢ جامع سبحان الله
٨٥ جامع الحجامين
٨٦ جامع السبخاء
٨٧ جامع العمران
٨٧ الباب الثاني في الجوامع الحنفية وفي ظهور مذهب الامام الاعظم ابي حنيفه بافريقية
٩١ جامع القصبة
٩٦ جامع القصر
١٠٦ جامع يوسف داي
١٠٨ جامع حمودة باشا
١١٠ جامع محمد باي المرادي
١٢٠ التعريف بالشيخ سيدي محرز ابن خلف
١٣١ الجامع الجديد
١٣٣ جامع صاحب الطابع
١٤٠ ذيل في ذكر احوال خاصة بالجوامع الحنفية وبخطبة الجمعة والعيدين بها
١٤٦ الباب الثالث في مساجد الصلوات الخمس
١٦٣ الباب الرابع في التعريف بالولاية على امامة الصلوات
١٦٤ الامامة في الصلوات الخمس
١٦٥ الامامة في صلاة الجمعة
١٦٧ الامامة في الصلوات المسنونة

صحيفة

١٦٩ عمل ملوك تونس في ولاية الايمة
١٧١ الباب الخامس في التعريف بمدارس طلبة العلم
١٧٦ المدرسة الشماعية
١٧٨ المدرسة التوفيقية
١٧٩ المدرسة العصفورية
١٨١ المدرسة المرجانية
١٨٢ المدرسة المغربية
١٨٣ المدرسة العنقية
١٨٤ مدرسة سيدي يحيى
١٨٤ المدرسة المنتصرية
١٨٦ المدرسة الاندلسية
١٨٧ مدرسة الزاوية البكرية
١٨٨ المدرسة المرادية
١٩١ مدرسة القائد مراد
١٩٤ المدرسة اليوسفية
١٩٤ مدرسة النخلة
١٩٧ المدرسة الحسينية الصغرى
١٩٨ مدرسة الجامع الجديد
٢٠٠ المدرسة المتيشية
٢٠٠ مدرسة الزاوية الباهية

صحيفة

٢٠١ مدرسة حوانيت عاشور
٢٠٣ المدرسة الباشية
٢٠٦ المدرسة السليمانية
٢٠٧ مدرسة بير الحجار
٢٠٨ المدرسة الجاسوسية
٢٠٩ المدرسة الجديدة
٢١١ مدرستا صاحب الطابع
٢١١ المدرسة البشيرية
٢١٢ مدرسة الزاوية القادرية
٢١٣ مدرسة سيدي شيحة
٢١٣ مدرسة الشيخ ابن ملوكة
٢١٣ مدرسة الشيخ بلخير
٢١٤ المدرسة الحبيبية الكبرى
٢١٤ المدرسة الحبيبية الصغرى
٢١٤ المدرسة القاسمية
٢١٥ المدرسة الدغرية
٢١٥ المدرسة الحمزية
٢١٥ المدرسة الصالحية
٢١٦ مدرسة الهداية
٢١٦ الخاتمة في تاريخ نشاة اختام الحديث بتونس

انتهى

استدراك اغلاط مطبعية

وفيما عداها نعتمد على فطنة القاري

صفحات	سطر	خطا	صواب
١٦	٢٣	وفي نائبين عنهم	وفي امام رابع ونائب واحد عنهم
٣٦	١٢	والوقادون	والوقادين
٣٩	١٩	وقف	وقفها
٤٠	٧	ريالان اثنان	ريالين اثنين
٥٠	٢	بالراق	بالرواق
٥٣	١	الحانفيه	الحنفية
٦٢	٢٣	تسيرت	تيسرت
٦٦	٨	ابو العباس	ابا العباس
٨٦	١٤	اباعبد الله	ابي عبد الله
١٠٩	١٠	النرز	النزر
١٣٥	١٨	ريال	ريالا
١٤٢	١٥	بركعتين	باربع ركعات
١٩٥	٩	سنين	سنن
١٦٩	٧	قولا	قوله
١٧٦	١٣	ترج	تسرج
١٩٢	١	بعد لفظ عاشور يلحق عبارة الستة السطور من قوله وممن تولى بالسطر ١٦ الى قوله في انقاسه بالسطر ٢١	
١٩٦	١٤	ـل	كل
١٩٨	١٣	احباس	احباسا
٢٠٣	٢	ريال	ريالا
٢١٠	٨	جوهرة القدوري	مختصر القدوري

مصنفات المؤلف

تاريخ معالم التوحيد في القديم وفي الجديد (وهو هذا)
تاريخ الحج وعمارة البيت الحرام (نشر ملخصا بالمجلة الزيتونية)
القضاء الشرعي (نشر ملخصا باربعة اعداد من المجلة الزيتونية)
الفتاوي الشرعية في المستجدات والحوادث العصرية (مخطوط)
تحفة الانجاد في المقابلة بين تاريخي الهجرة والميلاد (طبع)
وزراء تونس قبل الحماية وبعدها (نشر ملخصا بالمجلة الزيتونية)
حيش الدخيل في اللسان التونسي الاصيل في جزءين (مخطوط)
رسالة في تاريخ مقبرة الزلاج (مخطوط)
كشف عن احوال تونس في عصر الحماية (طبع)
تكملة عقد الدر والمرجان في سلاطين ءال عثمان وشرحها (مخطوط)
مجموع فقهي في مسائل انزال الاحباس والكردار والحلوات وغير ذلك (طبع)
العيون النرجسية في الانظمة التونسية في جزءين (مخطوط)
الرزنامة التونسية من سنة ١٣١٩ حتى سنة ١٣٣٥ (طبع)
تاريخ البايات والدايات في الدولتين المرادية والحسينية (على تمام)
وفيات اعيان التونسيين في العصر الحسيني (على تمام)

رحلات

سلوك الابريز في مسالك باريز (طبع)
الرحلة المشيرية الصادقية للعاصمة الجزائرية (مخطوط)
تواد الكرم وهي رحلة المولى محمد الهادي باي لباريس في سنة ١٩٠٤ (طبع)
الرحلة الناصرية (طبع)
الرحلة الحبيبية (مخطوط)
الرحلة الفلبارية (طبع)
الرحلة المغربية في جزءين (مخطوط)

مصنفات اخرى بالفرنساوية

الخلافة (مخطوط)

رسالة في المرأة المسلمة (طبع)

رسالة في الحج (طبع)

الالفاظ العربية الدخيلة في اللغة الفرنساوية (مخطوط)

فهرس فني لكتب التاريخ المحفوظة بخزائن جامع الزيتونة (بمشاركة مسيو روا والشيخ محمد الحشايشي - طبع)

رسالة في مقابلة السنين المسيحية بالسنين الهجرية لمدة الف واربعمائة عام

رسالة في الشرع الاسلامي بعنوان مؤتمر افريقية الشمالية بباريس في عام ١٩٠٨

والحمد لله اولا وآخرا

[redacted]
بن الخوجه ،عبده محمد
تاريخ معالم التوحيد فى القديم والجديد
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01000165

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT

